مهذب الأغانى

صنفه

محمد الخضرى

المفتش بوزارة المعارف

الجزء السابع

فى الشعراء الإسلاميين والمحدثين

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

٢٣٤٦ / ٢٥ / ٢٠٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

شعراء بنى عبد مناف

الأسود بن عمارة

هو الأسود بن عمارة بن الوليد النوفلى ، من نوفل بن عبد مناف بن قصى
من شعره قوله وفيه غناء

خليلى من سعد ألما فسلما ... على مريم لا يُبعد الله مريما
وقولا لها هـذا الفراق عزمته ... فهل من نوال قبل ذاكِ فنعلما

وكان أبوه عمارة شاعراً أيضاً وهو الذى يقول

تلك هند تصدّ للبين صـدّا ... أدلالاً أم هند تهجر جدّا
أم لتنكا به قروح فؤادى ... أم أرادت قتلى ضِراراً وعمدا
قد برانى وشفّنى الوجد حتى ... صرت مما ألقى عظاماً وجلدا
أيها الناصح الأمين رسولاً ... قل لهند عني اذا جئت هندا
علم الله أن قد اوتيت مني ... غير منّ بذاكِ نصحاً وودا
ما تقربت بالصفـاء لأدنو ... منك إلا ازددت نأياً وبعدا

والأسود هو الذى يقول لمحمد بن عبد الله بن كثير بن الصلت

ذكرناك شُرطياً فأصبحت قاضياً ... وصرت أميراً أبشرى قحطانُ
أرى نزوات بينهن تفاوت ... وللدهر أحداث وذا حدثان
أقيمى بنى عمرو بن عوف أو اربعي ... لكل أناس دولة وزمان

وانما خاطب بنى عمرو بن عوف لأن الكثيرى كان قد تزوج اليهم ، وانما قال أبشرى قحطان لأن كثير بن الصلت من كندة حليف قريش ، وكان محمد هذا على شرطة المدينة ، ثم ولي القضاء ، ثم ولاه أبو جعفر المدينة وعزل عبد الصمد بن على

العبلى

هو عبد الله بن عمر بن عبد الله من بنى عبد شمس بن عبد مناف

شاعر مجيد من شعراء قريش ، ومن مخضرمى الدولتين ، وقيل له العبْلى وليس منهم لأن العبلات من ولد أمية الأصغر بن عبد شمس ، سموا بذلك لأن أمهم عَبْلة بنت عبيد التيمية ولدت لعبد شمس أُمية الأصغر وعبد أُمية ونوفلاً ، والعبلى من عبد العزى بن عبد شمس ، وانما أدخلهم الناس فى العبلات لما صار الأمر لبني أمية الأكبر وسادوا وعظم شأنهم في الجاهلية والاسلام وكثر أشرافهم فجعل سائر بنى عبد شمس من لا يعلم قبيلة واحدة فسمَّوهم أمية الصغرى ثم قيل لهم العبلات لشهرة الاسم

كان عبد الله فى أيام بنى أمية يميل الى بني هاشم ويذم بني أمية ولم يكن منهم اليه صنعٌ جميل فسلم بذلك في أيام بني العباس ، ثم خرج على المنصور فى أيامه مع محمد بن عبد الله بن الحسن

قسم هشام بن عبد الملك أموالا وأجاز بجوائز فلم يعطه شيئاً فقال

خَسَّ حظى أن كنت من عبد شمس ليتنى كنت من بني مخزوم

فأفوزَ الغداة منهم بسهم وأبيع الأب الشريف بلُوم

فلما استخلف المنصور كتب الى السَّرِيّ بن عبد الحكم أن يوجه به اليه ففعل ، فلما قدم عليه قال له أنشدنى ما قلت فى قومك ، فاستعفاه ، فقال له لا أُعفيك ، فقال أعطني الأمان ، فأعطاه ، فأنشده

مابال عينك جائلاً أقذاؤها ... شرقت بعبرتها وطال بكاؤها
ذكرت عشيرتها وفرقة بينها ... فطوت لذلك غلة أحشاؤها
واعتادها ذكر العشيرة بالأسى ... فصباحها ناب بها ومساؤها
شرك العدا فى أمرهم فتفاقت ... منها الفتوق وفرقت أهواؤها
ظلت هناك ومايعاتب بعضها ... بعضاً فينفع ذا الرجاء رجاؤها
الا بمرهفة الظبات كأنها ... شهب تقل اذا هوت أخطاؤها
وبعسل زرق يكون خضابها ... علق النحور اذا تفيض دماؤها
فبذاكم أمست تعاقب بينها ... فلقد خشيت بأن يحم فناؤها
ماذا أؤمل ان أمية ودعت ... وبقاء سكان البلاد بقاؤها
أهل السياسة والرياسة والندى ... وأسود حرب لايخيم لقاؤها
غيث البلاد هم وهم أمراؤها ... سرج يضيء دجى الظلام ضياؤها
فلئن أمية ودعت وتتابعت ... لغواية جبت لها حلفاؤها
ليودعن من البرية عزها ... ومن البلاد جمالها ورجاؤها
ومن البلية ان بقيت خلافهم ... فرداً تهيجك دورهم وخلاؤها
لهفى على حرب العشيرة بينها ... هلا نهي جهالها حلماؤها
هلا نهى تنهى الغواة عن التى ... يخشى على سلطانها غوغاؤها
وتقى وأحلام لها مضرية ... فيها اذا تدمى الكلوم دماؤها
لما رأيت الحرب توقد بينها ... وتشب نار وقودها وذكاؤها
نوهت بالملك المهيمن دعوة ... ورواح نفسي فى البلاد دعاؤها
ليرد ألفتها ويجمع أمرها ... بخيارها نخيارها رحماؤها
فأجاب ربى فى أمية دعوتى ... وحمى أمية أن يهد بناؤها
فبنو أمية خير من وطىء الثرى ... شرفاً وأفضل ساسة أمراؤها

فقال له اخرج عني لاقرب الله دارك ، فخرج حتى قدم المدينة فألفى محمد بن عبد الله قد خرج فبايعه

كان العبلي مُخَفُوًّا فى أيام بنى مروان ، وكان منقطعاً الى بني هاشم ، فلما أفضت الخلافة اليهم لم يُبقوا على أحد من بنى أمية ، وكان الأمر فى قتلهم جداً إلا من هرب وطار على وجهه ، فخاف العبلى أن يقع به مكروه فى تلك الفورة ، فتوارى وأخذ داود بن على حرمه وماله فهرب حتى أتى أبا العباس السفاح فدخل عليه فى غُمار الناس متنكراً وجلس حَجْرَة (١) حتى انفض القوم وتفرقوا وبقى أبو العباس مع خاصته فوثب اليه فوقف بين يديه وقال

ألا قل للمنازل بالستّار — سقيتِ الغيث من دِمَن قفار
فهل لك بعدنا علم بسَلْمى — وأتراب لها شبه الصُّوار (٢)
أوانس لا عوابس جافيات — عن الخلق الجميل ولا عوارى
وفيهن ابنة القُصَوِى (٣) سلمى — كهمّ النفس مُفْعَمة الإزار
تلوث (٤) خمارَها بأحمّ جعْد — تَضِل العاليات به المَدارى
بَرَهْرَهة منعمة نمتها — أبوّتها الى الحسب النُّضار
فدع ذكر الشباب وعهد سلمى — فمالك منهما غير ادّكار
وأهد لهاشم غُرر القوافى — تنحلها بعلم واختبار
لعمرك انني ولزومَ نجد — ولا ألقى حباء بنى الخيار
لكالبادي لأبْرَدَ مستهلٍّ — بحوباء كبطن العَيْر عار
سأرحل رحلة فيها اعتزام — وجِد في رواح وابتكار
الى أهل الرسول غدت برحلى — عُذافرة ترامى بالصحارى

(١) أى ناحية (٢) الصوار القطيع من البقر (٣) نسبة الى قصى بن كلاب
(٤) تلفه وتعصبه والمدارى جمع مدرى بالكسر وهو المشط

تؤم المعشر الأبرار تبغي فكاكاً للنساء من الإسار
أيا أهل الرسول وصيدَ فهر وخير الواقفين على الجمار
أتؤخذ نسوتي ويحاز مالي وقد جاهرت لو أغنى جهاري
وأُذعَر أن دعيت لعبد شمس وقد أمسكت بالحُرَم الصواري (١)
بنصرة هاشم شهَرت نفسي بداري للعدا وبغير داري
بقربَى هاشم وبحق صهر لأحمد لفه طيب النِّجار
ومنزل هاشم من عبد شمس مكان الجِيد من عليا الفقَار

فقال له السفاح من أنت ؟ فانتسب له ، فقال حق لعمري أعرفه قديماً ومودة لا أجحدها ، وكتب له الى داود باطلاق من حبسه من أهله ورد أمواله عليه واكرامه وأمر له بنفقة تبلغه المدينة

جاء العبلي الى سويقة وهو طريد بني العباس وذلك بعقب بني أمية وابتداء خروج ملكهم الى بنى العباس ، فقصده عبد الله والحسن ابنا الحسن بسويقة ، فاستنشده عبد الله شيئاً من شعره ، فأنشده ، فقال له أريد أن تنشدنى شيئاً مما رثيت به قومك ، فأنشده

تقول أُمامة لما رأت نشوزي عن المضجَع الأنفس
وقلة نومى على مضجعى لدى هجعة الأعين النُّعَّس
أبى ما عراك ؟ فقلت الهموم منعن أباك فلا تبلسى (٢)
عرَوْن أباك فحبّسنه من الذل في شر ما مَحْبِس
لفقد العشيرة اذ نالها سهام من الحرب لم تبأس
رمتها المنون بلا نُصَّل ولا طائشات ولا نُكَّس

(١) صراه الله منعه وحفظه وهو صار وهى صارية والجمع الصوارى
(٢) أبلس انكسر وحزن

بأسهمها الخالسات النفوس | متى ما اقتضت مهجة تخلس
فصرعاهم في نواحي البلاد | تلقى بأرض ولم ترمس
كريم أصيب وأثوابه | من العار والذم لم تدنس
وآخر قد طار خوف الردى | وكان الهمام فلم يخلس
فكم غادروا من بواكي العيو | ن مرضى ومن صبية بؤس
اذا ماذكرتهم لم تنم | لحر الهموم ولم تجلس
يرجعن مثل بكاء الحما | م فى مأتم قلق المجلس
فذاك الذي غالني فاعلمي | ولا تسأليني فتستنحسى
وأشياء قد ضفنني بالبلاد | ولست لهن بمستحلس
أفاض المدامع قتلى كدى | وقتلى بكثوة لم ترمس
وقتلى بوج وباللابتين | من يثرب خير ما أنفس
وبالزابيين نفوس ثوت | وقتلى بنهر أبى فطرس
أولئك قومى تداعت بهم | نوائب من زمن متعس
أذلت قيادى لمن رامنى | وألزقت الرغم بالمعطس
فما أنس لا أنس قتلاهم | ولا عاش بعدهم من نسى

خرج العبلى مع محمد بن عبد الله بن حسن فولاه الطائف ثم بلغه خروج الحسن ابن معاوية من مكة فاستخلف على الطائف وخرج ليتلقى الحسن بالعرج فركب البحر ومضى العبلى هارباً على وجهه الى اليمن ، فذلك حين يقول

هيجت للأجزاع حول غراب | واعتاد قلبك عائد الأطراب
وذكرت عهد معالم بلوى الثرى | هيهات تلك معالم الأحباب
هيهات تلك معالم من ذاهب | أمسى بحوض أو بحقل قباب
قد حل بين أبارق ما ان له | فيها من آخوان ولا أصحاب

شطّت نواه عن الأليف وساقه لِقُرى يمانيـــة حمام كتاب

يا أخت آل أبي عديّ أقصري وذرى الخضاب فما أوان خضاب

أتُخَضّبين وقد تخرم غالباً دهر أضرّ بها حديد الناب

والحرب تعرُك غالباً بجرانهـــا وتعضّ وهي حديدة الأنياب

أم كيف نفسك تستلذ معيشة أو تنقعين لها ألذ شراب

كان العبلى يكره ما يجرى عليه بنو أمية من ذكر عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه وسبه على المنابر ويظهر الانكار لذلك ، فشهد عليه قوم من بنى أمية بمكة بذلك ونهوه عنه ، فانتقل الى المدينة وقال

شرّدوا بى عند امتداحى عليّا ورأوا ذاك فيَّ داءً دويّا

فوربى ما أبرح الدار حتى تختلى مهجتى بحبى عليا

وبنيــــه لحب أحمد انى كنت أحببتهم بحبى النبيا

حب دين لا حب دنيا وشر الـــحب حبٌّ يكون دنياويا

صاغني الله فى الذؤابة منهم لا زنيماً ولا سنيداً دعيّا

عدَوياً خالي صريحاً وجدي عبد شمس وهاشم أبويا

فسواء عليَّ لست أبالي عبشمياً دعيت أم هاشميا

وفد العبلى الى هشام بن عبد الملك وقد امتدحه بهذه القصيدة

ليلتى من كَنود بالغَوْر عودى بصفاء الهوى منُ آم أسيد

ما سمعنا ذاك الهوى ونسينا عهده فارجعى به ثم زيدى

قد تولى عصر الشباب فقيداً رب جارٍ يبين غير فقيد

خَلق الثوب من شباب ولبس وجديد الشباب غير جديد

فاسر عنك الهموم حين تداعت بعلاة مثل الفنيق وخُود (١)

(١) صفة من وخد يخد أسرع

عنتريس (١) نوفى الزمام بنعم مثل جذع الأشاءة المجرود
وارم جوز الفلا بها ثم سمها عجرفيّ النجاد بالتوخيد
وهشاماً خليفة الله فاعمد واصرمن مرّة القوى الجليد
تلقه محكم القوى أريحيا ذا قرى عاجل وسيب عتيد
ملك يشمل الرعية منه بأياد ليست بذات جمود
أخضر الربع والجناب خصيب أفيح المستراد للمستريد
ذكرت ناقتى البطاح فحنت حين أن أوردت قبور ثمود
قلت بعض الحنين ياناق سيرى نحو برق دعا لغيث عميد
أأغذت فى السير حتى أتتكم وهى قوداء فى سواهم قود
قد براها السرى اليك وسيرى تحت حر الظهيرة الصيخود
وطوى طائد العرائك (٢) منها غول بيد نجتابها بعد بيد
وأتتكم حدب الظهور وكانت مسنمات ممرها بالكديد
واطمأنت أرض الرصافة بالخصب ولم تلق رحلها بالصعيد
نزلت بامرىء يرى الحمد غنما باذل متلف مفيد معيد
بذل العدل فى القصاص فأضحى لا يخاف الضعيف ظلم الشديد
من بنى النضر من ذرى منبت النضر بأورى زند وأكرم عود
فهو كالقلب فى الجوانح منها واسط سر جذمها والعديد
بين مروان والوليد . فبخ بخ للكريم المجيد غير الزهيد
لو جرى الناس نحو غاية مجد لرهان فى المحفل المشهود

(١) العنتريس الناقة الغليظة الصلبة الوثيقة الشديدة الكثيرة اللحم . والأشاء صغار النخل واحدها أشاءة (٢) جمع عريكة وهى السنام

لعلاهم بسابقين من المجـــد على الناس طارف وتليد
انكم معشر أبى الله إلا أن تفوزوا بدارها المحشود
لم يرَ الله معشراً من بني مر وان أولى بالملك والتسويد
قادة ســادة ملوك بحار وبهاليل للقروم الصيد
أريحون ماجدون خضمو ن حماة عند اربداد الجلود
يقطعون النهار بالرأى والحز م ويحيون ليلهم بالسجود
أهل رفد وسودد وحياء ووفاء بالوعـــد والموعود
ويرون الجوار من حرم اللـــه فما الجار فيهم بوحيد
لو بمجد نال الخلود قبيل آل مروان فزتم بالخلود
يا ابن خير الأخيار من عبد شمس يا إمام الورى ورب الجنود
عبد شمس أبوك وهو أبونا لا نناديك من مكان بعيد
ثم جدى الأدنى وعمك شيخى وأبو شيخك الكريم الجدود
فالقرابات بيننا واشجات محكمات القوى بحبل شديد
فأثبني ثواب مثلك مثلى تلقني للثواب غير جحود
ان ذا الجد من حبوت بود ليس من لا تودّ بالمجدود
وبحسب امرىء من الخير يرجى كونه عند ظلك الممدود

أبو قطيفة

هو عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط أبان بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس ، وهو من العنابس من بني أمية ، وكان لأمية من الولد أحد عشر ذكراً كل واحد منهم يكنى باسم صاحبه وهم العاص وأبو العاص ، والعيص وأبو العيص وعمرو وأبو عمرو ، وحرب وأبو حرب ، وسفيان وأبو سفيان ، والعويص ، فمنهم

الأعياص وهم الأربعة الأولون والأخير ، ومنهم العنابس وهم الباقون ، وانما سموا العنابس لأنهم ثبتوا مع أخيهم حرب بن أمية بعُكاظ وعقلوا أنفسهم وقاتلوا قتالا شديداً فشبهوا بالأسد ، والأسد يقال لها العنابس واحدها عنبسة ، وأم أبي مُعَيط آمنة بنت أبان العامرية ولها يقول نابغة بن جعدة

وشاركنا قريشاً فى تقاها وفى أنسابها شَرَكَ العِنان

بما ولدت نساء بني هلال وما ولدت نساء بني أبان

وكانت آمنة هذه تحت أمية بن عبد شمس فولدت العاص وأبا العاص وأبا العيص والعويص وصفية وتوبة وأرْوَى بنى أمية ، فلما مات تزوجها ابنه أبو عمرو « وكان أهل الجاهلية يفعلون ذلك يتزوج الرجل امرأة أبيه بعده » فولدت له أبا معيط ، فكان بنو أمية من آمنة اخوة أبى معيط وعمومته

وأسر عقبة بن أبى معيط فى يوم بدر فقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم صبراً فقال له يامحمد أنا خاصة من قريش ؟ قال نعم ، قال فمن للصبية بعدى ؟ قال النار ، فلذلك يسمى بنو أبى معيط صبية النار ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً فضرب عنقه وقيل بل قتله عاصم بن ثابت ، حدث عروة بن الزبير قال سألت عبد الله بن عمر فقلت اخبرنى بأشد شىء صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فى حجر الكعبة اذ أقبل عقبة بن أبى معيط فوضع ثوبه فى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم فخنقه خنقاً شديداً فأقبل أبو بكر رحمه الله حتى أخذ بمنكبه فدفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم » ؟

وكان الوليد بن عقبة أخا عثمان بن عفان لأمه أمهما أرْوَى بنت عامر بن كُرَيز ، وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم ، والبيضاء وعبد الله أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم توءمان ، وكان عقبة بن أبى معيط قد تزوجها بعد

وفاة عفان فولدت له الوليد وخالداً وعمارة وأم كلثوم ، كل هؤلاء اخوة عثمان لأمه

والوليد يكنى أبا وهب وكان من فتيان قريش وشعرائهم وشجعانهم وأجوادهم

قال سعيد بن العاص لم يكن يجلس مع عثمان رضى الله عنه الا العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن حرب والحكم بن أبى العاص والوليد بن عقبة ، فأقبل الوليد يوماً فجلس ، ثم أقبل الحكم فلما رآه عثمان زحل له عن مجلسه ، فلما قام الحكم قال الوليد والله يا أمير المؤمنين لقد تلجلج في صدرى بيتان قلتهما حين رأيتك آثرت عمك على ابن أمك ، فقال له عثمان رضي الله تعالى عنه انه شيخ قريش فما البيتان اللذان قلتهما ؟ قال قلت

رأيت لعم المرء زُلفَى قرابة ... دوين أخيه حادثاً لم يكن قِدَما

فأملت عمراً أن يشب وخالداً ... لكى يدعوانى تحت مَزْحمة عمّا

يعني عمراً وخالداً ابنى عثمان ، فرق له عثمان وقال قد وليتك العراق « يعني الكوفة » ، فقدمها وعليها سعد بن أبى وقاص ، فأخبر بقدومه فقال وماصنع ؟ قال وقف فى السوق فهو يحدث الناس هناك ولسنا ننكر شيئاً من شأنه ، فلم يلبث أن جاءه نصف النهار فاستأذن على سعد فأذن له ، فسلم عليه بالامرة وجلس معه ، فقال له سعد ما أقدمك يا أبا وهب ؟ قال أحببت زيارتك ، قال وعلى ذلك أجئت بريداً ؟ قال أنا أرزن من ذلك ولكن القوم احتاجوا الى عملهم فسرحونى اليه وقد استعملنى أمير المؤمنين على الكوفة ، فمكث طويلا ثم قال لا والله ما أدرى أصلحت بعدنا أم فسدنا بعدك ؟ ثم قال

خذيني فجرّيني ضِباع فأبشرى ... بلحم امرىء لم يشهد اليوم ناصره

فقال أما والله لأنا أقول للشعر وأروى له منك ، ولو شئت أجبتك ولكني أدع ذلك لما تعلم ، نعم والله قد أمرت بمحاسبتك والنظر فى أمر عمالك ، ثم بعث الى عماله فحبسهم وضيق عليهم ، فكتبوا الى سعد يستغيثون فكلمه فيهم ، فقال أوللمعروف عندك موضع ؟ قال نعم والله ، فخلى سبيلهم

قالوا كان الوليد شريب خمر ، فشرب الخمر بالكوفة وقام ليصلى بهم الصبح فى المسجد الجامع فصلى بهم أربع ركعات ثم التفت اليهم وقال أزيدكم ؟ وتقيأ في المحراب وقرأ بهم فى الصلاة وهو رافع صوته

علِق القلب الربابا بعد ما شابت وشابا

فشخص أهل الكوفة الى عثمان فأخبروه خبره وشهدوا عليه بشربه الخمر ، فأتى به فأمر رجلا بضربه الحد ، فلما دنا منه قال له نشدتك الله وقرابتى من أمير المؤمنين فتركه ، نخاف على بن أبى طالب رضى الله عنه أن يعطل الحد فقام اليه ، فقال له الوليد نشدتك بالله وبالقرابة ، فقال على اسكت أبا وهب انما هلكت بنو اسراءيل بتعطيلهم الحدود ، فحده وقال لتدعونى قريش بعد هذا جلادها ، وقال الوليد بعد ما جلد اللهم انهم شهدوا على بزور فلا ترضهم عن أمير ولا ترض عنهم أميراً ، فقال الحطيئة يكذّب عنه

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه أن الوليد أحق بالعذر
خلعوا عنانك اذ جريت ولو تركوا عنانك لم تزل تجرى
ورأوا شمائل ماجد أنف يعطى على الميسور والعسر
فنُزعت مكذوباً عليك ولم تنزع الى طمع ولا فقر

فقال رجل من بني عجل يرد على الحطيئة

نادى وقد تمت صلاتهم أأزيدكم ؟ ثملا وما يدرى
ليزيدهم خيراً ولو قبلوا لقرنت بين الشفع والوتر
فأبَوا أبا وهب ولو فعلوا وصلتْ صلاتهمُ الى العشر

ولما ضرب عثمان الوليد الحد قال انك لتضربني اليوم بشهادة قوم ليقتلنك عاماً قابلاً

وكان أبو زبيد الطائى وفد على الوليد حين استعمله عثمان على الكوفة ، فأنزله

الوليد داراً لعقيل بن أبى طالب على باب المسجد فاستوهبها منه فوهبها له ، فكان ذلك أول الطعن عليه من أهل الكوفة لأن أبا زبيد كان يخرج من منزله حتى يشق الجامع الى الوليد فيسمرُ عنده ويشرب معه ويخرج فيشق المسجد وهو سكران فذلك نبههم عليه

قال الوليد بن عقبة لعلى بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، أنا أحد منك سناناً ، وأبسط منك لساناً ، وأملأ لكتيبة طعاناً ، فقال له على اسكت فانما أنت فاسق وقد نزل القرآن « أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً ؟ لا يستوون »

وقال قتادة فى قوله تعالى « ان جاءكم فاسق بنبأ » هذا فى الوليد بن عقبة بعثه النبى صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق مصدِّقاً فلما رأوه أقبلوا نحوه ، فهابهم ، فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أنهم قد ارتدوا عن الاسلام ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد وأمره أن يتثبت ولا يعجل ، فانطلق حتى أتاهم ليلاً فبث عيونه ، فلما جاءوه أخبروه أنهم متمسكون بالاسلام وسمعوا اذانهم وصلاتهم ، فلما أصبحوا أتاهم خالد فرأى ما يعجبه فرجع الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره ، وروى عن الوليد أنه قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة جعل أهل مكة يأتونه بصبيانهم فيدعو لهم بالبركة ويمسح على رؤسهم فجيء بى اليه وأنا مُخلَّق فلم يمسَني وما منعه الا أن أمى خلقتنى بخلوق فلم يمسنى من أجل الخلوق ، وروى الحسن أن الوليد كان عنده ساحر يريه كتيبتين تقتتلان فتحمل احداهما على الأخرى فتهزمها ، فقال الساحر أيسرك أن أريك هذه المنهزمة تغلب الغالبة فتهزمها ؟ قال نعم ، وأخبر جندب بذلك فاشتمل على السيف ثم جاء فقال أفرجوا أفرجوا فضربه حتى قتله ، ففزع الناس وخرجوا فقال يأيها الناس لا عليكم انما قتلت هذا الساحر لئلا يفتنكم فى دينكم ، فحبسه قليلا وتركه

قدم الوليد الكوفة زائراً للمغيرة بن شعبة فأتاه أشراف أهل الكوفة يسلمون

عليه ، فقالوا والله ما رأينا بعدك مثلك ، فقال أخيراً أم شراً ؟ فقالوا بل خيراً ، قال ولكني ما رأيت بعدكم شراً منكم ، فأعادوا الثناء عليه ، فقال بعضَ ما تثنون فوالله ان بغضكم لتلف وان حبكم لصَلَف ، وكان قبيصة بن جابر ممن كثر على الوليد فقال معاوية يوماً والوليد وقبيصة عنده ياقبيصة ما كان شأنك وشأن الوليد ؟ فقال خير يا أمير المؤمنين ، فى أولُ وصل الرَّحِم وأحسن الكلام فلا تسل عن الشكر وحسن الثناء ، ثم غضب على الناس وغضبوا عليه وكنا منهم فاما ظالمون فنستغفر الله واما مظلومون فغفر الله له وخذ فى غير هذا يا أمير المؤمنين فان الحديث ينسى القديم ، قال ولم ؟ فوالله لقد أحسن السيرة و بسط الخير وكف الشر ، قال فأنت أقدر على ذلك يا أمير المؤمنين منه فافعل ، قال اسكت لاسكتّ ، فسكت وسكت القوم ، فقال له مالك لا تتحدث ؟ قال نهيتنى عما كنت أحب فسكت عما أكره

خرج الوليد غازياً للروم وعلى مقدمته عتبة بن فرقد ، فلقيه الروم فقاتلوه ، فقال له رجل من العرب نصرانى لست على دينكم ولكني أنصحكم للنسب فالقوم مقاتلوكم الى نصف النهار فان رأوكم ضعفاء أفنوكم وان صبرتم هربوا وتركوكم ، فقال سليمان بن ربيعة يا معشر المسلمين ما عذركم غداً عند الله ان أصيب عتبة بن فرقد وأصحابه ولم يعنه أحد منكم ؟ فركب معه ثلاثة آلاف رجل على البغال يجنبون الخيل ، فلحقوا عتبة وأصحابه ، فقاتلوا معهم قتالاً شديداً حتى هزم الله الروم ، فقال الوليد

أتانى من الفجّ الذى كنت آمناً ... بقية شُذّاذ من الخيل ظُلَّع
عليها العبيد يضربون جنوبها ... ونازل منا كل خرق سَمَيْذَع
فانى زعيم أن تصيح نساؤهم ... صياح دَجاج القرية المتوزع

ولما نزع عثمان الوليد من الكوفة أمر عليها سعيد بن العاصى ، فلما أقبل عامداً للكوفة جعل يرتجز فى طريقه

ويل نُسيَّات العراق منى   كأنى سَمَعْمَعٌ من جن

ولما قدم الكوفة قال اغسلوا هذا المنبر فان الوليد كان رجساً ، فلم يصعده حتى غسل عيباً على الوليد ، وكان الوليد أسن منه وأسخى نفساً وألين جانباً وأرضى عندهم ، فقال بعض شعرائهم

يا ويلنا قد ذهب الوليد   وجاءنا من بعده سعيد

ينقص فى الصاع ولايزيد   يُجوِّع الاماء والعبيد

وقال آخر

فررت من الوليد الى سعيد   كأهل الحِجْر اذجزعوا فباروا

يلينا من قريش كل عام   أمير محدث أو مستشار

لنا نار تحرقنا فنخشى   وليس لهم فلا يخشون نار

وسعيد هذا هو صاحب القصر الذى يقول فيه أبو قطيفة

القَصْر فالنخل [1] فالجمَّاء بينهما   أشهى الى القلب من أبواب جيرون

الى البَلاط فما حازت قرائنه [2]   دور نزحن عن الفحشاء والهُون

قد يكتم الناس أسراراً فأعلمها   ولا ينالون حتى الموت مكنونى

وهذا القصر قد صار الى معاوية ، قال مصعب بن الزبير لما حضرت سعيد بن العاصي الوفاة وهو فى قصره هذا قال له ابنه عمرو لو نزلت الى المدينة ، فقال يا بنيَّ ان قومى لن يضنوا عليَّ بأن يحملونى على رقابهم ساعة من نهار واذا أنا مت فآذنهم فاذا واريتنى فانطلق الى معاوية فانعنى له وانظر في دينى واعلم أنه سيعرض عليك قضاءه فلا تفعل واعرض عليه قصري هذا فانى انما اتخذته نزهة وليس بمال ، فلما مات آذن الناس به فحملوه من قصره حتى دفن بالبقيع ورواحل عمرو بن سعيد

---

(١) نخل كان لسعيد عند قصره وبين الجماء وهى أرض كانت له . وأبواب جيرون بدمشق

(٢) القرائن دور كانت لبنى سعيد بن العاص متلاصقة سميت بذلك لاقترانها ، ونزحن بعدن

مُناخة ، فعزاه الناس على قبره وودعوه ، فكان هو أول من نعاه الى معاوية ، فتوجع له وترحم عليه ثم قال هل ترك ديناً ؟ قال نعم ثلثمائة الف ، قال هى عليَّ ، قال قد ظن ذلك وأمرنى ألاَّ أقبله منك وأعرض عليك بعض ماله فتبتاعه فيكون قضاء دينه منه ، قال فاعرض عليَّ ، قال قصره بالعرصة ، قال قد أخذته بدينه ، قال هو لك على أن تحملها الى المدينة وتجعلها بالوافية ، قال نعم ، فحملها له الى المدينة وفرقها فى غرمائه ، وكان أكثرها عِداتٍ ، فأتاه شاب من قريش بصك فيه عشرون ألف درهم بشهادة سعيد على نفسه وشهادة مولى له عليه ، فأرسل الى المولى فأقرأه الصك ، فلما قرأه بكى وقال نعم هـذا خطه وهذه شهادتى عليه ، فقال له عمرو من أين يكون لهذا الفتي عليه عشرون الف درهم وانما هوصُعلوك من صعاليك قريش ؟ قال أخبرك عنه ، مرَّ سعيد بعد عزله فاعترض له هذا الفتى ومشى معه حتى صار الى منزله فوقف له سعيد فقال ألك حاجة ؟ قال لا الا أنى رأيتك تمشي وحدك فأحببت أن أصل جناحك ، فقال لي ائتني بصحيفة ، فأتيته بهذه ، فكتب على نفسه هذا الدين وقال انك لن تصادف عندنا شيئاً نخذ هذا فاذا أتانا شيء فأتنا ، فقال عمرو لا جرم والله لا يأخذها الا بالوافية أعطه إياها ، فدفع اليه عشرين ألف درهم ، وكان الرجل يأتى سعيداً يسأله فلا يكون عنده فيقول ما عندي ولكن اكتب عليَّ به ، فيكتب عليه كتاباً ، فيقول أترونني أخذت منه ثمن هذا ؟ لا ولكنه يجيء فيسألنى فيتردد وجهه فى وجهي فأكره رده

لما قتل عثمان أرسل علي فأخذ ما كان في داره من السلاح وابل الصدقة فذلك حيث يقول الوليد

ألا من لليل لا تغور كواكبه ... اذا غار نجم لاح نجم يراقبه
بنى هاشم ردوا سلاح ابن أختكم ... ولا تنهبوه لا تحل مناهبه
بني هاشم لا تعجلوا باقادة ... سواء علينا قاتلوه وسالبه

فقد يجبر العظم الكسير وينبري لذي الحق يوماً حقه فيطالبه
وإنا وإياكم وما كان منكمُ كصَدْعِ الصفَا لا يَرْأَبُ الصدعَ شاعبه
بني هاشم كيف التعاقد بيننا وعند عليّ سيفه ونجائبه
لعمرك لا أنسى ابن أروى وقتله وهل ينسينَّ الماءَ ما عاش شاربه
همُ قتلوه كي يكونوا مكانه كما غدرت يوماً بكسرى مرازبه
واني لمجتاب اليكم بجحفل يُصِمّ السميعَ جرْسُه وجلائبه

وقال يرثي عثمان ويحرض معاوية

فوالله ما هند بأمك ان مضى النهار ولم يثأر بعثمان ثائر
أيقتل عبد القوم سيدَ أهله ولم تقتلوه ليت أُمك عاقر
وانا متى نقتلهمُ لا يُقِد بهم مقيد وقد دارت عليك الدوائر

وقال وقد أبلغه بجاد مولى عثمان مقتل عثمان

طال ليلي وملّني عوادي وتجافى عن الضلوع مهادي
من حديث نمى إليَّ فما يرقأ دمعي ولا أُحِسُّ رقادي
ليت أني هلكت قبل حديث سلَّ جسمي وريعَ منه فؤادي
يوم لاقيت بالبلاط بجاداً ليت أني هلكت قبل بجاد
وبنفسي التي أحب وأهلي وبمالي وطارفي وتلادي
قلت لا تغضبي فذلك قولي بلساني وما يجن فؤادي

وفد الوليد وكان جواداً على معاوية ، فقيل له هذا الوليد بن عقبة بالباب ، فقال والله ليرجعن معطياً غير معطىً فانه الآن قد أتانا يقول عليَّ دين وعليَّ كذا وكذا ، يا غلام ائذن له ، فأذن له ، فسأله وتحدث معه ثم قال والله ان كنا لنحب ايثار مالك بالوادي وقد أعجب أمير المؤمنين فان رأيت أن تهبه ليزيد فعلت ، فقال الوليد هو ليزيد ، ثم خرج وجعل يختلف الى معاوية أياماً فقال له يوماً انظر

يا أمير المؤمنين فى شأنى فان عليَّ مؤونة وقد أرهقنى دين ، فقال له معاوية ألا تستحيى لحسبك ونسبك تأخذ ما تأخذه فتبذره ثم لا تنفك تشكو ديناً ، فقال له الوليد أفعل ، ثم انطلق مكانه فصار الى الجزيرة فقال

فاذا سئلت تقول لا — واذا سألت تقول هات
تأبى فعال الخــير لا — تروَى وأنت على الفرات
أفلا تميــــل الى نعم — أو ترك لا حتى الممات

فبلغ معاوية مقدمه الجزيرة فخافه وكتب اليه أن أقبل إليَّ ، فكتب اليه

أعِفُّ وأستغنى كما قد أمرتنى — فأعط سواى ما بدا لك وانحَل
سأحدو ركابى عنك ان عزيمتي — اذا نابنى أمر كسلَّة منصُلُ
وانى امرؤٌ للرأى منى تطرف — وليس شبا قُفْل عليَّ بمقفـــل

ورحل الى الحجاز فبعث اليه معاوية بجائزة

وأبو قَطيفة يكنى أبا الوليـد ، وأبو قطيفة لقب لقب به ، وأمه بنت الربيع بن ذى الخمار من بني أسد بن خزيمة

لما سار الحسين بن على عليهما السلام الى العراق شمر ابن الزبير للأمر الذى أراده ولبس المُعافِرىّ وشبر بطنه وقال انما بطنى شبر وما عسى أن يسع الشبر ، وجعل يظهر عيب بنى أمية ويدعو الى خلافهم ، فأمهله يزيد سنة ثم بعث اليه عشرة من أهل الشام عليهم النعمان بن بشير ، وكان أهل الشام يسمون أولئك العشرة النفر الراكب ، وهم عبد الله بن عضاه الأشعرى ، ورَوح بن زِنباع الجُذامى ، وسعد بن حمزة الهَمْدانى ، ومالك بن هُبيرة السَّكونى ، وأبو كَبْشة السَّكْسَكى ، وزُمَّل بن عمر العذرى ، وعبد الله بن مسعدة الفزارى وأخوه عبد الرحمن ، وشريك بن عبد الله الكنانى ، وعبد الله بن عامر الهمدانى ، وجعل عليهم النعمان ابن بشير فأقبلوا حتى قدموا مكة على ابن الزبير ، فكان النعمان يخلو به فى الحجر

كثيراً ، فقال له عبد الله بن عضاه يوماً يا ابن الزبير ان هذا الأنصارى والله ما أمر بشىء الا وقد أمرنا بمثله ، الا أنه قد أُمِّرَ علينا وانى والله ما أدرى ما بين المهاجرين والأنصار ، فقال ابن الزبير يا ابن عضاه مالى ولك ؟ انما أنا بمنزلة حمام من حمام مكة ، أفكنت قاتلاً حماماً من حمام مكة ؟ قال نعم ، وما حرمة حمام مكة ؟ ياغلام ائتنى بقوسي وأسهمى ، فأتاه بقوسه وأسهمه ، فأخذ سهماً فوضعه فى كبد القوس ثم سدده نحو حمامة من حمام المسجد وقال ياحمامة أيشرب يزيد بن معاوية الخمر ؟ قولى نعم فوالله لئن فعلت لأرمينك ، ياحمامة أتخلعين يزيد بن معاوية وتفارقين أمة محمد صلى الله عليه وسلم وتقيمين فى الحرم حتى يستحلّ بك ؟ والله لئن فعلت لأرمينك ، فقال ابن الزبير ويحك أوَ يتكلم الطائر ؟ قال لا ولكنك ياابن الزبير تتكلم ، أقسم بالله لتبايعن طائعاً أو مكرهاً أو لتعرفن راية الأشعريين فى هذه البطحاء ثم لا أعظم من حقها ماتعظم ، فقال ابن الزبير أوَ يستحل الحرم ؟ قال انما يُحله من ألحد فيه ، فحبسهم شهراً ثم ردهم الى يزيد ولم يجبه الى شىء ، وقال أبو العباس الأعمى يذكر ذلك وشبر ابن الزبير بطنه

ما زال فى سورة الأعراف يدرُسها   حتى فؤادى مثل الخزّ فى اللين
لو كان بطنك شبراً قد شبعت وقد   أفضلت فضلاً كثيراً للمساكين

ثم ان ابن الزبير مضى الى صفية بنت أبى عبيد زوج عبد الله بن عمر فذكر لها أن خروجه كان غضباً لله تعالى ورسوله عليه السلام والمهاجرين والأنصار من أثَرة معاوية وابنه وأهله بالفىء وسألها مسألته أن يبايعه ، فلما قدمت له عشاءه ذكرت له أمر ابن الزبير واجتهاده وأثنت عليه وقالت ما يدعو الا الى طاعة الله عز وجل وأكثرت القول فى ذلك ، فقال لها أما رأيت بغلات معاوية اللواتى كان يحج عليهن الشُّهب ؟ فان ابن الزبير ما يريد غيرهن ، وأقام ابن الزبير على خلع يزيد ومالأ على ذلك أكثر الناس ، فدخل عليه عبد الله بن مطيع وعبد الله بن

حنظلة وأهل المدينة المسجد وأتوا المنبر فخلعوا يزيد فقال عبد الله بن أبى عمرو بن حفص المخزومى خلعت يزيد كما خلعت عمامتى ونزعها عن رأسه وقال انى لأقول هـذا وقد وصلنى وأحسن جائزتى ولـكن عدو الله سكير خمير ، وقال آخر خلعته كما خلعت نعلى ، وقال آخر خلعته كما خلعت ثوبى ، وقال آخر قد خلعته كما خلعت خفى حتى كثرت العمائم والنعال والخفاف وأظهروا البراءة منه وأجمعوا على ذلك ، وامتنع عبد الله بن عمر ومحمد بن على بن أبى طالب ، وجرى بين محمد خاصة وبين أصحاب ابن الزبير فيه قول كثير حتى أرادوا اكراهه على ذلك فخرج الى مكة وكان هذا أول ماهاج الشر بينه وبين ابن الزبير ، واجتمع أهل المدينة لاخراج بني أمية عنها فأخذوا عليهم العهود ألاّ يعينوا عليهم الجيش وأن يردوهم عنهم فان لم يقدروا على ردهم لايرجعوا الى المدينة معهم ، فقال لهم عثمان بن محمد بن أبى سفيان أنشدكم الله فى دمائكم وطاعتكم فان الجنود تأتيكم وتطؤكم وأعذر لكم ألاّ تخرجوا أميركم انكم ان ظفرتم وأنا مقيم بين أظهركم فما أيسر شأنى وأقدركم على اخراجى وماأقول هذا الا نظراً لكم أريد به حقن دمائكم ، فشتموه وشتموا يزيد وقالوا لانبدأ إلا بك ثم نخرجهم بعدك ، فأتى مروان عبد الله بن عمر فقال يا أبا عبد الرحمن ان هؤلاء القوم قد ركبونا بما ترى فضم عيالنا ، فقال لست من أمركم وأمر هؤلاء فى شيء فقام وهو يقول قبح الله هذا أمراً وهذا ديناً ، ثم أتى على بن الحسين عليهما السلام فسأله أن يضم أهـله وثقله ، ففعل ووجههم وامرأته أم أبان بنت عثمان الى الطائف ومعها ابناه عبد الله ومحمد ، فعرض حريث رقّاصة [1] لثقل مروان وفيه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب فضربته بعصا فكادت تدق عنقه فولى ومضى ، ومضوا الى الطائف وأخرجوا بنى أمية فنخس بهم سليمان بن أبى جهم العدوى

(١) مولى لبنى بهز من سليم كان بعض عمال المدينة قطع رجله فكان اذا مشى كأنه يرقص فسمى رقاصة

وحريث رقاصة ، فأراد مروان أن يصلي بمن معه فمنعوه وقالوا لا يصلي والله بالناس أبداً ولكن ان أراد أن يصلي بأهله فليصل ، فصلى بهم ومضى فمر مروان بعبد الرحمن بن أزهر الزهري فقال له هلم إليَّ يا أبا عبد الملك فلا يصل اليك مكروه ما بقي رجل من بني زُهرة ، فقال له وصلتك رَحِم ، قومنا على أمر فأكره أن أعرضك لهم ، وقال ابن عمر بعد ذلك لما أخرجوا وندم على ما كان قاله لمروان لو وجدت سبيلا الى نصر هؤلاء لفعلت فقد ظلموا و بغي عليهم ، فقال ابنه سالم لو كلمت هؤلاء القوم ، فقال يابني لاينزع هؤلاء القوم عما هم عليه وهم بعين الله ان أراد أن يغير غير ، فمضوا الى ذي خُشُب وفيهم عثمان بن محمد بن أبي سفيان والوليد بن عتبة بن أبي سفيان واتبعهم العبيد والصبيان والسفلة يرمونهم ، ثم رجع حريث رقاصة وأصحابه الى المدينة ، وأقامت بنو أمية بذي خُشُب عشرة أيام وسرحوا حبيب بن كُرَّة الى يزيد بن معاوية يعلمونه وكتبوا اليه يسألونه الغوث ، وبلغ أهل المدينة أنهم وجهوا رجلا الى يزيد فخرج محمد بن عمرو بن حزم ورجل من بني بَهز بن سليم وحريث رقاصة وخمسون راكباً فأزعجوا بني أمية منها فنخس حريث بمروان فكاد يسقط عن ناقته فأخر عنها وزجرها وقال اعلي واسلمي ، فلما كانوا بالسُّويداء عرض لهم مولى لمروان فقال جعلت فداك لو نزلت فأرحت وتغديت فالغداء حاضر كثير قد أدرك ، فقال لايدعني رقاصة وأشباهه وعسى أن يمكن الله منه فنقطع يده ، ونظر مروان الى ماله بذي خُشُب فقال لا مال الا ما أحرزته العِياب ، فمضوا فنزلوا وادي القرى ، فدخل حبيب بن كرة على يزيد وهو واضع رجليه في طست لوجع كان يجده بكتاب بني أمية وأخبره الخبر ، فقال أما كان بنو أمية ومواليهم الف رجل ؟ قال بلى وثلاثة آلاف ، قال أفعجزوا أن يقاتلوا ساعة من نهار ؟ قال كثرهم الناس ولم تكن لهم بهم طاقة ، فندب الناس وأمر عليهم صخر بن أبي الجهم القيني فمات قبل أن يخرج الجيش فأمر عليهم مسلم بن عقبة الذي يسمى

مسرفاً وقال ليزيد ما كنت مرسلا الى المدينة أحداً لا قصر وما صاحبهم غيرى ، انى رأيت فى منامى شجرة غرقد تصيح « على يدى مسلم » فأقبلت نحو الصوت فسمعت قائلاً يقول أدرك ثأرك أهل المدينة قتلة عثمان نخرج مسلم ، وكان من قصة أهل الحرَّة ما كان على يده ، فقال أبو قطيفة فى ذلك لما أخرجوا عن المدينة

بكى أُحُد لما تحمل أهلهُ ... فكيف بذي وجد من القوم آلِف
من اَجل أبى بكرٍ جلَت عن بلادها ... أميـة والأيام ذات تصارف

وقال أيضاً

بكى أُحُد لما تحمل أهلهُ ... فسلْع فدار المال أمست تَصدَّع
وبالشام اخوانى وجل عشيرتى ... فقد جعلت نفسى اليهم تَطلَّع

وقال

ليت شعري هل البَلاط كعهدى ... والمصلَّى الى قصور العقيق
لامني فى هواك يا أم يحيى ... من مُبين بغشه أو صديق

وكان ابن الزبير قد نفى أبا قطيفة مع من نفاه من بني أمية عن المدينة الى الشام فلما طال مقامه بها قال

ألا ليت شعرى هل تغير بعدنا ... قُباء وهل زال العقيق وحاضره
وهل بَرِحت بطحاء قبر محمد ... أراهطُ غرّ من قريش تباكره
لهم منتهى حبي وصفو مودتى ... ومحض الهوى مني وللناس سائره

وقال

ليت شعرى وأين مني لَيْت ... أعلى العهد يَلْبَن (1) فبَرام
أم كعهدى العقيق أم غيرته ... بعدىَ الحادثات والأيام
وبأهلى بدلت عكَّا ولَخْما ... وجُذاما وأين مني جُذام

(1) جبل قرب المدينة وبرام جبل فى بلاد بنى سليم عند الحرة من ناحية البقيع

وتبدلت من مسا كن قومى والقصور التى بها الآطام (١)
كل قصر مشيد ذي أواس (٢) يتغنى على ذراه الحمام
اقر منى السلام أن جئت قومى وقليل لهم لدىَّ السلام
أقطع الليل كله با كتئاب وزفير فما أكاد أنام
نحو قومى اذ فرقت بيننا الدا ر وحادت عن قصدها الأحلام
خشية أن يصيبهم عنت الدهر وحرب يشيب منها الغلام
فلقد حان أن يكون لذا الدهر عنا تباعد وانصرام

ولما بلغ ابن الزبير هذا الشعر قال أحسن والله أبو قطيفة وعليه السلام ورحمة الله ، من لقيه فليخبره أنه آمن فليرجع ، فأخبر بذلك فانكفأ الى المدينة راجعاً ، فلم يصل اليها حتى مات

وقال

ألا ليت شعرى هل تغير بعدنا جَبُوب المصلَّى أم كعهدالقرائن (٣)
وهل أدْؤُر حول البلاط عوامر من الحى أم هل بالمدينة سا كن
اذا بَرَقت نحو الحجاز سحابة دعا الشوق مني برقها المتيامن
فلم أترَكها رغبة عن بلادها ولكنه ما قدَّرَ الله كائن
أحن الى تلك الوجوه صبابة كأنى أسير فى السلاسل راهن

وكان يتحرق على المدينة فأتى عبَّاد بن زياد ذات يوم عبد الملك فقال له ان أخاً له أخبره أن العراقين قد فتحا ، فقال عبد الملك لأبى قطيفة لما يعلمه من حبه المدينة أما تسمع الى ما يقول عباد عن خاله قد طابت لك المدينة الآن فقال أبو قطيفة

(١) الآطام الدور المسطحة السقوف (٢) الآسية الدعامة وجمعها أواس وروى ذى أواش كأنه أراد أن هذه القصور موشية أى منقوشة (٣) القرائن موضع بالمدينة والبلاط موضع بالمدينة مبلط بالحجارة بين المسجد وسوق المدينة والجبوب الأرض الصلبة

انى لأحمق من يمشى على قدم ان غرنى من حياتى حال عبّاد
أنشا يقول لنا المصران قد فتحا ودون ذلك يوم شره باد

وأمّ أبى قطيفة أرْوَى بنت أبى عقيل بن مسعود وهى أُمّ أخيه خالد ، وفى ذلك يقول

أنا ابن أبى مُعيط حين أنْمِى لأكرم ضِنْضِئِى وأعز جيل
وأنْمِى للعقائل من قُصَيّ ومخزوم فما أنا بالضئيـــــل
وأرْوَى من كُرَيز قد نمتنى وأروى الخير بنت أبى عقيل
كلا الحيين من هذا وهــذا لعمر أبيك فى الشرف الطويل
فعدِّد مثلهن أبا ذباب (١) فيعـلم ما تقول ذوو العقول
فما الزّرقاء (٢) لى أُمًّا فأخزى ولا لى فى الأزارق من سبيل

بلغ أبا قطيفة أن عبد الملك ينتقصه فقال

نبئت أن ابن العَمَلَّس عابنى ومن ذا من الناس البرىء المسلم
فمن أنتمُ من أنتمُ خـبروا فمن فقد جعلت أشياء تبدو وتـكتم

فبلغ ذلك عبد الملك فقال ما ظننت أنا نجهل والله لولا رعايتى لحرمته لألحقته بما يعلم ولقطعت جلده بالسياط

طلق أبو قطيفة امرأته ثم ندم ، فقال بعد أن تزوجها رجل من أهل العراق

فيا أسـفا لفرقة أمّ عمرو ورحلة أهلها نحو العراق
فليس الى زيارتها سبيل ولا حتى القيامة من تلاق
وعلّ الله يرْجِعها الينا بموت من حليل أو طلاق
فأرجع شامتاً وتقرّ عينى ويجمع شملنا بعـد افتراق

(١) يعنى عبد الملك بن مروان (٢) الزرقاء احدى أمهاته من كندة وكان يعير بها

ورثى سعيد بن عثمان بن عفان بقوله

يا عين جودي بدمع منك تهتانا　　وابكي سعيد بنَ عثمان بنِ عفانا
ان ابن زينة لم تصدق مودته　　وفر عنه ابن أرطاة بن سيْحانا

يزيد بن معاوية

مما يغني فيه من شعره

ألا يا صاح للعجب　　دعوتك ثم لم تجب
الى القيْنات واللذا　　ت والصهباء والطرب
وباطيــــة مُكالَلة　　عليها سادة العرب
وفيهن التى تبلت　　فؤادك ثم لم تتب

قدم سلم بن زياد على يزيد فنادمه فقال له ليلة ألا أُوليك خراسان ، قال بلى وسجستان ، فعقد له فى ليلته فقال

اسقنى شربة تروّى عظامى　　ثم عد واسق مثلها ابن زياد
موضع السر والأمانة منى　　وعلى ثغر مغنمى وجهادى

ومن قوله فى إجارته للأخطل من الأنصار

دعا الأخطل الملهوف بالشر دعوة　　فأيّ مجيب كنت لما دعانيا
ففرج عنه مشهد القوم مشهدى　　وألسـنة الواشين عنه لسانيا

ومن قوله فى علة أبيه التى مات فيها

جاء البريد بقرطاس يَخُبّ به　　فأوجس القلب من قرطاسه فزعا
قلنا لك الويل ماذا فى صحيفتكم　　قال الخليفة أمسى مثبتاً وجعا
مادت بنا الأرض أوكادت تميد بنا　　كأن ما عزّ من أركانها انقلعا
من لم تزل نفسه توفى على وجل　　توشك مقادير تلك النفس أن تقعا

لما وردت وباب القصر منطبق | لصوت رملة هدّ القلب فانصدعا

وكان يومئذ غازياً غزاة الصائفة ، وسبب ذلك أن معاوية وجه جيشاً الى بلد الروم ليغزوا الصائفة ، فأصابهم جُدَرِيّ ، فمات أكثر المسلمين ، وكان ابنه يزيد مصطبحاً بدير مُرّان مع زوجته أمّ كلثوم فقال

اذا ارتفقت على الأنماط مصطبحاً | بدير مُرّان عندى أمّ كلثوم

فما أبالي بما لاقت جنودهمُ | بالغذقدونة من حُمَّى ومن موم (١)

فبلغ شعره أباه ، فقال أجلْ والله ليلحقن بهم فليصيبنه ما أصابهم ، فخرج حتى لحق بهم وغزا حتى بلغ القسطنطينية ، فنظر الى قبتين مبنيتين عليهما ثياب الديباج فاذا كانت الحملة للمسلمين ارتفع من احداهما أصوات الدفوف والطبول والمزامير ، واذا كانت الحملة للروم ارتفع من الأخرى ، فسأل يزيد عنهما ، فقيل له هذه بنت ملك الروم وتلك بنت جبَلَة بن الأيهم ، وكل واحدة منهما تظهر السرور بما تفعله عشيرتها ، فقال أمَ والله لأسرنّها ، ثم حث العسكر وحمل حتى هزم الروم فأجحرهم فى المدينة وضرب باب القسطنطينية بعود حديد كان فى يده فهشمه حتى انخرق فضرب عليه لوح من ذهب فهو عليه حتى اليوم

قال القحذمى كانت ميْسون بنت بَحْدَل الكلبية تزين يزيد بن معاوية وترجّل جمته ، فاذا نظر اليه معاوية قال

فان مات لم يفلح مزينه بعده | فعوض عليه يا مزينَ التمائما

قال لقيط بن نصر المحاربى كان يزيد بن معاوية أول من سن الملاهى فى الإسلام من الخلفاء وآوى المغنين وأظهر الفتك وشرب الخمر ، وكان ينادم عليها سرجون النصرانى مولاه والأخطل ، وكان يأتيه من المغنين سائب خاثر فيقيم عنده فيخلع عليه ويصله ، فغناه يوماً

---

(١) الموم البرسام وأشد الجدرى والغذقدونة اسم جامع للثغر الذى منه المصيصة وطرسوس وغيرهما

يا للرجال لمظلوم بضاعتـــه ببطن مكة نائى الأهل والنفر

فاعترته أريحية فرقص حتى سقط ، ثم قال اخلعوا عليه خلعاً يغيب فيها حتى لا يرى منه شيء ، فطرحت عليه الثياب والجباب والمطارف والخز حتى غاب فيها

خالد بن يزيد

هو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان من رجالات قريش سخاء وعارضة وفصاحة ، وكان قد شغل نفسه بطلب الكيمياء فأفنى بذلك عمره وأسقط نفسه ، وكان يوصف بالعلم ويقول الشعر ، خطب رملة بنت الزبير وقال فيها

أليس يزيد السيرُ فى كل ليلة وفى كل يوْم من أحبتنا قربا
أحن الى بنت الزبير وقد علت بنا العيس خرقاً من تهامة أو نقبا
اذا نزلت أرضاً تحبب أهلها الينا وان كانت منازلها حربا
وان نزلت ماء وان كان قبلها مليحاً وجدنا ماءه بارداً عذبا
تجول خلا خيل النساء ولا أرى لرملة خلخالا يجول ولا قُلبا
أقلوا عليَّ اللوم فيهـــا فاننى تخيرتها منهم زبيرية قلبا
أحب بنى العوام طراً لحبها ومن حبها أحببت أخوالها كلبا

قال أبو زيد وزادوا فى الأبيات

فان تسلمى نُسلم وان تتنصرى تخط رجال بين أعينهم صلبا

وتزوج بنت عبد الله بن جعفر بن عليّ بن أبى طالب عليه السلام فقال فيها

جاءت بها دُهم البغال وشبهها مقنعة فى جوف حدْج مخدر
مقابلة بين النبى محمـــد وبين عليّ والحوارى جعفر
منافية جادت بخالص ودها لعبـــد منافى أغر مشهر

العرْجي

هو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبي العاصي بن أمية ، وأمه آمنة بنت سعيد بن عثمان ، وقيل له العَرْجي لأنه كان يسكن عَرْج الطائف ، وكان من شعراء قريش ومن شهر بالغزل منها ونحا نحو عمر بن أبي ربيعة فى ذلك وتشبه به فأجاد ، وكان مشغوفاً باللهو والصيد ، حريصاً عليهما ، قليل المحاشاة لأحد فيهما ، ولم يكن له نباهة في أهله ، وكان أشقر أزرق جميل الوجه ، شبب بجيداء وهي أم محمد بن هشام بن اسمعيل المخزومى ، وكان ينسب بها ليفضح ابنها لا لمحبة كانت بينهما ، فكان ذلك سبب حبس محمد اياه وضربه له حتى مات في السجن فقال فى حبسه

أضاعونى وأىَّ فتى أضاعوا ... ليوم كريهة وسداد ثغْر
وصبر عند معترك المنايا ... وقد شرعت أسنتهم بنحرى
أجرر فى المجامع كل يوم ... فيالله مظلمتى وقسرى
كأنى لم أكن فيهم وسيطاً ... ولم تلك نسبتى فى آل عمرو

كان لأبي حنيفة جار بالكوفة يغني ، فكان اذا انصرف وقد سكر يغنى فى غرفته ويسمع أبو حنيفة غناءه فيعجبه ، وكان كثيراً ما يغنى

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ... ليوم كريهة وسداد ثغر

فلقيه العَسس ليلة فأخذوه وحبس ففقد أبو حنيفة صوته تلك الليلة فسأل عنه من غد فأخبر ، فدعا بسواده وطويلته فلبسهما وركب الى عيسى بن موسى فقال له ان لي جاراً أخذه عسسك البارحة فحبس وما علمت منه الا خيراً ، فقال عيسى سلموا الى أبي حنيفة كل من أخذه العسس البارحة ، فأطلقوا جميعاً فلما خرج الفتى دعا به أبو حنيفة وقال له سراً ألست كنت تغنى يافتى كل ليلة « أضاعونى وأى فتى

أضاعوا » فهل أضعناك ؛ قال لا والله أيها القاضى ولكن أحسنت وتكرمت أحسن الله جزاءك ، قال لتعد الى ما كنت فتغنيه فانى كنت آنس بك ولم أر به بأساً ، قال أفعل ، وقال الاصمعى مررت بكناس بالبصرة يكنس كنيفاً ويغنى « أضاعونى وأى فتى أضاعوا » فقلت له أما سداد الكنيف فأنت ملىء به وأما الثغر فلا علم لي بك كيف أنت فيه ، وكنت حديث السن فأردت العبث به ، فأعرض عني ملياً ثم أقبل على فأنشد متمثلا

وأكرم نفسى انني ان أهنتها   وحقك لم تكرم على أحد بعدى

فقلت له والله ما يكون من الهوان شيء أكثر مما بذلتها له ، فبأى شيء أكرمتها ؛ فقال بلى والله ان من الهوان لشراً مما أنا فيه ، فقلت وماهو ؟ فقال الحاجة اليك والى أمثالك من الناس ، قال الأصمعى فانصرفت عنه وأنا أخزى الناس ، قال اسحاق الموصلى اختصر الأصمعى فيما أرى الجواب وستر أقبحه على نفسه والافكناس كنيف قائم يكنسه ويعبث به هذا العبث فيرضى بهذا الجواب الذى لايجيب بمثله الأحنف بن قيس لو كانت المخاطبة له

كانت مولاة لثقيف اسمها كلابة عند عبد الله بن القاسم الأموى العبلى وكان يبلغها تشبيب العرجي بالنساء وذكره لهن فى شعره وكانت كلابة تكثر أن تقول لشدّ ما اجترأ العرجى على نساء قريش حتى يذكرهن في شعره ، ولعمرى مالقى أحداً فيه خير ولئن لقيته لأسودن وجهه ، فبلغه ذلك عنها ، وكان العبلى نازلا على ماء لبنى نصر بن معاوية يقال له الفُتُق على ثلاثة أميال من مكة على طريق من جاء من نجران أو تبالة الي مكة والعرج أعلاها قليلا مما يلى الطائف ، فبلغ العرجى أنه خرج الى مكة فأتى قصره فأطاف به ، فخرجت اليه كلابة وكان خلفها فى أهله فصاحت به اليك ويحك ، وجعلت ترميه بالحجارة وتمنعه أن يدنو الى القصر ، فاستسقاها ماء فأبت أن تسقيه وقالت لايوجد والله أثرك عندى أبداً فيلصق بى منك عسر ، فانصرف وقال ستعلمين وقل

حُور بعثن رسولاً فى ملاطفة ثَقفاً اذا عقل النَّسَّاءة الوَهم
اليَّ أنْ إيتنا هدْأً اذا غفلت أحراسنا ، وافتضحنا انهمُ علموا
فجئت أمشى على هول أُجَشَّمه تجشمُ المرء هولاً في الهوى كرم
اذا تخوفت من شىء أقول له قد جفَّ فامض بشىء قُدِّر القلم
أمشى كما حركت ريح يمانية غصناً من البان رَطْباً طَلَّه الدِّيم
فى حلة من طراز السوس مُشْرَبَة تعفو بهُدَّابها ما أثرت قدم
خلت سبيلى كما خليت ذا عذر اذا رأته عتاق الخيل ينتجم
وهن في مجلس خال وليس له عين عليهن أخشاها ولا قدم
حتى جلست إزاء الباب مكتتما وطالب الحاج تحت الليل مكتتم
أَبدَيْن لى أعيناً نُجلاً كما نظرت أُدْمٌ هِجان أتاها مُصْعَب قطم
قالت كُلابة من هذا ؟ فقلت لها أنا الذى أنت من أعدائه زعموا
أنا امرؤ جد بى حب فأحرضنى حتى بليت وحتى شفنى السقم
لا تَكِلينى الى قوم لوآنهمُ من بغضنا أُطعموا لحمي اذاً طعموا
وأنعمى نعمة تُجْزَيْ بأحسنها فطالما مسنى من أهلك النعم
ستر المحبين فى الدنيا لعلهمُ أن يحدثوا توبة فيها اذا أثموا
هذى يمينىَ رهن بالوفاء لكم فارضَيْ بها ولأنف الكاشح الرَّغم
قالت رضيت ولكن جئت فى قمر هلا تلبثت حتى تدخل الظلم
فبت أُسقى بأكواس أُعَلُّ بها من بارد طاب منها الطعم والنسم
حتى بدا ساطع للفجر تحسبه سنا حريق بليل حين يضطرم
كغُرَّة الفرس المنسوب قد حسرت عنه الجلال تلالا وهو يلتجم
ودعتهن ولا شىء يراجعني الا البنان وإلا الأعين السُّجُم
اذا أردن كلامى عنده اعترضت من دونه عبرات فانثنى الكلم

تكاد اذ رمن نهضاً للقيام معى أعجازهن من الأنصاف تنقصم

فسمع ابن القاسم العبلى بالشعر يغنى به ، وكان العرجى أعطاه جماعة من المغنين وسألهم أن يغنوا فيه ، فصنعوا في أبيات منه عدة ألحان ، وقال والله لا أجد لهذه الأمة شيئاً أبلغ من ايقاعها تحت التُّهَمة عند ابن القاسم ليقطع ما كانها من ماله ، فلما سمع العبلى بالشعر يغنى به أخرج كلابة واتهمها ، ثم أرسلها بعدزمان على بعير بين غرارتى بعر فأحلفها بمكة بين الركن والمقام أن العرجى كذب فيما قاله ، فحلفت سبعين يميناً ، فرضي عنها وردها ، فكان بعد ذلك اذا سمع قول العرجى « فطالما مسني من أهلك النعم » قال كذب والله مامسه ذلك قط

وقال يشبب بامرأة من بني نصر بن معاوية اسمها عاتكة

يادار عاتكة التى بالأزهر (١) أو فوقه بقفا الكثيب الأحمر
لم ألق أهلك بعد عام لقيتهم ياليت أن لقاءهم لم يقدر
بفناء بيتك وابن مِشْعب (٢) حاضر فى سامر عطِر وليل مقمر
مستشعرين ملاحفاً هرَوِيَّة بالزعفران صباغها والعصفر
باتا بأنعم ليلة حتى بدا صبح تلوّح كالأغرّ الأشقر
فتلازما عند الفراق صبابة أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

وقال فى أمّ الأوقص التيمية ، وكان يتعرض لها فتستتر منه فاحتال حتى رآها وقال

أقول لصاحبىَّ ومثل ما بى شكاه المرء ذو الوجد الأليم
الى الأخوين مثلهما اذا ما تأوّبه مؤرقة الهموم
لحينى والبلاء لقيت ظهراً بأعلى النقع أختَ بني تميم
فلما أن رأت عيناى منها أسيل الخد فى خلَق عميم

(١) الأزهر على ثلاثة أميال من الطائف (٢) مغن من أهل مكة كان في زمن ابن سريج

وعيني جُؤْذَر خَرِق وثغر   كلون الأُقحوان وجيدَ رِيم

حنا أترابها دونى عليها   حُنُوَّ العائدات على السقيم

وتزوج العرجى أم عثمان بنت بكير بن عمرو بن عثمان ، وأمها سكينة بنت مصعب بن الزبير ، فقال فيها

أن عثمان والزبير أحلا   دارها باليفاع اذ ولداها

انها بنت كل أبيض قَرْم   نال فى المجدمن قُصيّ ذراها

سكن الناس بالظواهر منها   وتبوَّا لنفسه بَطْحاها

ولما تزوج الرشيد زوجته العثمانية أُعْجب بها فكان كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات

قال عبد الله بن عمر العمرى خرجت حاجاً فرأيت امرأة جميلة تتكلم بكلام رفثت فيه فأدنيت ناقتى منها ثم قلت لها يا أمة الله ألست حاجة ؟ أما تخافين الله ؟ فسفرت عن وجه يبهر الشمس حسناً ثم قالت تأمل ياعم فاننى ممن عناه العرجي بقوله

أماطت كساء الخَز عن حرّ وجهها   وأدنت على الخدين بُرْداً مهلهلا

من اللاء لم يَحْجُجْن يبغين حِسْبة   ولـكن ليقتلن البرىء المغفلا

فقلت لها أسأل الله ألا يعذب هذا الوجه بالنار ، وبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال أما والله لو كان من بعض بغضاء العراق لقال لها اعزُبى قبحك الله ولـكنه ظَرف عباد أهل الحجاز

ومما قاله العرجى في أم محمد بن هشام

عوجى علينا ربة الهودج   انك الا تفعلى تحرَجى

انى أتيحت لي يمانية   احدى بنى الحرث من مَذْحج

نلبث حولا كاملا كله   ما نلتقى إلا على منهج

فى الحج ان حجت وماذا منًى   وأهله ان هى لم تَحْجُج ؟

أيسر ما نال محب لدى   بين حبيب قوله عرّج

نقض لكم حاجة أو نقل ... هل لىَ مما بيَ من مخرج

وقال يشبب بجبرة المخزومية ، وهى زوج محمد بن هشام

عوجى على فسلمى جَبْرُ ... فيم الصدود وأنتمُ سَفْرْ
ما نلتقى إلا ثلاث منًى ... حتى يفرق بيننا النَفْرْ
الحول بعـد الحول يتبعه ... ما الدهر الا الحول والشهر

ومما قاله العرجي فى سجنه

وكم من كاعب حوراء بكر ... ألوف الستر واضحة التراقى
بكت جزعا وقد سُمرت كُبول ... وجامعة يشد بهـا خناقى
على دهمـاء مشرفة سَموق ... ثناها القمح مزلقـة التراقى
علىَّ عباءة بلقـاء ليست ... مع البلوى تغيب نصف ساقى
كأن على الخدود وهن شُعْث ... سجال الماء يبعث فى السواقى
فقلت تجلداً وحلفت صبراً ... الى ذا اليوم ما رفعت أماقى
سينصرنى الخليفة بعد ربى ... ويغضب حين يخبر عن مساقى
وتغضب لي بأجمعها قصى ... قطين البيت والدمث الرقاق
بمجتمع السيول اذا تنحى ... لئام الناس فى الشعب العماق

وكان الوليد مضطغناً على محمد بن هشام لأشياء كانت تبلغه عنه فى حياة هشام فلما ولى الخـلافة قبض عليه وعلى أخيه ابراهيم وأشخصا اليه الى الشام ، ثم دعا بالسياط ، فقال له محمد أسألك بالقرابة ، قال وأى قرابة بينى وبينك ؟ وهل أنت الا من أشجع ؟ قال فأسألك بصهر عبد الملك ، قال لم تحفظه ، فقال ياأمير المؤمنين قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضرب قرشى بالسياط الا فى حد ، قال ففى حد أضربك وقوَد أنت أول من سن ذلك على العرجي وهو ابن عمى وابن أمير المؤمنين عثمان فما رعيت حق جده ولا نسبه بهشام ولا ذكرت حينئذ هذا

الخبر وأنا ولي ثأره ، اضرب ياغلام ، فضربهما ضرباً مبرحاً وأثقلا بالحديد ووجه بهما الى يوسف بن عمر بالكوفة وأمره باستصفائهما وتعذيبهما حتى يتلفا ، وكتب اليه احبسهما مع ابن النصرانية « يعني خالداً القسْري » ونفسك نفسك ان عاش أحد منهم ، فعذبهم عذاباً شديداً ، وأخذ منهم مالا عظيما ، حتى لم يبق فيهم موضع للضرب ، فكان محمد بن هشام مطروحاً فاذا أرادوا أن يقيموه أخذوا بلحيته فجذبوه بها ، ولما اشتدت عليهما الحال تحامل ابراهيم لينظر في وجه محمد فوقع عليه فماتا جميعاً ومات خالد القسري معهما في يوم واحد

قال مصعب بن عبد الله أتاني أبو السائب المخزومي ليلة بعد ما رقد السامر ، فأشرفت عليه ، فقال سهرت وذكرت أخاً لي أستمتع به فلم أجد سواك فلو مضينا الى العقيق فتناشدنا وتحدثنا ، فمضينا فأنشدته في بعض ذلك بيتين للعرجي « باتا بأنعم ليلة » فقال أعده عليَّ ، فأعدته ، فقال أحسن والله امرأته طالق ان نطق بحرف غيره حتى يرجع الى بيته ، فلقينا عبد الله بن حسن بن حسن ، فلما صرنا اليه ووقف بنا وهو منصرف من ماله يريد المدينة فسلم ثم قال كيف أنت يا أبا السائب؟ فقال له

فتلازما عند الفراق صبابة أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

فالتفت إليَّ وقال متى أنكرت صاحبك ؟ فقلت منذ الليلة ، فقال انا لله وأي كهل أصيبت به قريش ؟ ثم مضينا فلقينا محمد بن عمران التيمي قاضي المدينة يريد مالاً له على بغلة له ومعه غلام على عنقه مخلاة فيها قيد البغلة ، فسلم ثم قال كيف أنت يا أبا السائب ؟ فقال

فتلازما عند الفراق صبابة أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

فالتفت إليَّ وقال متى أنكرت صاحبك ؟ قلت آنفاً ، فلما أراد المضي قلت أفتدعه هكذا ؟ والله ما آمن أن يتهور في بعض آبار العقيق ، قال صدقت ياغلام

قَيْدَ البغلة ، فأخذ القيد فوضعه فى رجله وهو ينشد البيت ويشير بيده اليه يرى أنه يفهم عنه قصته ، ثم نزل الشيخ وقال لغلامه ياغلام أوصله على بغلتى وألحقه بأهله ، فلما كان بحيث علمت أنه فاته أخبرته بخبره ، فقال قبحك الله فضحت شيخاً من شيوخ قريش وغررتني

أنشد ابن جندب الهذلي ابنَ أبى عتيق قول العرجى

وما أنْسَ مِ الأشياء لا أنس قولها ... لخادمها قومى اسألي لي عن الوتر
فقالت يقول الناس فى ستَّ عشرةً ... فلا تعجلي منه فانك فى أجر
فما ليلة عندى وان قيل جمعة ... ولا ليلة الأضحى ولا ليلة الفطر
بعادلة الاثنين عندى وبالحَرَى ... يكون سواء منهما ليلة القدْر

فقال ابن أبى عتيق أشهدكم أنها حرة من مالي ان أجاز ذلك أهلها ، هذه والله أفقه من ابن شهاب

قال مَسلمة بن ابراهيم بن هشام كنت عند أيوب بن مسلمة ومعنا أشعب فذكر قول العرجى

أين ما قلتِ مت قبلك أينا ... أين تصديق ما وعدتِ الينا
فلقد خفت منك أن تَصْرِمى الحبـل وأن تجمعى مع الصَّرْم بَيْنا
ما تقولين فى فتى هام اذ ها ... م بمن لا ينُال جهلاً وحينا
فاجعلي بيننا وبينك عدلاً ... لا تَحيفى ولا يَحيف علينا
واعلمي أن في القضاء شهوداً ... أو يميناً فأحضرى شاهدينا
خُلتى لو قدرت منك على ما ... قلتِ لي فى الخلاء حين التقينا
ما تحرجتِ من دمى علـم اللّـه ولو كنتُ قد شهدت حُنينا

فقال أيوب لأشعب ما تظن أنها وعدته ؟ قال أخبرك يقيناً لا ظناً أنها وعدته أن تأتيه فى شِعْب من شعاب العَرْج يوْم الجمعة اذا نزل الرجال الى الطائف للصلاة

فعرض لها شغل فقطعها عن موعده ، قال فمن كان الشاهدان ؟ قال كسير وعوير وكلٌّ غير خير ، فهذ أبو زيد مولي عائشة بنت سعد وزور الفرق مولى الأنصار ، قال فمن العدْل ؟ قال حصين بن عرير الحميرى

كان العرجى يستقى على ابله فى شملتين ثم يغتسل ويلبس حلتين بخمسمائة دينار ثم يقول

يوْماً لأصحابي ويوْماً المال مدْرَعة يوْماً ويوْماً سربْال

كان العرْجى غازياً فأصابت الناس مجاعة ، فقال للتجار أعطوا الناس وعليَّ ما تعطون ، فلم يزل يعطيهم ويطعم الناس حتى أخصبوا ، فبلغ ذلك عشرين ألف دينار فألزمها العرْجى نفسه ، وبلغ الخبر عمر بن عبد العزيز فقال بيت المال أحق بهذا ، فقضى التجار ذلك المال من بيت المال

عبد الرحمن بن الحكم

هو عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية ، يكنى أبا مطرِّف

شاعر إسلامى متوسط الحال فى شعراء زمانه

قدم على معاوية وقد عزَل أخاه مروان عن الحجاز وولى سعيد بن العاصى ، وكان مروان وجه به وقال الفه أمامى فعاتبه لي واستصلحه ، فدخل عليه وهو يعشى الناس فأنشأ يقول

أتتك العيس تنفخ فى بُراها تكشف عن مناكبها القطوع

بأبيض من أمية مضْرَحىّ كأن جبينه سيف صنيع

فقال معاوية أزائراً جئت أم مفاخراً أم مكاثراً ؟ فقال أيّ ذلك شئت فقال له ما أشاء من ذلك شيئاً ، وأراد معاوية أن يقطعه عن كلامه الذى عنّ له فقال له على أىّ الظهر أتيتنا ؟ قال على فرسى ، قال وما صفته ؟ قال أجش هزيم ، يعرض بقول النجاشى له

ونجى ابنَ حرب سابحٌ ذو علالة أجشّ هزيم والرماح دَوان

اذا خلت أطراف الرماح تناله مرَته به الساقان والقـــدمان

فغضب معاوية وقال أما انه لا يركبه صاحبه فى الظلم الى الريب ولا هو ممن يتسور على جاراته ولا يتوثب على كنائنه بعد هجعة الناس ، وكان عبد الرحمن يتهم بذلك ، فخجل عبد الرحمن وقال يا أمير المؤمنين ما حملك على عزل ابن عمك ؟ ألجناية أوجبت سخطاً أم لرأى رأيته وتدبير استصلحته ؟ قال لتدبير استصلحته ، قال فلا بأس بذلك وخرج من عنده فلقى أخاه مروان فأخبره بما جرى بينه وبين معاوية ، فاستشاط غيظاً وقال له قبحك الله ما أضعفك ، أعرضت للرجل بما أغضبه حتى اذا انتصف منك أحجمت عنه ؟ ثم لبس حلته وركب فرسه وتقلد سيفه ودخل على معاوية فقال له حين رآه وتبين الغضب فى وجهه مرحباً بأبى عبد الملك لقد زُرتنا عن اشتياق منا اليك ، قال لا ها الله ما زُرتك لذلك ولا قدمت عليك فألفيتك الا عاقاً قاطعاً والله ما أنصفتنا ولا جزيتنا جزاءنا ، لقد كانت السابقة من بني عبد شمس لآل أبى العاصى والصهر برسول الله صلى الله عليه وسلم والخلافة فيهم ، فوصلوكم يا بنى حرب وشرفوكم وولّوكم فما عزلوكم ولا آثروا عليكم حتى اذا وليتم وأفضى الأمر اليكم أبيتم الا أثرة وسوء صنيعة وقبح قطيعة ، فرويداً رويداً قد بلغ بنو الحكم وبنو بنيه نيفاً وعشرين وانما هى أيام قلائل حتى يكملوا أربعين ، ويعلم امرؤ أين يكون منهم حينئذ ثم هل للجزاء بالحسنى وبالسوءى بالمرصاد ، فقال له معاوية عزلتك لثلاث لو لم يكن منهن الا واحدة لأوجبت عزلك ، إحداهن أنى أمّرتك على عبد الله بن عامر وبينكما ما بينكما فلم تستطع أن تشتفى منه ، والثانية كراهتك لأمر زياد ، والثالثة أن ابنتى رملة استعدتك على زوجها عمرو بن عثمان فلم تُعْدِها ، فقال له مروان أما ابن عامر فانى لا أنتصر منه فى سلطانى ولكن اذا تساوت الأقدام علم أين موقعه ، وأما كراهتي أمر زياد فان سائر بنى أمية كرهوه

ثم جعل الله لنا في ذلك الكره خيراً كثيراً ، وأما استعداء رملة على عمرو فوالله اني لتأتي على سنة أو أكثر وعندي بنت عثمان فما أكشف لها ستراً ، فقال له معاوية يا ابن الوزغ لست هناك ، فقال له مروان هو ذاك الآن والله اني لأبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة وقد كاد ولدي أن يكملوا العدة ولو قد بلغوها لعلمت أين تقع مني ، فانخزل معاوية ثم قال

فان أكُ في شراركُمُ قليلاً　　فاني في خيارِكمُ كثيرُ

بغاث الطير أكثرها فراخاً　　وأمّ الصقر مقلاتٌ نزُورُ

فما فرغ مروان من كلامه حتى استخذى معاوية في يده وخضع له وقال لك العُتْبَى وأنا رادك الى عملك ، فوثب مروان وقال كلا والله وعيشك لا رأيتني عائداً اليه أبداً وخرج ، فقال الأحنف لمعاوية ما رأيت قط لك سقطة مثلها ما هذا الخضوع لمروان ؟ وأي شيء يكون منه ومن بني أبيه اذا بلغوا أربعين ؟ وأي شيء تخشاه منهم ؟ فقال له ادن مني أخبرك بذلك ، فدنا منه ، فقال له ان الحكم بن أبي العاصي كان أحد من وفد مع أختي أمّ حبيبة لما زفت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي تولى نقلها اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحِدّ النظر اليه ، فلما خرج من عنده قيل له يا رسول الله لقد أحددت النظر الى الحكم ، فقال ابن المخزوميه ، ذلك الرجل اذا بلغ ولده ثلاثين أو أربعين ملكوا الأمر بعدي فوالله لقد تلقاها مروان من عين صافية ، فقال له الأحنف لا يسمعن هذا أحد منك فانك تضع من قدرك وقدر ولدك بعدك وان يقض الله عز وجل أمراً يكن ، فقال له معاوية فاكتمها عليّ يا أبا بحر إذاً فقد لعمري صدقت ونصحت

وقال عبد الرحمن في غضب معاوية من تعريضه

أتقطر آفاق السماء له دماً　　اذا قيل هذا الطِّرْفُ أجرد سابح

فحتى متى لا ترفع الطَّرْفَ ذلةً　　وحتى متى تعيا عليك المنادح

قال ابن أبي مليكة رأيت بني أمية يتتابعون نحو ابن عباس حين نفى ابن الزبير بني أمية عن الحجاز فذهبت معهم وأنا غلام ، فلقينا رجلاً خارجاً من عنده فدخلنا عليه ، فقال له عبيد الله بن عمير مالي أراك تذرف عيناك ؟ فقال له ان هذا «يعني عبد الرحمن بن الحكم » قال بيتاً أبكاني وهو

وما كنت أخشى أن ترى الذل نسوتي ... وعبد مناف لم تَغُلْها الغوائل

فذكر قرابة بيننا وبين بني عمنا بني أميـة وانا انما كنا أهل بيت واحد في الجاهلية حتى جاء الإسلام فدخل الشيطان بيننا أيما دخل

ومن قول عبد الرحمن في جارية لاخيه مروان كان يهواها واسمها شنباء

لعمر أبي شنباء اني بذكرها ... وان شحطت دار بها لحقيق
واني لها لا ينزع الله مالها ... عليَّ وان لم ترْعه لصـــديق
ولماذ كرت الوصل قالت وأعرضت ... متى أنت عن هذا الحديث مفيق ؟

لما ادعى معاوية زياداً قال ابن الحكم

ألا أبلغ معاوية بن حرب ... مغلغلة من الرجل الهِجان
أتغضب أن يقال أبوك عفٌّ ... وترضى أن يقال أبوك زان
فأشهد أن رِحْمك من زياد ... كرِحم الفيل من ولد الأتان
وأشهد أنهـا ولدت زياداً ... وصخر من سمية غير دان

فبلغ ذلك معاوية فحلف ألاَّ يرضى عن عبد الرحمن حتى يرضى عنـه زياد ، فخرج الى زياد فلما دخل عليه قال إيه ياعبد الرحمن أنت القائل « ألا أبلغ » فقال لا أيها الأمير ما هكذا قلت ولـكني قلت

ألا من مبلغ عني زياداً ... مغلغلة من الرجل الهِجان
من ابن القرْم قرم بني قصي ... أبي العاص ابن آمنة الحَصان
حلفت برب مكة والمصلى ... وبالتوراة أحلف والقران

لأنت زيادة فى آل حرب أحب الى من وُسْطَى بنانى
سررت بقربه وفرحت لما أتانى الله منه بالبيان
وقلت له أخو ثقة وعم بعون الله فى هذا الزمان
كذاك أراك والأهواء شتَّى فما أدرى بغيب ما ترانى

فرضى عنه زياد وكتب له بذلك الى معاوية ، فلما دخل عليه بالكتاب قال أنشدنى ماقلت لزياد ، فأنشده ، فتبسم ثم قال قبح الله زياداً ما أجهله والله لما قلت له أخيراً حيث تقول « لأنت زيادة فى آل حرب » شر من القول الأول ولكنك خدعته فجازت خديعتك عليه

استعمل معاوية الحرث بن الحكم على غزاة البحر فنكص واستعفى ، فوجه مكانه ابن أخيه عبد الملك بن مروان وهو يومئذ شاب فضى وأبلى وحسن بلاؤه ، فقال عبد الرحمن لأخيه الحرث

شَنِئتك اذ رأيتك حَوْتكياً قريب الخُصيتين من التراب
كأنك قملة لقحت كشافاً لبرغوث ببعرة أو صُوَاب
كفاكَ الغزوَ اذ أحجمت عنه حديثُ السن مقتبل الشباب
فليتك حيضة ذهبت ضلالا وليتك عند منقطع التراب

لطم عبد الرحمن مولى لأهل المدينة حنّاطاً ، وأخوه مروان يومئذ والٍ لأهل المدينة ، فاستعداه الحناط عليه فأجلسه مروان بين يديه وقال له الطمْه ، فقال الحناط والله ما أردت هذا وانما أردت أن أعلمه أن فوقه سلطاناً ينصرنى عليه وقد وهبتها لك ، قال لست أقبلها منك فخذ حقك ، فقال والله لا ألطمه ولكنى أهبها لك ، فقال مروان ان كنت ترى أن ذلك يسخطنى عليك والله لا أسخط فخذ حقك ، فقال قد وهبتها لك ولست والله لألطمه ، قال لست والله قابلها فان وهبتها فهبها لمن لطمك أو لله عز وعلا ، فقال قد وهبتها لله ، فقال عبد الرحمن يهجو أخاه مروان

كل ابن أم زائد غير ناقص وأنت ابن أم ناقص غير زائد
وهبت نصيبى منك يامرو كله لعمرو وعثمان الطويل وخالد

نظر عبد الرحمن الى قتلى قريش يوم الجمل فبكي وأنشأ يقول

أياعين جودى بدمع سَرِب على فتية من خيار العرب
وما ضرهم غير حين النفو س أىُّ أميرى قريش غلب

وكانت بينه وبين عبد الرحمن بن حسان مهاجاة ، وقد كانا قبل خليلين ، وسبب التهاجى أنهما خرجا الى الصيد بأكلب لهما فى امارة مروان فقال ابن الحكم لابن حسان

ازجر كلابك انها قَلَطية [1] بقع ومثل كلابكم لم تصطد
من كان يأكل من فريسة صيده فالتمر يغنينا عن المتصيِّد

فرد عليه ابن حسان

انا أناس ريِّقون وأمكم ككلابكم فى الولغ والتردُّد
حزنا كمُ للضب تحترشونه والريفَ نمنعكم بكل مهند

ثم رجعا الى المدينة فجملا يتقارضان فقال ابن الحكم

ومثل أمك أم العبد قد ضربت عندى ولي بغناء مِزْهَر جرم
وأنت عند ذناباها تعاونها على القدور بخَفَّى خاثر البُرم

فنقضها ابن حسان عليه بقصيدته التى يقول فيها

يأيها الراكب المزجي مطيته اذا عرضت فسائل عن بني الحكم
القائلين اذا لاقَوْا عدوهمُ فِرُّوا فكُرُّوا على النسوان والنَّعَم
وكم أمين نصيح الجيب قال لكم ألا نهيتم أخاكم يا بنى الحكم
عن رجل لا يغيض فى عشيرتكم ولا ذليل قصير الباع معتصم

(١) القلطى القصير جداً من الناس والسنانير والكلاب

وقال ابن حسان

صار الذليل عزيزاً والعزيز به ... ذل وصار فروع الناس أذنابا
انى لملتمس حتى يبين لكم ... فيكم متى كنتم للناس أربابا
ففارقوا طلعكم ثم انظروا وسلوا ... عنا وعنكم قديم العلم أنسابا
فكيف يضحك أو تعتاده ذُكر ... يا بؤس للدهر للانسان ريّابا

ولما كثر التهاجى بينهما وأفحشا كتب معاوية يومئذ « وهو الخليفة » الى سعيد بن العاص « وهو عامله على المدينة » أن يجلد كل واحد منهما مائة سوط ، وكان ابن حسان صديقاً لسعيد وما مدح أحداً قط غيره ، فكره أن يضربه أو يضرب ابن عمه فأمسك عنهما ، ثم ولي مروان فلما قدم أخذ ابن حسان فضربه مائة سوط ولم يضرب أخاه ، فكتب ابن حسان الى النعمان بن بشير وهو بالشام وكان كبيراً مكيناً عند معاوية

ليت شعرى أغائب أنت بالشا ... م خليلى أم راقد نعمان
آية ما تكن فقد يرجع الغا ... ئب يوماً ويوقظ الوسنان
ان عمراً وعامراً أبوينا ... وحراماً قدْماً على العهد كانوا
أفهم مانعوك أم قلة الكتـ ... ـاب أم أمرى عليك هوان
يوم أنبئت أن ساقى رُضت ... وأتاكم بذلك الركبان
ثم قالوا ان ابن عمك يلوى ... من أمور أتى بها الحدثان
انما الرمح فاعلمنّ قناة ... أو كبعض العيدان لولا السنان

وهى قصيدة طويلة ، فدخل النعمان على معاوية فقال يا أمير المؤمنين انك أمرت سعيداً أن يضرب ابن حسان وابن الحكم مائة مائة فلم يفعل ، ثم وليت مروان فضرب ابن حسان ولم يضرب أخاه ، قال فتريد ماذا ؟ قال أن تكتب اليه بمثل ما كتبت الى سعيد ، فكتب معاوية يعزم عليه أن يضرب أخاه مائة وبعث

الى ابن حسان بحلة ، فلما قدم الكتاب على مروان بعث الى ابن حسان انى مخرجك وانما أنا مثل والدك وما كان ما كان منى اليك الا على سبيل التأديب لك واعتذر اليه ، فقال ابن حسان ما بدا له فى هذا إلا لشىء قد جاءه ، وأبى أن يقبل منه ، فأبلغ الرسول ذلك مروان فوجه اليه بالحلة فرمى بها فى الحُش ، فقيل له حلة أمير المؤمنين وترمى بهـا فى الحش ؟ قال نعم ما أصنع بها ؟ وجاءه قومه فأخبروه الخـبر ، فقال قد علمت انه لم يفعل ما فعل الا لأمر قد حدث ، فقال الرسول لمروان ما تصنع بهـذا ؟ قد أبى أن يعفو فهلم أخاك ، فبعث مروان الى الأنصار وطلب اليهم أن يطلبوا اليه أن يضربه خمسين فانه ضعيف فطلبوا اليه فأجابهم فضربه خمسين ، فلقى ابن حسان بعض من كان لا يهوى ما ترك من ذلك فقال له أضربك مائة ويضربه خمسين ؟ بئسما صنعت اذ وهبتها له ، قال انه عبد وانما ضربه ما يضرب العبد نصف ما يضرب الحر ، فحمل هـذا الكلام حتى شاع فى المدينة وبلغ ابن الحكم فشق عليه فأتى أخاه مروان بن الحكم فقال له لاحاجة لنا فيما تركت فهلم فاقتص فضرب ابن الحكم خمسين أخرى فقال ابن حسان يهجو ابن الحكم

دع ذا وعد قريض شعرك فى امرىء ... يهذى وينشد شعره كالفاجر
عثمان عمكمُ ولستم مثله ... وبنو أمية منكم كالآمر
وبنو أبيه سخيفة أحلامهم ... فُحش النفوس لدى الجليس الزائر
أحياؤهم عار على أمواتهم ... والميتون مسبة للغابر
هم ينظرون اذا مددت اليهمُ ... نظر التيوس الى شفار الجازر
خُزْر العيون منكس أذقانهم ... نظر الذليل الى القوى القاهر

فقال ابن الحكم

لقد أبقى بنو مروان حزناً ... مبيناً عاره ابني سواد
أطاف به صبيح فى مشيد ... ونادى دعوة بابنى سعاد
لقد أسمعت لو ناديت حياً ... ولكن لاحياة لمن تنادى

أم حكيم

هى أم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن العاص ، أمها زينب بنت عبد الرحمن ابن الحرث بن هشام ، وكانت هى وأمها من أجمل نساء قريش ، فكانت قريش تقول لأمّ حكيم الواصلة بنت الواصلة لأنهما وصلتا الجمال بالكمال ، وأمّ زينب سُعدى بنت عوف الطائية وكانت عند عبد الله بن الوليد بن المغيرة فولدت له ملحة ورَيطة ، ثم توفى عنها فخلف عليها طلحة بن عبيد الله فولدت له يحيى وعيسى ، ثم قتل عنها فخطبها عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فتكلم بنوها وكرهوا أن تتزوج وقد صاروا رجالا ، فقالت انه قد بقى فى رحم أمكم فضلة شريفة لابد من خروجها فتزوجها فولدت له المغيرة بن عبد الرحمن الفقيه وزينب وهى أم أم حكيم ، وكان المغيرة أحد أجواد قريش والمطعمين منهم ، وقد قدم الكوفة على عبد الملك بن بشر ابن مروان ، وكان صديقه ، وبها جماعة يطعمون الناس من قريش وغيرهم ، فلما قدم تغيبوا فلم يظهر أحد منهم حتى خرج ، وبث المغيرة الجفان فى السكك والقبائل يطعم الناس فقال فيه شاعر من أهل الكوفة

أتاك البحر طمّ على قريش مُغيرى فقد زاغ ابن بشر

وقال مصعب الزبيرى هو « يعنى المغيرة » مطعم الجيش بمنى وهو الى الآن يطعم عنه ، وكانت أخته زينب أحسن الناس وجهاً ، وقد كان أعلاها قضيباً وأسفلها كثيباً ، تزوجها أبان بن مروان بن الحكم فولدت له عبد العزيز بن أبان ثم مات عنها فخطبها يحيى بن الحكم وعبد الملك بن مروان ، فمالوا الى عبد الملك فأرسل يحيى الى المغيرة بن عبد الرحمن كم الذى تأمل من عبد الملك ؟ والله لا يزيدها على الف دينار ولا يزيدك على خمسمائة دينار ولها عندى خمسون الف دينار ولك عندي عشرون الف دينار ان زوجتنيها ، فزوجه إياها على ذلك ، فغضب عليه

عبد الملك وقال دخل عليّ في خطبتي والله لا يخطب على منبر مادمت حياً ولا رأى مني ما يحب ، فأسقطه فقال يحيى

ألا لا أبالي اليوم ان أسلب ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ان بقيت لي كمكتان وزينب

وكانت أم حكيم تحت عبد العزيز بن الوليد تزوجها في حياة جده عبد الملك ، ولما عقد النكاح بينهما عقد في مجلس عبد الملك وأمر بادخال الشعراء ليهنئوهم بالعقد ، ويقولوا في ذلك أشعاراً كثيرة يرويها الناس فاختير منهم جرير وعدي بن الرقاع فدخلا وبدأ عدي لموضعه منهم فقال

قمر السماء وشمسها اجتمعا ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ بالسعد ماغابا وما طلعا
ما وارت الأستار مثلهما ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ممن رأى هذا ومن سمعا
دام السرور له بها ولها ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وتهنيا طول الحياة معا

وقال جرير

جمع الأمير اليه أكرم حرة ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ في كل ما حال من الأحوال
حكمية علت الروابي كلها ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ بمفاخر الأعمام والأخوال
واذا النساء تفاخرت بمعولة ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ فخرتهم بالسيد المفضال
عبد العزيز ومن يكفّ نفسه ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ أخلاقه يابث بأكسف بال
هنأتكم بمودة ونصيحة ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وصدقت في نفسي لكم ومقالي
فلتهنك النعم التي خولتها ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ياخير مأمول وأكرم وال

فأمر له عبد الملك بعشرة آلاف درهم ولعدي بن الرقاع بمثلها وقضى لأهله ومواليه يومئذ مائة حاجة وأمر لجميع من حضر من الحرس والكتاب بعشرة دنانير عشرة دنانير ، فلم تزل عند عبد العزيز مدة ثم تزوج ميمونة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر فملكته وأحبها وذهبت بقلبه كل مذهب فلم ترض منه الا بطلاق أم حكيم فطلقها فتزوجها هشام بن عبد الملك ، ثم مات عبد العزيز فتزوج هشام ميمونة

أيضاً وكان شديد المحبة لأُم حكيم فطلق لها ميمونة اقتصاصاً لها منها فيما فعلته بها في اجتماعهما عند عبد العزيز وقال لها هل أرضيتك منها ؟ فقالت نعم ، فولدت أم حكيم من هشام ابنه يزيد بن هشام وكان من رجالات بني امية وكان أحد من يطعُن على الوليد بن يزيد ويغري الناس به

وكانت أم حكيم مهومة بالشراب لا تكاد تفارقه ومن قولها في ذلك

ألا فاسقياني من شرابكما الوَرْدي ... وان كنت قد أنفدت فاسترهنا بُرْدي

سِواري ودُمْلوجي وماملكت يدي ... مباح لكم نَهْب ولا تقطعوا ورْدي

وكأسها الذي كانت تشرب فيه مشهور عند الناس الى اليوم وهو في خزائن الخلفاء حتى الآن وفيه يقول الوليد بن يزيد

عللاني بعاتقات الكروم ... واسقياني بكأس أم حكيم

انها تشرب المدامة صرفاً ... في اناء من الزجاج عظيم

جنبوني أذاة كل لئيم ... انه ما علمت شر نديم

ثم ان كان في الندامى كريم ... فأذيقوه بعض مس النعيم

ليت حظي من النساء سليمى ... ان سلمى جنينتي ونعيمي

فدعوني من الملامة فيها ... ان من لامني لغير رحيم

فيقال ان الشعر بلغ هشاماً فقال لأم حكيم أوَ تفعلين ما ذكره الوليد ؟ فقالت أو تصدق الفاسق في شيء فتصدقه في هذا ؟ قال لا ، فقالت هو كبعض كذبه

كان يزيد بن هشام هجا الوليد بن يزيد فقال

فحسب أبي العباس كأس وقَينة ... وزِق اذا دارت به في الذوائب

ومن جلساء الناس مثل ابن مالك ... ومثل ابن جزء والغلام ابن غالب

فقال الوليد يهجوه ويعيره بشرب أمه الشراب

ان كأس العجوز كأس رِواء ... ليس كأس ككأس أم حكيم

انها تشرب الرساطون صرفاً في اناء من الزجاج عظيم
لو به يشرب البعير أو الفيل اظلا في سكرة وغموم
ولدته سكرى فلم تحسن الطلق فوافى لذاك غير حكيم

وكان لهشام منها ابن يقال له مسلمة ويكنى أبا شاكر وكان هشام ينوه باسمه، وأراد أن يوليه العهد بعده وولاه الحج، فحج بالناس، وفيه يقول عروة بن أذينة لما وفد على هشام وفرق في الحجاز على أهلها مالاً كثيراً وأحبه الناس ومدحوه

أتينا نمت بأرحامنا وجئنا بأمر أبي شاكر

قال اسمعيل بن مجمع كنا نخرج مافي خزائن المأمون من الذهب والفضة ونزكي عنه، فكان فيما يزكي عنه قائم كأس أم حكيم، وكان فيه من الذهب ثمانون مثقالا ووصفه اسمعيل فقال كأس كبير من زجاج أخضر مقبضه من ذهب

آدم بن عبد العزيز

هو آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو أحد من منّ عليه أبو العباس السفاح من بني أمية لما قتل من وجد منهم، وكان آدم في أول أمره خليعاً ماجناً منهمكاً في الشراب ثم نسك بعد ما عمر ومات على طريقة محمودة

ومن قوله وفيه غناء

هاك فاشربها خليلي في مدى الليل الطويل
قهوة في ظل كرم سُبِئت من نهر بيل
لونها أصفر صافٍ وهي كالمسك الفتيل
في لسان المرء منها مثل طعم الزنجبيل
ريحها ينفح منها ساطعاً من رأس ميل
من ينل منها ثلاثاً ينس منهاج السبيل

فتى ما نال خمسـا   تركته كالقتيـل
ليس يدري حين ذا كم   ما دَبير من قبيل
ان سمعى عن كلام الـ   ـلائمى فيها الثقيـل
لَشديد الوَقْر انى   غير مطواع ذليـل
قل لمن يلحاك فيها   من فقيه أو نبيل
أنت دَعْها وارج أخرى   من رحيق السلسبيل
تعطش اليوم وتسقى   فى غد نعت الطلول

فلما سمع المهدي هذين البيتين قال له ويلك تزندقت ؟ قال لا والله يا أمير المؤمنين ومتى رأيت قرشياً تزندق ؟ والمحنة فى هذا اليك ولكنه طرب غلبنى وشعر طفح على قلبى فى حال الحداثة ، فنطقت به ، فخلى سبيله ، وكان المهدى يحبه ويكرمه لظرفه وطيب نفسه

ومن قوله

اسقنى واسق غصينا   لا تبع بالنقد دينا
اسـقنيها مزة الطعـم   تريك الشين زينا

ومنـه

اسـقني يا معاوية   سـبعة أو ثمانية
اسـقنيها وغنني   قبل أخذ الزبانية
اسـقنيها مدامة   مزة الطعم صافية

وهو الذى يقول

أحبك حبين لي واحد   وآخر انك أهل لذاك
فأما الذى هو حب الطباع   فشىء خصصتِ به عن سواك
وأما الذى هو حب الجمال   فلست أرى ذاك حتى أراك

ولست أمنّ بهذا عليك   لك المن فى ذا وهذا وذاك

وقال لما نزع عن الخمر

ألا هل فتى عن شربها اليوم صابر   ليجزيه يوماً بذلك قادر

شربت فلما قيل ليس بنازع   نزعت وثوبى من أذى اللوم طاهر

وآدم الذى يقول

أقول وراعني ايوان كسرى   برأس معان أو ادروسنان

وأبصرت البغال مربطات   به من بعد أزمنة حسان

يعز على أبى ساسان كسرى   بموقفكن فى هذا المكان

شربت على تذكر عيش كسرى   شراباً لونه كالزعفران

ورحت كأننى كسرى اذا ما   علاه التاج يوم المهرجان

مات آدم على توبة ومذهب جميل

الوليد بن يزيد

هو أبو العباس الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان وأمه امّ الحجاج بنت محمد بن يوسف وهى بنت أخى الحجاج ، وفيه يقول أبو نخيلة

بين أبى العاصى وبين الحجاج   يالكما نورا سراج وهاج

عليه بعد عمه عقد التاج

وأمّ يزيد بن عبد الملك عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، وأمها أمّ كلثوم بنت عبد الله بن عامر ، وأمّ عبد الله بن عامر أمّ حكيم البيضاء بنت عبد المطلب ، ولذلك يقول الوليد بن يزيد

أنا ابن أبى العاصى وعثمان والدي   ومروان جدي ذو الفعال وعامر

أنا ابن عظيم القريتين وعزها   ثقيف وفهر والعصاة الأكابر

نبيّ الهدى خالى ومن يك خاله　　نبيّ الهدى يقهر به من يفاخر

وكان الوليد من فتيان بنى أمية وظرفائهم وشعرائهم وأجوادهم وأشدائهم وكان فاسقاً خليعاً متهماً فى دينه مرمياً بالزندقة وشاع ذلك من أمره وظهر حتى أنكره الناس فقتل ، وله أشعار كثيرة تدل على خبثه وكفره ، ومن الناس من ينفى ذلك عنه وينكره ويقول أنه نُحِله وألصق اليه والأغلب الأشهر غير ذلك

لما وجه يزيد بن عبد الملك الجيوش الى يزيد بن المهلب وعقد لمسلَمة بن عبد الملك على الجيش ، وبعث العباس بن الوليد بن عبد الملك وعقد له على أهل دمشق قال العباس يا أمير المؤمنين ان أهل العراق أهل غدر وارجاف وقد وجهتنا محاربين والأحداث تحدث ولا آمن أن يُرجف أهل العراق ويقولوا مات أمير المؤمنين ولم يعهد فيفُتّ ذلك فى أعضاد أهل الشام فلو عهدت عهداً لعبد العزيز بن الوليد ، قال غداً ، وبلغ ذلك مسلمة بن عبد الملك فأتى يزيد فقال يا أمير المؤمنين أيما أحب اليك ولد عبد الملك أو ولد الوليد ؟ فقال بل ولد عبد الملك ، قال فأخوك أحق بالخلافة أم ابن أخيك ؟ قال اذا لم تكن في ولدي فأخى أحق بها من ابن أخى ، قال فابنك لم يبلغ فبايع لهشام ثم لابنك بعد هشام ، والوليد يومئذ ابن احدى عشرة سنة ، قال غداً أبايع له ، فلما أصبح فعل ذلك وبايع لهشام وأخذ العهد عليه ألا يخلع الوليد بعده ولا يغير عهده ولا يحتال عليه ، فلما أدرك الوليد ندم أبوه فكان ينظر اليه ويقول الله بينى وبين من جعل هشاماً بينى وبينك ، وتوفى يزيد سنة خمس ومائة وابنه الوليد ابن خمس عشرة سنة ، فلم يزل الوليد مكرماً عند هشام رفيع المنزلة مدة ، ثم طمع فى خلعه وعقد العهد بعده لابنه مسلمة ، فجعل يذكر الوليد بن يزيد وتهتكه وادمانه على الشراب ويذكر ذلك في مجلسه ويقوم ويقعد به وولاه الحج ليظهر ذلك بالحرمين فيسقط ، فحج وظهر منه فعل كثير مذموم وتشاغل بالمغنين وبالشراب ، وأمر مولى له فحج بالناس ، فلما حج طالبه هشام بأن

يخلع نفسه فأبى ذلك ، فحرمه العطاء وحرم سائر مواليه وأسبابه وجفاه جفاء شديداً ، فخرج متبدِّياً وخرج معه عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدباً ، وكان يرمى بالزندقة ، وحرض هشام الناس على خلعه والبيعة لمسلمة بن هشام وأُمه أُمّ حكيم بنت يحيى ابن الحكم ، وكان مسلمة يكني أبا شاكر « كنى بذلك لمولى كان لمروان يكنى أبا شاكر كان ذا رأى وفضل وكانوا يعظمونه ويتبركون به » فأجابه الى خلع الوليد والبيعة لمسلمة محمد وابراهيم ابنا هشام بن اسمعيل المخزومى والوليد وعبد العزيز وخالد بن القعقاع بن خويلد العبسى وغيرهم من خاصة هشام ، وكتب الى الوليد ما تدع شيئاً من المنكر الا أتيته وارتكبته غير متحاشٍ ولا مستتر ، فليت شعرى ما دينك ؟ أعلى الإسلام أنت أم لا ؟ فكتب اليه الوليد

يأيها السائل عن ديننا نحن على دين أبى شاكر
نشربها صِرْفاً وممزوجة بالسخن أحياناً وبالفاتر

فغضب هشام على ابنه مسلمة وقال يعيرنى بك الوليد وأنا أرشحك للخلافة فالزم الأدب واحضُر الصلوات ، وولاه الموسم سنة سبع عشرة ومائة فأظهر النسك وقسم بمكة والمدينة أموالاً ، فقال رجل من موالى أهل المدينة

يأيها السائل عن ديننا نحن على دين أبى شاكر
الواهب البُزْل بأرسانها ليس بزنديق ولا كافر

وبلغ خالداً القسرى ما عزم عليه هشام ، فقال أنا برىء من خليفة يكنى أبا شاكر ، فبلغت هشاماً عنه هذه ، فكان ذلك سبباً لإيقاعه به ، وكان هشام يكثر تنقص الوليد فكان مسلمة بن عبد الملك يعاتب هشاماً ويكفه فمات مسلمة فغُمَّ الوليد ورثاه فقال

أتانا بريدان من واسط يخُبَّان بالكتب المعجمة
أقول وما البعد الا الرَّدى أمَسْلَمَ لا تبعدن مسلمة

فقد كنت نوراً لنا فى البلاد تضىء فقد أصبحت مظلمة
كتمنا لنعيك نخشى اليقين فجلَّى اليقين عن الجمجمة
وكم من يتيم تلافيتـــه بأرض العدو وكم أيمـــة
وكنت اذا ما الحرب درَّت دماً نَصَبْتَ لها راية معلمة

بينما هشام واقف يومَ توفى مسلمة بن عبد الملك اذ طلع الوليد بن يزيد على الناس وهو نشوان يجر مُطْرَف خز عليه فوقف على هشام فقال يا أمير المؤمنين ان عقْبَى من بقى لحوق من مضى ، وقد أقفر بعد مسلمة الصيد لمن يرى واختل الثغر فَوَهَى ، وعلى أثر من سلف يمضى من خلف فتزودوا فان خير الزاد التقوى ، فأعرض عنه هشام ولم يرد جواباً ، ووَجَم الناس فما هَمَسَ أحد بشىء ، فمضى الوليد وهو يقول

أهيْنَمة حديث القوم أم هم سكوت بعد مامتعَ النهار
عُزَير كان بينهمُ نبياً فقول القوم وحى لا يحار
كأنا بعد مسلمة المرجَّى شُرُوب طوَّحت بهمُ عقار
أو الاف هجان فى قيود تلفَّت كلما حَنَّتْ ظؤار
فليتك لم تمت وفداك قوم تزيح غيبهم عنــا الديار
سقيم الصدر أو شكس نكيد وآخر لا يزور ولا يزار

يريد بالسقيم الصدر يزيد بن الوليد ويعنى بالشكس هشاماً والذى لا يزُور ولا يزار مروان بن محمد

لما أراد هشام أن يخلع الوليد ويجعل العهد لولده قال الوليد

كفرتَ يداً من منعم لو شكرتَها جزاك بها الرحمن ذوالفضل والمن
رأيتك تبنى جاهداً فى قطيعتى ولوكنت ذا حزم لهدَّمت ما تبنى
أراك على الباقين تبنى ضغينة فيا وَيْحهم ان مت من شر ما تجنى

كأنى بهم يوماً وأكثرُ قولهم   أياليت أنَّا حين ياليت لاتغنى

عتب هشام على الوليد خاصته فخرج الوليد ومعه قوم من خاصته ومواليه فنزل بالأبلق بين أرض بَلْقَيْن وفَزارة على ماء يقال له الأغدق وخلف بالرُّصافة كاتبه عياض بن مسلم ليكاتبه بما يحدث وأخرج معه عبدالصمد بن عبدالأعلى فشربوا يوماً فقال له الوليد يا أباوهب قل أبياتاً نغني فيها ، فقال أبياتاً وأمر عمر الوادى فغنى فيها وهي

ألم تر للنجم اذ سبعا   يبادر فى بُرْجه المرجعا
تحير عن قصد مَجْراته   أتى الغوْر والتمس المطلَعا
فقلت وأعجبني شأنه   وقد لاح اذلاح لي مُطمعا
لعل الوليد دنا ملكه   كتأميل ذى الجَذب أن يَمْرَعا
عقدنا له محكمات الامو   رطوعاً وكان لها موضعا

فروى هذا الشعر وبلغ هشاماً فقطع عن الوليد ما كان يجرى عليه وعلى أصحابه وحرمهم وكتب الى الوليد قد بلغني أنك اتخذت عبد الصمد خِدْناً ومحدثاً ونديماً وقد حقق ذلك ما بلغني عنك ولن أبرئك من سوء فأخرج عبد الصمد مذموماً فأخرجه الوليد وقال

لقد قذفوا أبا وهب بأمر   كبير بل يزيد على الكبير
وأشهد أنهم كذبوا عليه   شهادة عالم بهم خبير

فكتب الوليد الى هشام بأنه قد أخرج عبد الصمد واعتذر اليه من منادمته وسأله أن يأذن لابن سهيل فى الخروج اليه ، وكان من خاصة الوليد ، فضرب هشام ابن سهيل ونفاه وسيره ، وكان ابن سهيل من أهل النباهة وقد ولى الولايات ولى دِمَشق مراراً وولى غيرها ، وأخذ عياض بن مسلم كاتب الوليد فضربه ضرباً مُبَرِّحاً وألبسه المسوح وقيده وحبسه ، فغم ذلك الوليد وقال من يثق بالناس ومن

يصنع المعروف ؟ هذا الأحول المشؤم قدمه أبي على ولده وأهل بيته وولاه وهو يصنع معي ما ترون ولا يعلم ان لي في أحد هوى الا أضر به ، كتب الىّ بأن أخرج عبد الصمد فأخرجته ، وكتبت اليه في أن يأذن لابن سهيل في الخروج الىّ فضربه وطرده وقد علم رأيي فيه ، وعرف مكان عياض مني وانقطاعه اليّ فضربه وحبسه يضارّني بذلك ، اللهم أجرني منه ، ثم قال الوليد

أنا النذير لِمُسدى نعمة أبدا ... الى المقاريف لما يَخبُرُ الدَّخلا
ان أنت أكرمتهم ألفيتهم بَطِروا ... وان أهنتهم ألفيتهم ذُلُلا
أتشمخون ومنا رأس نعمتكم ... ستعلمون اذا أبصرتم الدولا
انظر فان أنت لم تقدر على مثل ... لهم سوى الكلب فاضربه لهم مثلا
بينا يسمنه للصيد صاحبه ... حتى اذا ما استوى من بعد ما هزَلا
عدا عليه فلم تضرره عدوته ... ولو أطاق له أكلاً لقد أكلا

وقال الوليد أيضاً يفتخر على هشام

أنا الوليد أبو العباس قد علمت ... عُليا معدّ مدى كري واقدامى
انى لفى الذروة العليا اذا انتسبوا ... مقابل بين أخوالي وأعمامى
بنى لى المجد بانٍ لم يكن وَكِلاً ... على منار مضيآت وأعلام
حللت من جوهر الأعياص قد علموا ... فى باذخ مشمخر العز قمقام
صعب المرام يسامى النجم مطلعه ... يسمو الى فرع طود شامخ سام

فلما سمع ذلك هشام قال والله ما علمت له معد كراً واقداماً الا أنه شرب مرة مع عمه بكار بن عبد الملك فعربد عليه وعلى جواريه فان كان يعنى ذلك بكره واقدامه فعسى

وبلغ الوليد ان العباس بن الوليد وغيره من بني مروان يعيبونه بالشراب فلعنهم وقال انهم ليعيبون على ما لو كانت لهم فيه لذة ما تركوه وقال وهو من جيد شعره ومختاره

ولقد قضيت وان تجلل لمتي شيب على رغم العدا لذاتى
من كاعبات كالدمى ومناصف ومراكب للصيد والنشوات
فى فتية تأبى الهوانَ وجوههم شم الأنوف جحاجح سادات
ان يَطلبوا بتِراتهم يعطوْا بها أو يُطلَبوا لا يُدرَكوا بتِرات

كتب الوليد الى هشام ، بلغنى ما أحدث أمير المؤمنين من قطع ما قطع عنى ومحو من محا من أصحابى وانه صرمنى وأهلى ولم أكن أخاف أن يبتلى الله أمير المؤمنين بذلك فيَّ ، ولا ينالنى مثله منه ، ولم يبلغ استصحابى لابن سهيل ومسئلتى فى أمره أن يجرى على ماجرى ، وان كان ابن سهيل على ما ذكره أمير المؤمنين فبحسب العيْر أن يقرب من الذئب ، وعلى ذلك فقد عقد الله لى من العهد وكتب لى من العمر وسبب لى من الرزق مالا يقدر أحد دونه تبارك وتعالى على قطعه عنى دون مدته ، ولا صرفه عن مواقعه المحتومة له ، فقدر الله يجرى على ما قدره فيما أحب الناس وكرهوا ، لا تعجيل لآجله ولا تأخير لعاجله ، والناس بعد ذلك يحتسبون الأوزار ويقترفون الآثام على أنفسهم بما يستوجبون من الله العقوبة عليه ، وأمير المؤمنين أحق بالنظر فى ذلك والحفظ له ، والله يوفق أمير المؤمنين لطاعته ، ويحسن القضاء له فى الأمور بقدرته ، وكتب اليه فى آخر كتابه

أليس عظيما أن أرى كل وارد حياضك يوماً صادراً بالنوافل
فأرجع محمود الرجاء مُصَرَّداً بتحلئة عن ورد تلك المناهل
فأصبحت مما كنت آمل مُنكم وليس بلاق ما رجا كل آمل
كمقتبض يوماً على عرض هبْوة يشد عليها كفه بالأنامل

فكتب اليه هشام قد فهم أمير المؤمنين ما كتبت به من قطع ما قطع وغير ذلك ، وأمير المؤمنين يستغفر الله من اجرائه ما كان يجرى عليك ولا يتخوف على نفسه اقتراف المأثم فى الذى أحدث من قطع ما قطع ومحو ما محا من صحابتك

لأمرين ، أما أحدهما فان أمير المؤمنين يعلم مواضعك التى كنت تصرف ما يجريه عليك وأما الآخر فإثبات صحابتك وأرزاقهم دارة عليهم لا ينالهم ما نال المسلمين عند قطع البعوث عليهم وهم معك تجول بهم فى سفهك ، وأمير المؤمنين يرجو أن يكفر الله عنه ما سلف من اعطائه إياك باستئناف قطعه عنك ، وأما ابن سهيل فلعمرى لئن كان نزل منك بحيث يسوءك ما جرى عليه لقد جعله الله لذلك أهلاً وهل زاد ابن سهيل « لله أبوك » على أن كان زَفَّانا مغنياً قد بلغ فى السفه غايته، وليس مع ذلك ابن سهيل بشر ممن كنت تستصحب فى الأمور التى ينزل أمير المؤمنين نفسه عنها مما كنت لعمرى أهلاً للتوبيخ فيه ، وأما ما ذكرت مما سببه الله لك فان الله قد ابتدأ أمير المؤمنين بذلك واصطفاه له والله بالغ أمره ، ولقد أصبح أمير المؤمنين وهو على يقين من رأيه الا أنه لا يملك لنفسه مما أعطاه الله من كرامته ضراً ولا نفعاً وان الله ولى ذلك منه وانه لابد له من مفارقته وان الله أرأف بعباده وأرحم من أن يولى أمرهم غير من يرتضيه لهم منهم ، وان أمير المؤمنين مع حسن ظنه بربه لعلى أحسن الرجاء لأن يوليه بسبب ذلك لمن هو أهله فى الرضاية لهم فان بلاء الله أعظم عند أمير المؤمنين من أن يبلغه ذكره أو يوازيه شكره الا بعون منه ، ولئن كان قدر الله لأمير المؤمنين وفاة تعجيل فان فى الذى هو مفض وصائر اليه من كرامة الله لخلفاً من الدنيا ، ولعمرى ان كتابك لأمير المؤمنين بما كتبت به لغير مستنكر من سفهك وحمقك ، فأبق على نفسك وقصر من غلوائها واربع على ظلعك فان لله سطوات وغيراً يصيب بها من يشاء من عباده ، وأمير المؤمنين يسأل الله العصمة والتوفيق لأحب الأمور اليه وأرضاها له ، وكتب فى أسفل الكتاب

اذا أنت سامحت الهوى قادك الهوى إلى بعض ما فيه عليك مقال

والسلام

قال أبو الزبير المنذر بن عمر وكان كاتباً للوليد ، أرسل إليّ الوليد صبيحة اليوم الذى أتته فيه الخلافة ، فأتيته ، فقال لي يا أبا الزبير ما أتت عليّ ليلة أطول من هذه الليلة ، عرفتني أمور وحدثت نفسى فيها بأمور ، وهذا الرجل قد أولع بى فاركب بنا نتنفس ، فركب وسرت معه ، فسار ميلين ووقف على تل ، فجعل يشكو هشاماً اذ نظر الى رهج قد أقبل وسمع قعقعة البريد ، فتعوذ بالله من شر هشام وقال ان هذا البريد قد أقبل بموت حى أو بملك عاجل ، فقلت لا يسوءك الله أيها الأمير بل يسرك ويبقيك اذ بدا رجلان على البريد يُقبلان أحدهما مولى لأبي سفيان بن حرب فلما قربا رأيا الوليد فنزلا يعدوان حتى دنوا ، فسلما عليه بالخلافة ، فوَجَم وجعلا يكرران بالخلافة ، فقال ويحكم ما الخبر ؟ أمات هشام ؟ قالا نعم ، قال فمرحباً بكما ، ما معكما ؟ قالا كتاب مولاك سالم بن عبدالرحمن ، فقرأ الكتاب وانصرفنا ، وسأل عن مولاه عياض بن مسلم الذى كان هشام ضربه وحبسه ، فقالا يا أمير المؤمنين لم يزل محبوساً حتى نزل بهشام أمر الله ، فلما صار الى حال لا ترجى الحياة لمثله معها أرسل عياض الى الخزّان احتفظوا بما فى أيديكم فلا يصلن أحد الى شيء ، وأفاق هشام افاقة فطلب شيئاً فمنعه فقال أرانا كنا خزاناً للوليد ، وقضى من ساعته فخرج عياض من السجن ساعة قضى هشام ، فختم الأبواب والخزائن وأمر بهشام فأنزل عن فراشه ومنعهم أن يكفنوه من الخزائن ، فكفنه غالب مولى هشام ولم يجدوا قمقماً حتى استعاروه ، وأمر الوليد بأخذ ابني هشام بن اسمعيل المخزومى فأخذا بعد أن عاذ ابراهيم بن هشام بقبر يزيد بن عبد الملك ، فقال الوليد ما أراه الا قد نجا ، فقال له يحيى بن عروة بن الزبير وأخوه عبد الله ان الله لم يجعل قبر أبيك معاذاً للظالمين فخذه برد ما فى يده من مال الله ، فقال صدقت ، وأخذهما فبعث بهما الى يوسف بن عمر ، وكتب اليه أن يبسط عليهما العذاب حتى يتلفا ، ففعل ذلك بهما ، وماتا جميعاً فى العذاب بعد أن أقيم ابراهيم بن هشام للناس حتى اقتصوا منه المظالم

قالوا ولما نعي هشام للوليد قال والله لأتلقين هذه النعمة بسكرة قبل الظهر، ثم أنشأ يقول

طاب يومى ولذَّ شرب السُّلافة   اذ أتانا نعيّ من بالرُّصافة
وأتانا البريد ينعى هشاماً   وأتانا بخاتم للخـلافة
فاصطبحنا من خمر عانة صرفاً   ولهونا بقينـــة عزَّافة

وقال

طال ليلى فبت أُسقى المداما   اذ أتانى البريد ينعى هشاما
وأتانى بحـلة وقضيب   وأتانى بخـاتم ثم قاما
فجملت الولى من بعد فقدي   يفضل الناس ناشـــئاً وغلاما
ذاك ابني وذاك قَرْم قريش   خير قَرْم وخيرهم أعماما

وقال

هلك الأحول المشؤ   م فقد أرســل المطر
ثمت استخلف الوليـــد فقد أورق الشجر

وقال

ليت هشاماً عاش حتى يرى   مكياله الأوفر قد أُترعا
كِلنا له الصاع التى كالهـا   فما ظلمناه بها أصوعا
لم نأت ما نأتيه عن بدعة   أحله الفرقان لى أجمعا

وحلف ألا يبرح موضعه حتى يغني فى هـذا الشعر ويشرب عليه، فتغنى له فيه وشرب وسكر، ثم دخل فبويع له بالخلافة، وسمع صياحاً فسأل عنه فقيل له هذا من دار هشام يبكيه بناته فقال

انى سمعت بليل   ورا المصـلى برنة
اذا بنات هشام   يندبن والدهنه

يندبن قرماً جليلاً قد كان يعضدهنه

وللوليد أشعار جياد فوق هـذا الشعر ، فمنها وهو ما برّز فيه وجوّده وتبعه الناس جميعاً فيه وأخذوه منه قوله فى صفة الخمر

اصدع نجيّ الهموم بالطرب وانعم على الدهر بابنة العنب
واستقبل العيش فى غضارته لا تقفُ منه آثار معتقب
من قهوة زانهـا تقادمها فهى عجوز تعلو على الحِقب
أشهى الى الشَّرب يوم جلوتها من الفتاة الكريمـة النسب
فقـد تجلت ورقّ جوهرها حتى تبدت فى منظر عجب
فهى بغير المزاج من شرر وهى لدى المزج سائل الذهب
كأنهـا فى زجاجها قبَس تذكو ضياء فى عين مرتقب
فى فتية من بني أميـة أهـــل المجد والمأثرات والحسب
مافى الورى مثلهم ولا بهم مثلى ولا منتمٍ لمثـل أبى

ومن قوله

اذا لم يكن خير مع الشر لم تجد نصيحاً ولا ذا حاجة حين تفزع
وكانوا اذا هموا باحدى هَناتِهم حسرت لهم رأسي فلا أتقنع

ومن نادر شعره قوله

فان تك قد مللت القرب مني فسوف ترى مجانبتى وبعدى
وسوف تلوم نفسك ان بقينا وتبلو الناس والأحوال بعدى
فتندم فى الذى فرطت فيـه اذا قايست فى ذمى وحمدى

لمـا خرج زيد بن على رضى الله عنه على هشام منع أهل مكة وأهل المدينة أعطياتهم سنة فكتب الوليد الى أهل المدينة لما استخلف

ألا أيهـا الركب المخبّون بلغوا سلامى سكان البـلاد فأسمعوا

وقولوا أتاكم أشبه الناس سنة بوالده فاستبشروا وتوقعوا
سيوشك الحاق بكم وزيادة وأعطية تأتى تباعاً فتشفع
ضمنت لكم ان لم تصابوا بمهجتي بأن سماء الضر عنكم ستُقلع

فقال حمزة بن بيض يرد على الوليد لما فعل خلاف ذلك

وصلت سماء الضر بالضر بعدما زعمت سماء الضر عنا ستقلع
فليت هشاماً كان حياً يسوسنا وكنا كما كنا نرجى ونطمع

بعث الوليد الى جماعة من أهله لما ولى الخلافة فقال أتدرون لم دعوتكم ؟ قالوا لا ، قال فليقل قائلكم ، فقال رجل منهم أردت يا أمير المؤمنين أن ترينا ما جدد الله لك من نعمته واحسانه ، فقال نعم ولكني

أشهد الله والملائكة الأبـرار والعابدين أهل الصلاح
أنني أشتهي السماع وشرب الكا س والعض للخدود الملاح
والنديم الكريم والخادم الفا ره يسعى عليّ بالأقداح

وفد سعد بن مرة بن جبير ، وكان شاعراً ، على الوليد بن يزيد فعرض له في يوم من أيام الربيع وقد خرج الى متنزه له فصاح به يا أمير المؤمنين وافدك وزائرك ومؤملك ، فتبادر اليه الحراس ليصدوه عنه ، فقال دعوه ، ادنُ اليَّ ، فدنا اليه فقال من أنت ؟ قال رجل من أهل الحجاز شاعر ، قال تريد ماذا ؟ قال تسمع مني أربع أبيات ، قال هات ، فقال

شِمْنَ المخايل نحو أرضك بالحيا ولقِين ركباناً بعُرفك قفَّلا

قال ثم مه ؟ قال

فعمدَن نحوك لم يعُجن بحاجة الا وقوع الطير حتى ترحلا

قال ان هذا لسير حثيث ، ثم ماذا ؟ قال

يعمدن نحو مُوطىء حجراته كرماً ولم تعدل بذلك معدلا

قال قد وصلت اليه فه ؟ قال

لاحت له نيران حى تُصطلى　　فاخترن نارك فى المنازل منزلا

كان الوليد فى حياة أبيه متزوجاً سعدة بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان فرأى أختها سلمى فوقعت بقلبه ، فلما مات أبوه طلق سعدة زوجته وخطب سلمى الى أبيها فلم يزوجه ورده أقبح رد ، وهويها الوليد ورام السلو عنها فلم يسل ، ثم ندم على طلاقه سعدة وكان لها من قلبه محل ولم تحصل له سلمى ، فاهتم لذلك وجزع ، وراسل سعدة وقد كانت زوجت فلم ينتفع بذلك ، ومن قوله فيها

فما مسك يُعَلّ بزنجبيل　　ولا عسل بألبان اللقاح

بأشهى من مُجاجة ريق سلمى　　ولا مافى الزقاق من القَراح

ولا والله ما أنسى حياتى　　وثاق الباب دونى واطراحى

وكان قد تزيا زى بائع زيت ودخل قصرها ليراها فلما رأته عرفته وقالت هو والله الفاسق الوليد

ولما طال بالوليد مابه كتب الى أبيها

أبا عثمان هل لك فى صنيع　　تصيب الرشد فى صلتى هديتا

فأشكر منك ما تسدى وتحيى　　أبا عثمان ميتة وميتا

فلم يجبه الى ذلك حتى ولي الخلافة فلما وليها زوجه اياها فلم يلبث الا مدة يسيرة حتي ماتت ، وقال فيها ليلة زفت اليه

خف من دار جيرتى　　يا ابن داود أنسها

وهى طويلة وفيها مما يغنى به

أوَ لا تخرج العرو　　س فقد طال حبسها

قد دنا الصبح أو بدا　　وهى لم يقض لبسها

برزت كالهلال فى　　ليلة غاب نحسها

بين خمس كواعب　　　أكرم الخمس جنسها

ولما ماتت قال

ألما تعلما سلمى أقامت　　　مضمنة من الصحراء لحدا
لعمرك ياوليد لقد أجنّوا　　　بها حسباً ومكرمة ومجدا
ووجهاً كان يقصر عن مداه　　　شعاع الشمس أهل أن يُفدّى
فلم أر ميتاً أبكى لعين　　　وأكثر جازعاً وأجل فقدا
وأجدر أن تكون لديه ملكاً　　　يريك جلادة ويُسر وجدا

ومما قاله الوليد فى سلمى وغنى المغنون فيه

عرفت المنزل الخالي　　　عفا من بعد أحوال
عفاه كل حنّان　　　عسوف الوَبْل هطال
لسلمى قرة العين　　　وبنت العم والخال
بذلت اليوم فى سلمى　　　خِطاراً أتلفت مالى
كأن المسك فى فيها　　　سحيق بين جِريال

ومنها

منازل قد تحل بها سليمى　　　دوارس قد أضر بها السنون
أميت السر حفظاً ياسليمى　　　اذا ما السر باح به الخَزون

ومنها

أرانى قد تصابيت　　　وقد كنت تناهيت
ولو يتركني الحب　　　لقد صمت وصليت
اذا شئت تصبرت　　　ولا أصبر ان شيت
ولا والله لا يصبر فى الديمومة الحوت
سليمى ليس لي صبر　　　وان رخصت لي جبت

فقبلتك ألفــين وفديت وحييت
ألا أحبب بزَوْر زا ر من سلمى ببيروت
غزال أدعج العينين نقى الجيــد والليت

ومنهـا

عتبت سـلمى علينا سفاهاً أن سببت اليوم فيها أباها
كان حق العتب يا قوم مني ليس منها كان قلبي فداها
فلئن كنت أردت بقلبي لأبى سـلمى خلاف هواها
فثكلت اليوم سلمى فسلمى ملأت أرضى معاً وسماها
غير أنى لا أظن عدواً قد أتاها كاشحاً فأذاها
فلها العتبى لدينـــا وقلت أبداً حتى أنال رضاها

وكان الوليد قد لقى سعيد بن خالد فقال له يا أبا عثمان أتردنى على سلمى ؟ وكأنى بك لو قد وليت الخلافة خطبتني فلم أجبك وان تزوجتها حينئذ فهى طالق ثلاثاً ، فقال له سعيد ان المرء يجعل كريمته عند مثلك لحقيق بأكثر مما قلت فأمضه الوليد وتشاتما وتسامعا وافترقا ، وبلغ الوليد أن سـلمى جزعت لما جرى وسبت الوليد ونالت منه ، فقال ما تقدم وقال أيضاً

على الدور التى بليت سفاهاً قفا يا صاحبي فســائلاها
دعتك صبابة ودعاك شوق وأخضل دمع عينك ما أُقياها
وقالت عند هجوتنا اباها أردت الصرم فانتده انتداها
أردت بعادنا بهجاء شيخى وعندك خلة تبغي هواها
فان رضيت فذاك وان تمادت فيها خطة بلغت مداها

ومنـــه

خبرونى ان سلمى خرجت يوم المصلى

فاذا طـــير مليح فوق غصن يتفلى
قلت من يعرف سلمى ؟ قال ها ثم تعلى
قلت يا طير ادنُ مني قال ها ثم تدلى
قلت هل أبصرت سلمى؟ قال لا ثم تولى
فنكا فى القلب كلْماً باطناً ثم تعـــلى

وقال يعتذر من هجائه أباها

ألا أبلغ أبا عثما ن عذرة معتب أسفا
فلست كمن يودُّك باللســـان ويكثر الحلفا
عتبت عليَّ فى أشيا ء كانت بيننا سرفا
فلا تشمت بى الأعدا ء والجيران ملتهفا
تودَّ لو أنني لحم رأته الطير فاختطفا
ولا ترفع به رأساً عفا الرحمن ما سلفا

ومما قاله فيها

اسقني يا ابن سالم قد أنارا كوكب الصبح وانجلى واستنارا
اسقني من سُلاف ريق سليمى واسق هذا النديم كأساً عقارا

ومنهـــا

ســقيت أبا كامل من الأصفر البابلى
وســقيتها معبداً وكل فتى بازل
لي المحض من ودهم ويغمرهم نائلى
فـــما لامني فيهمُ سوى حاسد جاهل

ومنها وهو من أملح شعره

أرانى الله يا ســـلمى حياتى وفى يوم الحساب كما أراك

ألا تجزين من تيمت عصراً ومن لو تطلبين لقد قضاك
ومن لو مت مات ولا تموتى ولو أُنْسِى له أجل بكاك
ومن حقاً لو اُعطِ ما تمنى من الدنيا العريضة ما عداك
ومن لو قلت مت فأطاق موتاً إذاً ذاق الممات وما عصاك
أثيبى عاشـقاً كلِفاً مُعنًّى اذا خَدِرت له رجل دعاك

كانت العرب تقول ان الانسان اذا خَدِرت قدمه دعا باسم أحب الناس اليه فسكنت

ومنها

ويح سلمى لو ترانى لعناها ما عنانى
متلفاً فى اللهو مالي عاشقاً حور القيان
انما أحزن قلبى قول سلمى اذ أتانى
ولقد كنت زماناً خالي الدهر لشانى
شاق قلبى وعنانى حب سلمى وبرانى
ولكم لام نصيح فى سليمى ونهانى

ومنها

بلغا عني سليمى وسلاها لي عما
فعلت فى شأن صب دَنِف أُشْعِرِ هَمّا
ولقد قلت لسلمى اذ قتلت البين علما
أنت همى يا سليمى قد قضاه الرب حتما
نزلت فى القلب قسراً منزلاً قد كان يُحمى

ومنها

يا سليمى يا سليمى كنت للقلب عذابا

يا سـليمى ابنة عمى ... بَرَدَ الليـل وطابا
أيما واش وشى بى ... فاملئى فاه ترابا
ريقها فى الصبح مسك ... باشر العذب الرُضابا

ومنهـا

أسلمى تلك حييت ... قفى نخبرك ان شيت
وقيـلى ساعة نشكو ... اليـك الحب أو بيتى
فمـا صهباء لم تـكس ... قذى من خمر بيْرُوت
ثوت فى الدن أعواماً ... ختيماً عنـد حانوت

ومنهـا

يامن لقلب في الهوى متشعب ... بل من لقلب بالحبيب عميد
سلمى هواه ليس يعرف غيرها ... دون الطريف ودون كل تَلِيد
ان القرابة والسعادة ألفا ... بين الوليد و بين بنت سعيد
ياقلب كم كَلِفِ الفؤاد بغادة ... ممكورة ريَّا العظام خريد

ومنهـا

قد تمنى معشر اذ طربوا ... من عُقار وسوام وذهب
ثم قالوا لى تمن واستمع ... كيف ننحو فى الأمانى والطلب
فتمنيت سليمى انهـا ... بنت عمى من لهَاميم العرب

ومنهـا

هـل الى أم سعيد ... من رسول أو سبيل
ناصح يخـبر أنى ... حافظ ود خليـلى
يبذل الود لغيرى ... وأكافى بالجميـل
لست أرضى لخليـلى ... من وصـالى بالقليل

ومنهـا

طاف من سلمى خيال　　بعـد ما نمت فهـاجا
قلت عُج نحوى أسائلـــك عن الحب فعاجا
يا خليـــلى يا نديمى　　قم فأنفث لى سراجا
بفَــلاة ليس ترعى　　أنبتت شيحاً وحاجا

ومنهـا

أم سـلام أنيبى عاشقاً　　يعـــلم الله يقينا ربه
أنــكم من عيشه فى نفسه　　ياسليمى فاعلميه حسبه
فارحميه انه يَهذى بكم　　هائم صب قد آودى قلبه
أنت لو كنت له راحمة　　لم يكدِّر ياسليمى شربه

ومنهـا

رب بيت كأنه متن سهم　　سوف نأتيه من قرى بيروت
من بلاد ليست لنا ببلاد　　كلمــا جئت نحوها حييت
أم سلام لا برحت بخير　　ثم لازلت جنتى ما حييت
طرباً نحوكم وتَوْقاً وشوقاً　　لادِّكار بكم وطيب المبيت
حينما كنتمُ من بلاد وسرتم　　فوقاك الاله ما قد خشيت

ومنهـا

طرقتنى وصحـابى هجوع　　ظبية أدماء مثـل الهلال
مثل قرن الشمس لما تبدت　　واستقلت فى رؤوس الجبال
تقطع الأهوال نحوى وكانت　　عندنا سلمى ألوف الحِجال
كم أجازت نحونا من بلاد　　وحشة قتـــالة للرجال

ومنهـا

أنا الوليـد الامام مفتخراً　　أنعم بالى وأتبع الغزلا

أهوى سليمى وهي تصرمني   وليس حقاً جفاء من وصلا
أسحب بردى الى منازلها   ولا أبلي مقال من عذلا

وقال الوليد على لسان سلمى

اقر مني على الوليد السلاما   عدد النجم قلَّ ذا للوليد
حسداً ماحسدت أختي عليه   ربنا بيننا وبين سعيد

كانت للوليد جارية يقال لها صَدوف فغاضبها ثم لم يطعه قلبه فجعل يتسبب لصلحها ، فدخل عليه رجل قرشي من أهل المدينة فكلمه في حاجة وقد عرف خبره فبَرِم به فأنشده

أعتبت أن عتبت عليك صدوف   وعتاب مثلك مثلها تشريف
لاتقعدن تلوم نفسك دائماً   فيها وأنت بحبها مشغوف
ان القطيعة لا يقوم بمثلها   الاالقوى، ومن يحب ضعيف
الحب أملك للفتى من نفسه   والذل فيه مسلك مألوف

فضحك وجعل ذلك سبباً لصلحها وأمر بقضاء حوائج القرشي كلها

ومن قوله

قامت إليَّ بتقبيل تعانقني   رَيّا العظام كأن المسك في فيها
ادخل فديتك لايشعر بنا أحد   نفسي لنفسك من داء تفديها
بتنا كذلك لانوم على سرر   من شدة الوجد تدنيني وأدنيها
حتي اذا مابدا الخيطان قلت لها   حان الفراق فكاد الحزن يشجيها
ثم انصرفت ولم يشعر بنا أحد   والله عني بحسن الفعل يجزيها

مر الوليد وهو متصيد بنسوة من بني كلب من بني المنجاب فوقف عليهن واستسقاهن وحدثهن وأمر لهن بصلة ثم مضى وهو يقول

ولقد مررت بنسوة أعشينني   حور المدامع من بني المنجاب

فيهن خرعبة مليح دلّها غرّ في الوشاح دقيقة الأنياب
زين الحواضر ما ثوت في حضرها وتزين باديها من الأعراب

خرج الوليد يتصيد ذات يوم فصادت كلابه غزالا فأتى به فقال حلوه فما رأيت أشبه منه جيداً وعينين بسلمى ، ثم أنشأ يقول

ولقد صدنا غزالاً سانحاً قد أردنا ذبحه لما سنح
فاذا شبهك ما ننكره حين أزجى طرفه ثم لمح
فتركناه ولولا حبكم فاعلمى ذاك لقد كان انذبح
أنت ياظبي طليق آمن فاغدُ في الغزلان مسروراً ورُحْ

خرج الوليد بن يزيد وكان مع أصحابه على شراب فقيل له ان اليوم الجمعة فقال والله لأخطبنهم اليوم بشعر ، فصعد المنبر فخطب فقال

الحمد لله ولى الحمد أحمده في يسرنا والجهد
وهو الذي في الكرب أستعين وهو الذي ليس له قرين
أشهد في الدنيا وما سواها ألا إله غيره إلها
ما إن له في خلقه شريك قد خضعت لملكه الملوك
أشهد أن الدين دين أحمد فليس من خالفه بمهتد
وانه رسول رب العرش القادر الفرد الشديد البطش
أرسله في خلقه نذيراً وبالكتاب واعظاً بشيرا
ليظهر الله بذاك الدينا وقد جعلنا قبل مشركينا
من يطع الله فقد أصابا أو يعصه أو الرسول خابا
ثم القران والهدى السبيل قد بقيا لما مضى الرسول
كأنه لما بقى لديكم حى صحيح لا يزال فيكم
انكم من بعد أن تزلوا عن قصده أو نهجه تضلوا

لا تتركُنْ نصحى فانى ناصح ... ان الطريق فاعلمنَّ واضح
من يتق الله يجد غِبَ التقى ... يوم الحساب صائراً الى الهدى
ان التقى أفضل شيء فى العمل ... أرى جماع البر فيه قد دخل
خافوا الجحيم اخوتى لعلكم ... يوم اللقاء تعرفوا ما سركم
قد قيل فى الأمثال لو علمتم ... فانتفعوا بذاك ان عقلتم
ما يزرع الزارع يوماً يحصده ... وما يقدِّم من صلاح يحمده
فاستغفروا ربكمُ وتوبوا ... فالموتُ منكم فاعلموا قريب

كان للوليد ابن يقال له مؤمن فمات فنعاه اليه سنان الكاتب فقال الوليد

أتانى سنان بالوداع لمؤمن ... فقلت له انى الى الله راجع
ألا أيها الحاثى عليه ترابه ... هُبلت وشَلت من يديك الأصابع
يقولون لاتجزع وأظهر جلادة ... فكيف بما تحنى عليه الأضالع

قال يزيد بن أبي مساحق السُلمى مؤدب الوليد شعراً وبعث به الى النَّوار جارية الوليد فغنته به وهو

مضى الخلفاء بالامر الحميد ... وأصبحت المذمة للوليد
تشاغل عن رعيته بلهو ... وخالف فعل ذى الرأى الرشيد

فكتب اليه الوليد

ليت حظى اليوم من ... كل معاش لي وزاد
قهوةٌ أبذُل فيها ... طارفى ثم تلادي
فيظَل القلب منها ... هائماً فى كل وادى
ان فى ذاك صلاحي ... وفلاحى ورشادى

قال الوليد بن يزيد يابنى أمية اياكم والغناء فانه ينقص الحياء ويزيد فى الشهوة يهدم المروءة ويثور على الخمر ويفعل ما يفعل السكر فان كنتم لا بد فاعليه فجنبوه

النساء ، وانى لأقول ذلك على انه أحب اليَّ من كل لذة وأشهى اليَّ من الماء الى ذي الغُلة ولكن الحق أحق أن يقال

عقد الوليد ولاية العهد لابنيه عثمان ثم سعيد والحكم فقيل له ان الناس قد أنكروا مافعلت وقالوا يبايع لمن لم يحتلم فقال أفأدخل بيني و بين ابنى غيرى فيلقى منه كما لقيت من الأحول بعد أبى ؟ ثم أنشأ يقول

سرى طيف ظبي بأعلى الغُوَيـــر ليلاً فهيج قلباً عميدا
وأرَّق عينى على غــرة فبات بحزن يقاسى السهودا
نؤمل عثمان بعد الوليـــد للعهد فينا ونرجو سعيدا
كما كان اذ كان فى دهره يزيد يرجي لتلك الوليــدا
على انها شسعت شسعة فنحن نرجى لها أن تعودا
فان هى عادت فعاص القريـــب منها لتوئس منها البعيدا

لما انهمك الوليد على شربه ولذاته ورفض الآخرة وراء ظهره وأقبل على القصف والعسف مع المغنين كان نديمه القاسم بن الطويل العبادى ، وكان أديباً ظريفاً شاعراً فكان لا يصبر عنه ، فشرب يوماً حتى غلب عليه السكر فنام فى موضعه فانصرف ابن الطويل ، فلما أفاق الوليد سأل عنه فعرف خبره حين انصرافه فغضب وقال وهو سكران لغلام كان واقفاً على رأسه يقال له سبرة ائتني برأســه ، فمضى الغلام حتى ضرب عنقه وأتاه برأسه فجعله فى طشت بين يديه ، فلما رآه أنكره وسأل عن الخبر فعرفه فاسترجع وندم على ما فرط منه وجعل يقلب الرأس بيده ، ثم قال يرثيه

عينيَّ للحدث الجليل جودا بأربعة همول
جودا بدمعي انه يشفى الفؤاد من الغليل
لله قــبر ضمنت فيه عظام ابن الطويل

ماذا تضمن اذ ثوى فيه من اللب الأصيل
قد كنت آوى من هوا ك الى ذُرا كهف ظليل
أصبحت بعدك واحداً فرداً بمَدرجة السيول

ثم دخل الى جواريه فقال والله ما أبالي متي جاءني الموت بعد الخليل ابن الطويل ، فيقال انه لم يعش بعده الا مديدة حتى قتل والله أعلم

كان بين الحكم بن الزبير وبين بكر بن نوفل شيء في وكالة للوليد ، يخاصم بكراً في الرحبة من أرض دمشق وكان قد استولى عليها ، فقطع شفره الأعلى ، فاستعدى عليه هشاماً فلم يُعْدِه ، فقال الوليد في ذلك

أيا حكمُ المتبول لو كنت تعتزي الى أُسرة ليسوا بسود زعانف
لأيقنت قد أدركت وِتْرك عَنْوة بلاحكم قاض بل بضرب السوالف

فلما استخلف الوليد بعث الى بكر فقال ألا تعطى حكم بن الزبير حقه ؟ قال لا ، فأمر به فشُتِرت عينه ثم قال

يارب أمرٍ ذي شئون جحفل قاسيت فيه حلبات الأحول

أهدى رجل الى هشام بن عبد الملك خيلاً فكان فيها فرس مربوع قريب الركاب ، فعرف الوليد منه مالم يعرف هشام فنهر الرجل وشتمه وقال أتجيء بمثل هذا الى أمير المؤمنين ؟ ردوه عليه ، فردوه ، فلما خرج وجه اليه بثلاثين ألف درهم وأخذه منه فهو فرسه الذى يسميه السندى

خرج الوليد يوماً يتصيد وحده فانتدَب اليه مولى لهشام يريد الفتك به ، فلما بصر به الوليد صاوله فقهره بفرسه الذى كان تحته فقتله وقال فى ذلك

ألم ترَ أنى بينما أنا آمن يخُبّ بى السندي قفراً فيافيا
تطلَّعت من غَور فأبصرت فارساً فأوجست منه خيفة أن يرانيا
ولما بدا لي أنما هو فارس وقفت له حتى أتى فرمانيا

رماني ثلاثاً ثم اني طعنته فروّيت منه صعدتي وسنانيا

وقال في فرسه السندي

قد اغتدى بذي سبيب هيكل[1] مشرّب مثل الغراب أرجل[2]

أعددته لحلبات الأحول وكل نقع ثائر لجحفل

وكل خطب ذي شئون معضل

فقال هشام لكنا أعددنا له ما يسوءه، نخلعه وتقصيه فيكون مهاناً مدحوراً مطرودا

لما ولي الخلافة خطب سلمى التي كان ينسب بها فزوجها لما مضى صدر من خلافته، فأقامت عنده سبعة أيام فماتت، فقال يرثيها

ياسلم كنت كجنة قد أطعمت أفنانها دانٍ جناها موضع

أربابها شغفاً عليها نومهم تحليل موضعها ولما يهجعوا

حتى اذا فسخ الربيع ظنونهم نثر الخريف ثمارها فتصدعوا

دخل ابن الأقرع على الوليد فقال له أنشدني قولك في الخمر، فأنشده قوله

كميت اذا شجت وفي الكأس وردة لها في عظام الشاربين دبيب

تريك القذى من دونها وهي دونه لوجه أخيها في الاناء قطوب

فقال الوليد شربتها يا ابن الأقرع ورب الكعبة، فقال يا أمير المؤمنين لئن كان نعتي لها رابك لقد رابني معرفتك بها

نظر الوليد الى أم حبيب بنت عبد الرحمن بن مصعب وقد مروا بين يديها بالشمع ليلاً، فلما رآها أعجبته وراعه جمالها وحسنها، فسأل عنها، فقيل ان له لها زوجاً، فأنشأ يقول

انما هاج لقلبي شجوه بعد المشيب

١) السبيب من الفرس شعر الذنب والعرف والناصية وهيكل مرتفع
٢) الأرجل ذو الترجيل وهو بياض في احدى رجلي الدابة

نظرة قد وقرت فى القلب من أمّ حبيب
فاذا ما ذقت فاها ذقت عذباً ذاغُروب
خالط الراح بمسك خالص غير مشوب

لما ظهرت المسوّدة بخراسان كتب نصر بن سيار الى الوليد يستمده فتشاغل عنه ، فكتب اليه كتاباً وكتب فى أسفله يقول

أرى خَلَل الرَّماد وميض جمر وأحْرِ بأن يكون له ضِرام
فان النار بالعُودين تذكى وان الحرب مبدؤها الكلام
فقلت من التعجب ليت شعرى أأيقاظ أمية أم نيام ؟

فكتب اليه الوليد قد أقطعتك خراسان فاعمل لنفسك أودع فانى مشغول عنك بابن سُريج ومعبد والغريض

قال عبدالصمد بن موسى الهاشمى انما أغلى الجوهر بنو أمية ولقد كان الوليد بن يزيد يلبس منه العقود ويغيرها فى اليوم مراراً كما تغير الثياب شغفاً ، فكان يجمعه من كل وجه ويغالي به ، وكان يوماً فى داره على فرس له وجارية تضرب الطبل قدامه فأخذه منها ووضعه على رقبته ونفر الفرس من صوت الطبل ، فخرج به على أصحابه في هذه الهيئة وكان خليعاً

لما أظهر الوليد أمره وأدمن على اللهو والصيد واحتجب عن الناس ووالى بين الشرب وانهمك فى اللذات شتمه الناس ووعظه من أشفق عليه من أهله فلما لم ينفع دبروا فى خلعه ، فكلم بشر بن الوليد أخاه العباس بن الوليد فى أن يخلع الوليد بن يزيد فنهاه العباس وقال يابنى مروان أظن ان الله قد أذن فى هلاككم ثم قال

انى أعيذكمُ بالله من فتن مثل الجبال تسامى ثم تندفع
ان البرية قد ملت سياستكم فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا
لاتُلحمن ذئاب الناس أنفسكم ان الذئاب اذا ما ألحمت رتعوا

لا تبقرن بأيديكم بطونكمُ فثمَّ لا فدية تغنى ولا جزع

فلما استجمع ليزيد بن عبد الملك أمره وهو متبد أقبل الى دمشق ، وبين مكانه الذى كان متبدياً فيه وبين دمشق أربع ليال ، فأقبل الى دمشق متنكراً فى سبعة أنفس على حمر وقد بايع له أكثر أهل دمشق وبايع له أكثر أهل المزّة ، فقال مولى لعباد بن زياد انى لبجَرود « وبين جرود ودمشق مرحلة » اذ طلع علينا سبعة معتمّين على حمر فنزلوا وفيهم رجل طويل جسيم فرمى بنفسه فنام وألقَوا عليه ثوباً ، وقالوا لي هل عندك شيء نشتريه من طعام ؟ فقلت أما بيع فلا وعندي من قراكم ما يشبعكم ، فقالوا فعجله ، فذبحت لهم دَجاجاً وفراخاً وأتيتهم بما حضر من عسل وسمن وشوانيز وقلت أيقظوا صاحبكم للغداء ، فقالوا هو محموم لا يأكل ، فسفَروا للغداء فعرفت بعضهم ، وسفر النائم فاذا هو يزيد بن الوليد فعرفته فلم يكلمني ، ومضوا ليدخلوا دمشق ليلاً فى نفر من أصحابه مشاة الى معاوية بن معاذ وهو بالمزّة وبينها وبين دمشق ميل فأصابهم مطر شديد فأتوا منزل معاوية فضربوا بابه وقالوا يزيد بن الوليد ، فقال له معاوية ادخل أصلحك الله ، قال فى رجلي طين وأكره أن أفسد عليك بساطك ، فقال ما تريد بى أفسد ، فمشى على البساط وجلس على الفراش ، ثم كلم معاوية فبايعه ، وخرج الى دمشق فنزل دار ثابت بن سليمان مستخفياً ، وعلى دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف ، نخاف عبد الملك فخرج فنزل قنطا واستخلف ابنه على دمشق وعلى شرطته أبو العاج كثير ابن عبد الله السلمى ، وتم ليزيد أمره فأجمع على الظهور ، وقيل لعامل دمشق ان يزيد خارج ، فلم يصدق ، وأرسل يزيد الى أصحابه بين المغرب والعشاء فى ليلة الجمعة من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة فكمنوا فى ميضأة عند باب الفراديس ، حتى اذا أذنوا العتمة دخلوا المسجد مع الناس فصلَّوا ، وللمسجد حرس قد وكلوا باخراج الناس من المسجد بالليل فاذا خرج الناس خرج الحرس وأغلق صاحب

المسجد الأبواب ودخل الدار من باب المقصورة فيدفع المفاتيح الى من يحفظها ويخرج ، فلما صلى الناس العتمة صاح الحرس بالناس فخرجوا وتباطأ أصحاب يزيد فجعلوا يخرجونهم من باب ويدخلون من باب حتى لم يبق فى المسجد الا الحرس وأصحاب يزيد ، فأخذوا الحرس ، ومضى عنبسة الى يزيد فأخبره وأخذ بيده وقال قم يا أمير المؤمنين وأبشر بعون الله ونصره فأقبل وأقبلنا ونحن اثنا عشر رجلاً ، فلما كنا عند سوق القمح لقيهم فيها مائتا رجل من أصحابهم ، فمضَوْا حتى دخلوا المسجد وأتوْا باب المقصورة وقالوا نحن رسل الوليد ففتح لهم خادم الباب ودخلوا ، فأخذ الخادم واذا أبو العاج سكران فأخذوه وأخذوا خزان البيت وصاحب البريد ، وأرسل الى كل من كان يحذره فأخذه ، وأرسل من ليلته الى محمد بن عبيدة مولى سعيد بن العاص وهو على بعلبك والى محمد بن الحجاج فأخذهما ، وبعث أصحابه الى الخشبية فأتوْه وقال للبوابين لا تفتحوا الأبواب غدوة الا لمن أخبركم بشعار كذا وكذا ، فتركوا الأبواب فى السلاسل ، وكان فى المسجد سلاح كثير قدم به سليمان بن هشام من الجزيرة فلم يكن الخزان قبضوه فأصابوا سلاحاً كثيراً فأخذوه ، وأصبحوا وجاء أهل المزة مع حريث بن أبي الجهم فما انتصف النهار حتى بايع الناس يزيد وهو يتمثل قول النابغة

اذا استُنزلوا عنهن للطعن أرقلوا ❊ الى الموت ارقال الجمال المصاعب

فجعل أصحابه يتعجبون ويقولون انظروا الى هذا كان قبيل يسبح وهو الآن ينشد الشعر ، وأمر يزيد عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك فوقف بباب الجابية فنادى ألا من كان له عطاء فله أربعون ديناراً في العطاء ومعونة ألف درهم ، فبايع له الناس وأمر بالعطاء ، وندب يزيد بن الوليد الناس الى قتال الوليد مع عبد العزيز وقال من انتدب معه فله ألفان ، فانتدب ألفا رجل فأعطاهم وقال موعدكم دنية ، فوافى دنية ألف ومائتا رجل فقال ميعادكم مصنعة بالبرية وهى لبنى عبد العزيز بن الوليد

فوافاه ثمانمائة رجل ، فسار فوافاهم ثقل الوليد فأخذوه ، ومع عبد العزيز فرسان منهم منصور بن جمهور ويعقوب بن عبد الرحمن السلمي والأصبغ بن ذؤالة وشبيب ابن أبي مالك الغساني وحميد بن نصر اللخمي ، فأقبلوا فنزلوا قريباً من الوليد ، فقال الوليد أخرجوا إليّ سريراً ، فأخرجوه فصعد عليه وأتاه خبر العباس بن الوليد أني أجيئك ، وأتى الوليد بفرسين الزابد والسندي وقال أعلي يتواثب الرجال وأنا أثب على الأسد وأعض الأفاعي ؟ وهم ينتظرون العباس أن يأتيهم ، ولم يكن بينهم كبير قتال ، فقتل يزيد بن عثمان الخشبي « وكان من أولاد الخشبية الذين كانوا مع المختار » وبلغ عبد العزيز بن الحجاج أن العباس بن الوليد يأتي الوليد فأرسل منصور بن جمهور في جريدة خيل وقال انكم تلقون العباس بن الوليد ومعه بنوه في الشِّعب فخذوه ، وخرج منصور في تلك الخيل وتقدموا الى الشعب واذا العباس ومعه بنوه قد تقدموا أصحابه ، فقال له اعدل الى عبد العزيز ، فشتمهم ، فقال له منصور والله لئن تقدمت لأُنفذن حضنيك بالرمح ، فقال إنا لله ، فأقبلوا به يسوقونه الى عبد العزيز ، فقال له عبد العزيز بايع ليزيد ، فبايع ووقف ونصب راية وقال هذا العباس قد بايع ونادى منادي عبد العزيز من لحق بعباس فهو آمن ، فقال العباس انا لله خدعة من خدع الشيطان هلك والله بنو مروان ، فتفرق الناس عن الوليد وأتوا العباس ، وظاهر الوليد في درعين وقاتلهم ، وقال الوليد من جاء برأس فله خمسمائة درهم ، فجاء جماعة بعدة رؤوس ، فقال اكتبوا أسماءهم ، فقال له رجل من مواليه ليس هذا يا أمير المؤمنين يوماً يقاتل فيه بالنسيئة ، ثم سمعهم يفترون عليه فدخل القصر وأغلق الباب وقال

دعوا لي سليمى والطِّلاء وقَيْنة   وكأساً ، ألا حسبي بذلك مالا
اذا ماصفا عيش برملة عالج   وعانقت سلمى لا أريد بدالا
خذوا ملككم لاثبت الله ملككم   ثباتاً يساوي ما حييت عقالا

وخلوا عنانى قبل غيرى وماجرى ولا تحسدونى ان أموت هزالا

وقد أحاط الجند بالقصر فقال لهم الوليد من وراء الباب أما فيكم رجل شريف له حسب وحياء أكلمه ؟ فقال يزيد بن عنبسة السكسكي كلمني ؟ فقال له الوليد يا أخا السكاسك ما تنقمون مني ؟ ألم أزد فى أعطياتكم وأعطية فقرائكم وأخدمت زمناكم ودفعت عنكم المؤن ؟ فقال مانتقم عليك فى أنفسنا شيئاً ولكن ننقم عليك انتهاك ماحرم الله وشرب الخمور ونكاح أمهات أولاد أبيك واستخفاف أوامر الله ، قال حسبك يا أخا السكاسك ، فلعمري لقد أغرقت فأكثرت وان فيما أحل الله لسعة ورجع الى الدار فجلس وأخذ المصحف وقال يوم كيوم عثمان ، ونشر المصحف يقرأ فعلوا الى الحائط ، فكان أول من علا الحائط يزيد بن عنبسة ، فنزل وسيف الوليد الى جنبه فقال له يزيد نح سيفك ، فقال له الوليد لو أردت السيف لكانت لي ولك حالة غير هذه ، فأخذ بيده وهو يريد أن يدخله بيتاً ويؤامر فيه ، فنزل من الحائط عشرة فيهم منصور بن جمهور وعبد الرحمن وقيس مولي يزيد بن عبدالملك والسرى بن زياد فضربه عبد الرحمن السلمي على رأسه ضربة وضربه السرى بن زياد على وجهه وجروه بين خمسة ليخرجوه ، فصاحت امرأة كانت معه في الدار فكفوا عنه فلم يخرجوه واحتز رأسه أبو علاقة القضاعى وخاط الضربة التى فى وجهه بالعقب وقدم بالرأس على يزيد قدم به روح بن مقبل وقال أبشر ياأمير المؤمنين بقتل الفاسق ، فاستتم الأمر له ، وقال الأصبع بن ذؤالة الكلبي فى قتل الوليد وأخذهم ابنيه

من مبلغٌ قيساً وخندف كلها وساداتهم من عبدشمس وهاشم
قتلنا أمير المؤمنين بخالد وبعنا ولى عهده بالدراهم

ولما قتل الوليد قال أيوب السختيانى ليت القوم تركوا لنا خليفتنا لم يقتلوه ، وانما قال ذلك تخوفاً من الفتنة

وروى المدائني أن ابناً للغمر بن يزيد بن عبدالملك دخل على الرشيد فقال من

أنت ؟ قال من قريش ، قال من أيها ؟ فأمسك ، قال قل وأنت آمن ولو أنك مروانى ، قال أنا ابن الغمر بن يزيد ، قال رحم الله عمك ولعن يزيد الناقص وقتلة عمك جميعاً فانهم قتلوا خليفة مجمعاً عليه ، ارفع اليّ حوائجك ، فقضاها

وذكر المهدي ليلة الوليد بن يزيد فقال كان ظريفاً أديباً ، فقال له شبيب بن شبة يا أمير المؤمنين ان رأيت ألاّ تجرى ذكره على سمعك ولسانك فافعل فانه كان زنديقاً ، فقال اسكت فما كان الله ليضع خلافته عند من يكفر به ، وروى أن المهدى هو الذى قال أحسبه كان زنديقاً فقام ابن علاثه الفقيه فقال يا أمير المؤمنين ان الله عز وجل أعظم من أن يولي خلافة النبوة وأمر الأمة من لا يؤمن بالله ، لقد أخبرنى من كان يشهده فى ملاعبه وشربه عنه بمروءة فى طهارته وصلاته ، وحدثنى أنه كان اذا حضرت الصلاة يطرح ثياباً كانت عليه من مطيبة ومصبغة ثم يتوضأ فيحسن الوضوء ويؤتى بثياب بيض نظاف من ثياب الخلافة فيصلى فيها أحسن صلاة بأحسن قراءة وأحسن سكوت وسكون وركوع فاذا فرغ عاد الى تلك الثياب التى كانت عليه قبل ذلك ثم يعود الى شربه ولهوه ، أفهذه أفعال من لا يؤمن بالله ؟ فقال له المهدي صدقت بارك الله عليك يا ابن علاثة

نصيب

هو نُصَيب بن رَباح الأموى بالولاء ، مولى عبد العزيز بن مروان ، كان شاعراً فحلاً فصيحاً مقدماً في النسيب والمديح ولم يكن له حظ فى الهجاء ، وكان عفيفاً ، وكان يقال انه لم ينسب قط إلا بامرأته ، وكان أهل المدينة يدعونه النصيب تفخيما له ويروون شعره ، وكان كبير النفس مقدماً عند الملوك يجيد مديحهم ومراثيهم

قال نصيب قلت الشعر وأنا شاب فأعجبنى قولي فجعلت آتى مشيخة بنى

ضمرة ومشيخة بني خزاعة فأنشدهم القصيدة من شعرى ثم أنسبها الى بعض شعرائهم الماضين فيقولون أحسن والله هكذا يكون الكلام وهكذا يكون الشعر ، فلما سمعت ذلك منهم علمت أنى محسن فأزمعت الخروج الى عبد العزيز بن مروان وهو يومئذ بمصر

خرج الى عبد العزيز بن مروان وهو أمير مصر لأول مرة فأقصى عن بابه فرأى رجلا جاء على بغلة حسن الشارة سهل المدخل يؤذن له اذا جاء فأخبره خبره وأنه شاعر مدح الأمير ، فقال له أنشدنى ، فأنشده فأعجبه شعره ، فقال ويحك أهذا شعرك ؟ فإياك أن تنتحل فان الأمير راوية عالم بالشعر وعنده رواة ، وطلب منه أن يقول أبياتاً يذكر فيها حوف[1] مصر وفضله على غيره فقال من عنده

سرى الهم تَثْنِيني اليك طلائعه ... بمصر وبالحوف اعترتنى روائعه
وبات وسادى ساعد قل لحمه ... عن العظم حتى كاد تبدو أشاجعه

وذكر فيها الغيث فقال

وكم دون ذاك العارض البارق الذى ... له اشتقت من وجه أسيل مدامعه
تمشى به أفناء بكر ومَذْحِج ... وأفناء عمرو وهو خِصْبٌ مرابعه
فكل مَسيل من تِهامة طيب ... دَميث الربا تسقى البحارَ دوافعه
أتتنى على برق أريكِ وميضه ... تضىء دُجُنَّات الظلام لوامعه
اذا اكتحلت عينا محب بضوئه ... تجافت به حتى الصباح مضاجعه
هنيئاً لأم البَخْتَرِىّ الرِّوا به ... وان أنهج الحبل الذى أنا قاطعه
ومازلت حتى قلت انى لخالع ... وَلائى من مولى نمتني فوارعه
ومانح قوم أنت منهم مودتى ... ومتخذ مولاك مولى فتابعه

فسهل له الاذن ، فدخل على عبد العزيز وأنشده فأعجبه شعره ، ومما أنشده إياه

(١) الحوف بمصر حوفان الشرقى والغربى وهما متصلان أول الشرق من جهة الشام وآخر الغربى قرب دمياط يشتملان على بلدان وقرى كثيرة وحوف رمسيس موضع آخر بمصر

لعبد العزيز على قومه ... وغيرهم نعم غامرة
فبابك ألين أبوابهم ... ودارك مأهولة عامرة
وكلبك آنسُ بالمعتفين ... من الأُم بالابنة الزائرة
وكفك حين ترى السائليـ ... ـن أندى من الليلة الماطرة
فمنك العطاء ومنا الثناء ... بكل محبَّرة سائرة

فأعطاه ألف دينار فرجع الى مواليه واشترى منهم نفسه وأمه وأخته ثم اشترى ابن خالة له اسمه سحيم فأعتقه ، ثم مرَّ به يوماً وهو يزْفِن ويزْمِر مع السودان فأنكر ذلك عليه وزجره ، فقال له ان كنت أعتقتنى لأكون كما تريد فهذا والله ما لا يكون أبداً وان كنت أعتقتنى لتصل رحمى وتقضى حق فهذا والله الذي أفعله هو الذي أريده أزفن وأزمر وأصنع ماشئت ، فانصرف نصيب وهو يقول

انى أرانى لسحيم قائلا ... ان سحيما لم يُثبني طائلا
نسيت إعمالي لك الرواحلا ... وضربى الأبواب فيك سائلا
عند الملوك أستثيب النائلا ... حتى اذا أنست عتقاً عاجلا
وليتنى منك القفا والكاهلا ... أخلقاً شكساً ولوناً حائلا

ومما مدح به سليمان بن عبد الملك

أقول لركب صادرين لقيتهم ... قفا ذات أوشال ومولاك قارب
قِفوا خبرونى عن سليمان اننى ... لمعروفه من أهل وَدّان طالب
فعاجوا فأثنَوْا بالذى أنت أهله ... ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب
فقالوا عهدناه وكل عشية ... بأبوابه من طالب العرف راكب
هو البدر والناس الكواكب حوله ... ولا تشبه البدرَ المضىءَ الكواكب

وكان اذا قدم على هشام بن عبد الملك أخلى له مجلسه واستنشده مراثى بني أمية فاذا أنشده بكى وبكى معه ، وأنشده يوْماً قصيدة له مدحه بها منها

اذا استبق الناس العلا سبقتهمُ　　يمينك عفواً ثم صلَّت شمالها

فقال له هشام يا أسود بلغت غاية المـدح فسلنى ، فقال يدك بالعطية أجود وأبسط من لسانى بمسألتك ، فقال هـذا والله أحسن من الشعر ، وحباه وكساه وأحسن جائزته

دخل نصيب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أمير المدينة وهو جالس بين قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومنبره ، فقال له أيها الأمير ائذن لي أن أنشـدك من مراثى عبد العزيز فقال لا تفعل فتحزننى ولـكن انشدنى قولك « قفا أخوى » فان شيطانك كان لك فيها ناصحاً حتى لقنك إياها ، فأنشده

قفا أخويَّ ان الدار ليست　　كما كانت بعهدكما تـكون

ليالي تعلمان وآل ليلى　　قَطِينِ الدار فاحتَمل القَطِين

فعوجا فانظرا أتُبين عما　　سألناها به أم لا تُبين

فظلا واقفين وظـل دمعى　　على خدى تجود به الجفون

فلولا أن رأيت اليأس منها　　بدا ان كدت ترشقك العيون

فرحت فلم يلمك الناس فيها　　ولم تَغلَق كما غَلِق الرهين

وكان بمَلَل امرأة ينزل الناس بها فنزل بها أبو عبيدة بن عبد الملك بن زَمْعَة وعمران بن عبد الله بن مُطيع ونُصَيب ، فلما رحلوا وهب لها القرشيان ولم يكن مع نصيب شيء ، فقال لها اختاري ان شئت أن أضمن لك مثل ما أعطياك اذا قدمت وان شئت قلت فيك أبياتاً تنفعك ، قالت بل الشعر أحب إليَّ ، فقال

ألا حى قبل البين أُمَّ حبيب　　وان لم تـكن منا غداً بقريب

لئن لم يكن حبِّيك حباً صدقته　　فما أحد عندى اذا بحبيب

سهام أصابت قلبـــه مَلَلِيَّة　　غريب الهوى ياويح كل غريب

فشهرها بذلك فأصابت بقوله فيها خيراً

ومن قوله

ألا ياعقاب الوكر وكر ضَرِيَّة[١] سقتك الغوادى من عقاب ومن وكر
تمر الليالي مامررن ولا أرى مرور الليالى مُنسياتى ابنة العمر
تقول صلينا واهجرينا وقد ترى اذا هجرت ألاَّ وصال مع الهجر
فلم أرض ماقالت ولم أُبد سُخطة وضاق بماجمجمت من حبها صدري
وقفت بذى دَوْران[٢] أُنْشد ناقتى ومالي لديها من قَلوص ولا بَكْرِ
وما أنشد الرُعيان إلا تَعِلَّة بواضحة الأنياب طيبة النَّشْر
أما والذى حج الملبُّون بيته وعظم أيام المناسك والنحر
لقد زادنى للجفر[٣] حباً وأهله ليالٍ أقامتهن ليلي على الجفر
فهل يؤثمنِّى الله انى ذكرتها وعلَّلت أصحابى بها ليلة النَّفْر
وسكَّنت مابى من سآمٍ ومن كَرًى وما بالمطايا من جنوح ولا فَتْر

ومن قوله في عبد العزيز بن مروان

يقول فيحسن القول ابن ليلى ويفعل فوق أحسن ما يقول
فتى لا يَرْزأ الخلان إلا مودتهم ويرزؤه الخليل
فبشر أهل مصر فقد أتاهم مع النِّيل الذى فى مصر نيل

قال قائل لنصيب أيها العبد مالك وللشعر ؟ فقال أما قولك عبد فما ولدت إلا وأنا حر ولكن أهلى ظلمونى فباعونى وأما السواد فأنا الذى أقول

وان أك حالكا لونى فانى بعقل غير ذى سقط وعاء
وما نزلت بى الحاجات إلا وفي عرضي من الطمع الحياء

---

(١) قرية عامرة قديمة على وجه الدهر فى طريق مكة من البصرة ونجد (٢) موضع بين قديد والجحفة (٣) موضع بناحية ضرية من نواحى المدينة

وقف نصيب على أبيات فاستسقى ماء ، فخرجت اليه جارية بلبن أوماء فسقته وقالت تشبب بى ، فقال وما اسمك ؟ فقالت هند ، ونظر الى جبل وقال وما اسم هذا العلم ؟ قالت قبا فأنشأ يقول

أحب قُبا من أجل هندولم أكن   أبالى أقرباً زاده الله أم بعدا
ألا إن بالقِيعان من بطن ذى قُبا   لنا حاجةً مالت اليه بنا عمدا
أرُونى قُبا أنظر اليه فاننى   أحب قبا انى رأيت به هندا

فشاعت هذه الأبيات وخطبت الجارية من أهلها وأصابت خيراً بقول نصيب فيها

دخل نصيب على يزيد بن عبد الملك فقال له حدثنى يانصيب ببعض ما مر عليك ، فقال نعم يا أمير المؤمنين علقت جارية حمراء فمكثت عندها زماناً تمنينى بالأباطيل ، فلما ألححت عليها قالت اليك عنى فوالله لكأنك من طوارق الليل ، فقلت لها فأنت والله لكأنك من طوارق النهار ، فقالت ما أظرفك يا أسود ، فغاظنى قولها فقلت لها هل تدرين الظرف ؟ الظرف العقل ، ثم قالت انصرف حتى أنظر في أمرك ، فأرسلت لها هذه الأبيات

فان أكُ حالكاً فالمسك أحوى   وما لسواد جلدى من دواء
ولي كرم عن الفحشاء ناء   كبعد الأرض من جوّ السماء
ومثلى فى رجالكمُ قليل   ومثلك ليس يُعْدَم فى النساء
فان ترضَىْ فردّى قول راض   وان تأبَيْ فنحن على السواء

فلما قرأت الشعر قالت المال والشعر يأتيان على غيرهما فتزوجتنى

وأنشد له الأصمعى ، وكان يستجيد هذه الأبيات ويقول قاتل الله نصيباً ما أشعره

فان يك من لونى السواد فانه   لكالمسك لايروى من المسك ذائقه
وما ضر أثوابى سوادى وتحتها   لباس من العلياء بيض بنائقه

ولا خير فى ود امرىء متكاره عليك ولا فى صاحب لا توافقه
اذا المرء لم يبذل من الود مثل ما بذلت له فاعلم بأنى مفارقه

أبطأت جائزة النصيب مرة عند عبد العزيز فقال

وان وراء ظهرى يا ابن ليلى أناساً ينظرون متى أؤوب
أُمامة منهمُ ولما أُقيِّها غداة البين فى أثرى غروب
تركت بلادها ونأيت عنها فأشبه ما رأيت بها السلوب
فأتبع بعضنا بعضاً فلسنا نثيبك لكنِ الله المثيب

فعجل جائزته وسرحه

ومن قوله

أراكِ طَموح العين ميالة الهوى لهذا وهـذا منك ود ملاطف
فان تحملى ردفين لا أكُ منهما فحبي فرد لست ممن يرادف

مدح نصيب عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس فأمر له بعشر قلائص وكتب بها الى رجلين من الأنصار واعتذر اليه وقال له والله ما أملك إلا الرزق وانى لأكره أن أبسط يدى في أموال هؤلاء القوم ، فخرج حتى أتى الأنصاريين فأعطاهما الكتاب مختوماً وقرآه وقالا قد أمر لك بثمانى قلائص ، ودفعا ذلك اليه ، ثم عزل ابن الضحاك وولى مكة رجل من بنى نصر من هوازن فأمر بأن يتبع ما أعطى ابن الضحاك ويرتجع ، فوجد باسم نصيب عشر قلائص ، فأمر بمطالبته بها ، فقال والله مادفع الىَّ إلا ثمانى قلائص ، فقال والله ماتخرج من الدار حتى تؤدى عشر قلائص أو أثمانها ، فلم يخرج حتى قبض ذلك منه ، فلما قدم على هشام سَمَرَ عنده ليلة وتذاكروا النصرى فأنشده قوله فيه

أفى قلائص جُرْب كن فى عمل أُرْدَى وتنزعُ من أحشائى الكبد
ثمانياً كن فى أهلى وعنـدهمُ عشر فأى كتاب بعدنا وجدوا

أخانى أخوا الأنصار فانتقصا منها فعندهما النقد الذى نقدوا
وان عاملك النصرى كلفنى فى غير نائرة ديناً له صفد
أذنب غيرى ولم أذنب يكافنى أم كيف أقتل لاعقل ولا قود

فقال هشام لاجرم لايعمل لى النصرى عملاً أبداً ، فكتب بعزله عن المدينة

قال عبد الملك لنصيب أنشدنى ، فأنشده قصيدته التى يقول فيها

ومضمر الكشح يطويه الضجيع به طى الحمائل لاجاف ولا فقر
وذى روادف لايلفى الإزار بها يلوى ولو كان سبعاً حين يأتزر

فقال له يانصيب من هذه ؟ قال بنت عم لي نوبية لو رأيتها ما شربت من يدها الماء ، فقال لو غير هذا قلت لضربت الذى فيه عينيك

كان نصيب يكنى أبا الحجناء فهجاه شاعر من أهل الحجاز فقال

رأيت أبا الحجناء في الناس حائراً ولون أبى الحجناء لون البهائم
تراه على ما لاحه من سواده وان كان مظلوماً له وجه ظالم

فقيل لنصيب ألا تجيبه ؟ فقال لا ولو كنت هاجياً لأحد لأجبته ولكن الله أوصلنى بهذا الشعر الى خير فجعلت على نفسى ألا أقوله في شر وما وصفنى الا بالسواد وقد صدق أفلا أنشدكم ما وصفت به نفسى ؟ قالوا بلى فأنشدهم قوله

ليس السواد بناقصى مادام لي هذا اللسان الى فؤاد ثابت
من كان ترفعه منابت أهله فبيوت أشعارى جعلن منابتى
كم بين أسود ناطق ببيانه ماضى الجنان وبين أبيض صامت
انى ليحسدنى الرفيع بناؤه فضل البيان وليس بى من شامت

أنشد نصيب جريراً شيئاً من شعره فقال له كيف ترى يا أبا حزرة ؟ فقال له أنت أشعر أهل جلدتك ، وقال نصيب دخلت على عبد العزيز بن مروان فقال لي أنت أشعر أهل جلدتك والله مازاد عليها ، فقال له عبد الرحمن يا أبامحجن أفرضيت

منه أن جعلك أشعر السودان فقط ؟ فقال له وددت والله يا ابن أخى أن أعطانى أكثر من هذا ولكنه لم يفعل ولست بكاذبك

قال محمد بن عبد ربه دخلت مسجد الكوفة فرأيت رجلاً لم أر قط مثله ولا أشد سواداً منه ولا أنقى ثياباً منه ولا أحسن زيّاً ، فسألت عنه فقيل هذا نصيب ، فدنوت منه فحدثته ثم قلت له أخبرنى عنك وعن أصحابك فقال ، جميل امامنا ، وعمر بن أبى ربيعة أوصفنا لربّات الحجال ، وكثير أبكانا على الدِّمن وأمدحنا للملوك ، وأما أنا فقد قلت ما سمعت ، فقلت له ان الناس يزعمون أنك لا تحسن أن تهجو ، فضحك ثم قال أفتراهم يقولون انى لا أحسن أن أمدح ؟ فقلت لا ، فقال أفما ترانى أحسن أن أجعل مكان عافاك الله أخزاك الله ؟ قال قلت بلى ، قال فانى رأيت الناس رجلين ، اما رجل لم أسأله شيئاً فلا ينبغى أن أهجوه فأظلمه ، أو رجل سألته فمنعنى فنفسى كانت أحق بالهجاء اذ سولت لى أن أسأله وأن أطلب ما لديه

خرج نصيب هو وكثير والأحوص غِبَّ يوم أمطرت فيه السماء فقال هل لكم أن نركب جميعاً فنسير حتى نأتى العقيق فنمتع فيه أبصارنا ؟ فقالوا نعم ، فركبوا أفضل ما يقدرون عليه من الدواب ولبسوا أحسن ما يقدرون عليه من الثياب وتنكروا ثم ساروا حتى أتوا العقيق فجعلوا يتصفحون ويرَوْن بعض ما يشتهون حتى رفع لهم سواد عظيم فأمّوه حتى أتوه فاذا وصائف ورجال من الموالى ونساء برزات فسألنهم فاستحيَوْا أن يجيبوهن من أول وهلة ، فقالوا لا نستطيع أو نمضى فى حاجة لنا ، فحلفنهم أن يرجعوا اليهن ، ففعلوا وأتوهن فسألنهم النزول ، فنزلوا ، ودخلت امرأة من النساء فاستأذنت لهم فلم تلبث أن جاءت المرأة فقالت ادخلوا ، فدخلوا على امرأة برزة على فرش لها فرحبت وحيّت ، واذا كراسى موضوعة فجلسنا جميعاً فى صف واحد كل انسان على كرسى ، فقالت ان أحببتم أن ندعو بصبى لنا

فنصيحه ونعرك أذنه فعلنا وان شئتم بدأنا بالغداء ، فقلنا بل تدعين بالصبى ولن يفوتنا الغداء ، فأومأت بيدها الى بعض الخدم فلم يكن الا كلا ولا حتى جاءت جارية جميلة قد سترت عليها بمطرف فأمسكوه عليها حتي ذهب بهرها ثم كشف عنها واذا جارية ذات جمال قريبة من جمال مولاتها فرحبت بهم وحيتهم ، فقالت لها مولاتها خذى ويحك من قول النصيب عافى الله أبا محجن

ألا هل من البين المفرق من بد   وهل مثل أيامى بمنقطع السعد
تمنيت أيامى أولئك والمنى   على عهد عاد ما تعيد وما تبدى

فجاءت به أحسن ما سمعته قط بأحلى لفظ وأشجى صوت ثم قالت لها خذي أيضاً من قول أبي محجن عافى الله أبا محجن

أرق المحب وعاده سهده   لطوارق الهم التى ترده
وذكرت من رقت له كبدى   وأبى فليس ترق لي كبده
لا قومه قومى ولا بلدى   فنكون حيناً جيرة بلده
ووجدت وجداً لم يكن أحد   من أجله بصبابة يجده
ألا ابن عجلان الذى تبلت   هند ففات بنفسه كمده

فجاءت به أحسن من الأول فكدت أطير سروراً ثم قالت لها ويحك خذي من قول أبي محجن عافى الله أبا محجن

فيا لك من ليل تمتعت طوله   وهل طائف من نائم متمتع
نعم ان ذا شجو متى يلق شجوه   ولو نائماً مستعتب أو مودع
له حاجة قد طالما قد أسرها   من الناس فى صدر بها يتصدع
تحملها طول الزمان لعلها   يكون لها يوماً من الدهر منزع
وقد قرعت فى أم عمرو لي العصا   قديماً كما كانت لذي الحلم تقرع

فجاءني والله شيء حيرني وأذهلني طرباً لحسن الغناء وسروراً باختيارها هذا الغناء في شعري وماسمعت فيه من حسن الصنعة وجودتها واحكامها ، ثم قالت لها خذي أيضاً من قول أبي محجن عافى الله أبا محجن

يأيها الركب اني غير تابعكم ... حتى تلموا وأنتم بي ملمونا
فما أرى مثلكم ركباً كشكلكمُ ... يدعوهمُ ذو هوى ألَّا يعوجونا
أم خبروني عن داء بعلمكم ... وأعلم الناس بالداء الأطبونا

فقال نُصَيب فوالله لقد زهوت بما سمعت زَهْوًا خيل إليَّ أني من قريش وأن الخلافة لي ، ثم قالت حسبك يا بنية هات الطعام يا غلام ، فوثب الأحوص وكثير وقالا والله لا نطعم لك طعاماً ولا نجلس لك في مجلس فقد أسأت عشرتنا واستخففت بنا وقدمتِ شعر هذا الأسود على أشعارنا وأسمعت الغناء فيه وان فى أشعارنا لما يفضل شعره وفيها من الغناء ما هو أحسن من هذا ، فقالت على معرفة كل ما كان مني فأي شعركما أفضل من شعره ؟ أقولك يا أحوص ؟

يقَر بعيني ما يقر بعينها ... وأحسن شيء ما به العين قرت

أمْ قولك يا كثير ؟

وما حسبت ضمرية جـــدوية ... سوى التيس ذى القرنين أن لها بعلا

فخرجا مغضَبين واحتبستني ، فتغديت عندها وأمرتْ لي بثلاثمائة دينار وحلتين وطيب ، ثم دفعت إليَّ مائتي دينار وقالت ادفعها الى صاحبيك فان قبلاها والا فهى لك ، فأتيتهما فأخبرتهما القصة فأما الأحوص فقبلها وأما كثير فلم يقبلها وقال لعن الله صاحبتك ولعنك معها فأخذتها وانصرفت ، فسئل نصيب ممن المرأة ؟ فقال من بنى أمية ولا أذكر اسمها ما حييت لأحد

وقع الطاعون بمصر فى ولاية عبد العزيز بن مروان إياها ، فخرج هارباً منه فنزل بقرية من الصعيد يقال لها سُكَر ، فقدم عليه حين نزولها رسول لعبد الملك ،

فقال له عبد العزيز ما اسمك ؟ فقال طالب بن مدرك ، فقال أوه ما أراني راجعاً الى الفسطاط أبداً ومات في تلك القرية ، فقال نصيب يرثيه

أصبت يوم الصعيد من سُكَرٍ ... مصيبة ليس لي بها قِبَل
تالله أنسى مصيبتي أبداً ... ما أسمعتني حنينها الابل
ولا التبكي عليـــه أعوله ... كل المصيباب بعده جلَلَ
لم يعلم النعش ما عليه من الـــعُرْف ولا الحاملون ما حملوا
حتى أجنوه في ضريحهمُ ... حتى انتهى من خليلك الأمل

دخل نصيب على عبد الملك فقال له أنشدني بعض ما رثيت به أخي ، فقال

عرفت وجربت الأمور فما أرى ... كماض تـــلاه الغابر المتأخر
ولكن أهل الفضل من أهل نعمتي ... يمرون أســلافاً أمامي وأغْبُر
فان أبكه أعذر وان أغلب الأسى ... بصبر فمثلي عند ما اشتد يصبر
وكانت ركابي كلما شئت تنتحي ... جَماحاً فتقضى نَحْبها وهي تضمر
ترى الورد بشرى والثناء غنيمة ... لديك وتثنى بالرضا حين تصدُر
فقد عريت بعد ابن ليلى فانما ... ذراها لمن لاقت من الناس منظر
ولو كان حياً لم يزل بدفوفها ... مراد لغربان الطريق ومنقر
فان كن قد نلن ابن ليلى فانه ... هو المصطفى من أهله المتخير

فلما سمع عبد الملك قوله « فان أبكه أعذر » قال ويلك أنا كنت أحق بهذه الصفة في أخي معك فهلا وصفتني بها وجعل يبكي

قال عبد الله بن اسحاق البصري لو وليت العراق لاستكتبت نصيباً لفصاحته وحسن تخلصه الى جيد الكلام كقوله

فلا النفس ملّتها ولا العين تنتهي ... اليها سوى في الطرف عنها فترجع
رأتها فما ترتدُّ عنها سآمة ... ترى بدلاً منها به النفس تقنع

قال نُصَيب لأُمّ بكر الخزاعية

ألا ليت شعري ما الذى تَجِدِين بى   غدا غربة النأى المفرق والبعد
لدى أُمّ بكر حين تغترب النوى   بنا ثم يخلو الكاشحون بها بعدى
أتصرمني عند الذين هم العدى   فتُشْمِتَهم بى أم تدوم على العهدِ

فصاحت بل والله أدوم على العهد ، وكان نصيب ربما قدم من الشام فيطرح فى حجر أُمّ بكر أربعمائة دينار وان عبد الملك بن مروان ظهر على تعلقه بها وتشبيبه فيها ، فنهاه عن ذلك حتى كف

قال حفص الثقفى رأيت النصيب بالطائف فجاءنا وجلس مجلسنا وعليه قميص قُوهى ورداء حِبَرة فجعل ينشدنا مديحاً لابن هشام ، ثم قال ان الوادى مَسبَعَة فمن أهل المجلس ؟ قالوا ثقيف ، فعرف أنا نُبغض ابن هشام ويبغضنا ، فقال انا لله أبعد ابن ليلى أمتدح ابن جَيْدَاء ، فقال له أهل المجلس يا أبا محجن أتطلب القريض أحياناً فيعسر عليك ؟ قال إىْ والله لربما فعلت فآمر براحلتى فيشد بها رحلى ، ثم أسير فى الشعاب الخالية وأقف فى الرِّباع المقْوِية فيطربنى ذلك ويفتح لي الشعر والله انى على ذلك ما قلت بيتاً قط تستحيي الفتاة الحَيِيَة من إنشاده فى ستر أبيها

قال ابن أبى عتيق لنصيب انى خارج أفترسل الى سعدى بشىء ؟ قال نعم ببيتى شعر ، قال فقل ، فقال

أتصبر عن سُعدى وأنت صبور   وأنت بحسن الصبر منك جدير
وكدت ولم أُخلق من الطير ان بدا   سَنا بارق نحو الحجاز أطير

فأنشد ابن أبى عتيق سعدى البيتين ، فتنفست تنفسة شديدة ، فقال ابن أبى عتيق أوه أجبته والله بأجود من شعره ولو سمعك خليلك انعق وطار اليك

استبطأ هشام بن عبد الملك حين ولى الخلافة نصيباً ألّا يكون جاءه وافداً عليه مادحاً له ووجد عليه وكان نصيب مريضاً فبلغه ذلك حين بَرَأ ، فقدم عليه وعليه أثر المرض وعلى راحلته أثر النَّصَب ، فانشده

حلفت بمن حجت قريش لبيته وأهدت له بُدْناً عليها القلائد
لئن كنت طالت غيبتي عنك انني بمَبْلَغ حولي فى رضاك لجاهد
ولكنني قد طال سقمي وأكثرت عليَّ العهادَ المشفقات العوائد
صريع فراش لا يزلن يقُلن لي بنصح واشفاق متى أنت قاعد ؟
فلما زجرت العِيسَ أسْرت بحاجتي اليك وذلت للسان القصائد
واني فلا تستبطئني بمودتي ونصحي واشفاقي لديك لعامد
فلا تُقْصِني حتى أكون بصَرْعة فييأس ذو قربى ويَشْمَت حاسد
أنلني وقربني فانك بالغ رضاي بعفو من نداك وزائد
أبتْ نائماً أما فؤادي فهمه قليل وأما مس جلدي فبارد
وقد كان لي فيكم اذا ما لقيتكم ليان ومعروف وللخير قائد
اليك رحلت العِيس حتى كأنها قِسِيّ السرى ذَبْلَى برَتْها الطرائد
وحتى هواديها دقاق وشكوها صَريف وباقى النقْيِ منها صرائد
وحتى ونت ذات المراح فأذعنت اليك وكل الراسيات الحوافد

فرق له هشام وبكى وقال ويحك يا نصيب لقد أضررنا بك وبرواحلك ووصله وأحسن صلته واحتفل به

دخل نصيب على عبد العزيز بن مروان فقال له وطال الحديث بينهما هل عشقت قطّ ؟ قال نعم أمة لبني مُدْلج، قال فكنت تصنع ماذا ؟ قال كانوا يحرسونها مني فكنت أقنع أن أراها فى الطريق وأشير اليها بعيني أو حاجبي وفيها أقول

وقفت لها كيما تمر لعلني أُخالسها التسليم ان لم تسلم
ولما رأتني والوشاة تحدرت مدامعها خوفاً ولم تتكلم
مساكين أهل العشق ما كنت أشترى جميع حياة العاشقين بدرهم

فقال له عبد العزيز ويحك فما فعلت ؟ قال بيعت ، قال فهل فى نفسك شيء منها ؟ قال نعم عقَابيل [1] أحزان

قدم نصيب على عبد الواحد النصرى وهو أمير المدينة بفرض من أمير المؤمنين يضعه في قومه من بنى ضمرة ، فأدخلهم عليه ليفرض لهم وفيهم أربعة غِلْمة لم يحتلموا ، فردهم النصرى ، فكلمه نصيب كلاماً غليظاً ادلالاً بمنزلته عند الخليفة ، فأشار اليه ابراهيم بن عبد الله بن مطيع أن اسكت وكُفَّ واخرج فانى كافيك ، فلما خرج لقيه نصيب فقال له أشرت إليَّ فكرهت أن أغضبك فما كرهت لي من مراجعته والصلابة له ومن ورائى المستعتَب من أمير المؤمنين ؟ قال ابراهيم هو رجل عربى حديد غَلِق وخشيت ان جاذبته شيئاً ألاَّ يرجع عنه وأن يمضى عليه ويلَجّ فيه وهو مالك للأمر وله فيه سلطان ، فأردت أن تخرج قبل أن يلجّ ويظهر منه مالا يرجع عنه فيمضى عليه ويلج فيه فتنتظر فيفكر لتصادف منه طيب نفس ونرفِدك عنده فقال نصيب

يوْمان يوْم لرُزَيق فَسْل ويوْمه الآخر سَمْح فضل

أنا جعلت فداك فاعل ذلك فاذا رأيت القول فأشر حتى أكلمه ودخل اليه نصيب عشيات ، كل ذلك يشير اليه ابن مطيع ألاَّ يكلمه حتى صادف عشية من العشيات منه طيب نفس فأشار اليه أن كلمه ، فكلمه نصيب فأصاب مَخْتِله وكلامه ثم قال انى قد قلت شعراً فاسمعه أيها الأمير وأجزه ، ثم قال

أهاج البكا ربع بأسفل ذى السدر عفاه اختلاف العصر بعدك والقطر
نعم فثنانى الوجد فاشتقت للذى ذكرت وليس الشوق الا مع الذكر
حلفت برب الموضِعين لربهم وحرمة ما بين المقام الى الحِجْرْ
لئن حاجتى يوْماً قضيت ورِشْتنى بنَفْحة عرف من يديك أبا بشر

(١) العقابيل بقايا العشق

إذاً تعرِفنّ الدهر مني مودة ... ونصحاً على نصح وشكراً على شكر
سقى الله صوْب المزن أرضاً عمرتها ... برِيّ فأسقاها بلاد بني نصر
بوجهك فاستعملت ما دمت خائفاً ... لربك تقضى راشداً آخر الدهر
لتنقذ أصحابي وتستر عورة ... بدت لك من صحبي فانك ذو ستر
فما بأمير المؤمنين الى التي ... سألت فأعطاني لقومي من فقر
وقد خرجت منه اليك فلا تكن ... بموضع بيضات الأنوق من الوَكْر

فقال عثمان بن حيّان المرّي وهو عنده وكان قد جاءه بالقوَد من ابن حزم : قد احتلم القوم أيها الأمير واستوجبوا الفرض ورفده ابن مطيع فأحسن واشتد عليه أن شركه ابن حيان في رفده وتشييعه ، وقال النصري لابن مطيع وابن حيان صدقتما قد احتلموا واستوجبوا الفرض ، افرض لهم يافلان « لكاتب من كتابه » ففرض لهم

أجدبت ابل لنصيب وحالت وكان لرجل من أسلم عليه ثمانية آلاف درهم فوفد على عبد العزيز بن مروان فقال له جعلني الله فداءك اني حملت دينها في ابل ابتعتها مجدِبات حِيال وقد قلت فيها شعراً ، قال أنشد ، فأنشده

فلما حملت الدين فيها وأصبحت ... حِيالاً مُسنات الهوى كدت أندم
على حين أن راث الربيع ولم يكن ... لها بصعيد من تِهامة مقْضم
ثمانية للأسلمى وما دنا ... لفحش ولا تدنو الي الفحش أسلم

فقال له عبد العزيز فما دينك ويحك ؟ قال ثمانية آلاف درهم ، فلما رجع أنشد الأسلمي الشعر فترك له ما عليه وقال الثمانية الآلاف لك

أتى نصيب مكة فأتى المسجد الحرام ليلا ، فبينما هو كذلك اذ طلع ثلاث نسوة فجلسن قريباً منه وجعلن يتحدثن ويتذاكرن الشعر والشعراء ، واذا هن من أفصح النساء وآدبهن ، فقالت إحداهن قاتل الله جميلاً حيث يقول

وبين الصفا والمروتين ذكرتكم بمختلف ما بين ساع وموجف
وعند طواف قد ذكرتك ذُكرة هى الموت بل كادت عن الموت تضعف

فقالت الأخرى بل قاتل الله كثير عزة حيث يقول

طلعن علينا بين مروة والصفا يمُرْن على البطحاء مَوْر السحائب
فكدن لعمر الله يحدثن فتنة لمختشع من خشية الله تائب

فقالت الأخرى قاتل الله ابن الفاعلة نصيباً حيث يقول

ألام على ليلى ولو أستطيعها وحرمة ما بين البَنِيَّة والستر
لملت على ليلى بنفسى ميلة ولو كان فى يوْم التحالق والنحر

فقام نصيب اليهن فسلم عليهن فرددن عليه السلام ، فقال لهن انى رأيتكن تتحادثن شيئاً عندى منه علم ، فقلن ومن أنت ؟ فقال اسمعن أولا ، فقلن هات ، فأنشدهن قصيدته التى أولها

ويوم ذى سَلَم شاقك نائحة ورقاء فى فنَن والريح تضطرب

فقلن له نسألك بالله وبحق هذه البَنِيَّة من أنت ؟ فقال أنا ابن المظلومة المقذوفة بغير جرم ، نصيب ، فقمن اليه فسلمن عليه ورحبن به واعتذرت اليه القائلة وقالت والله ما أردت سوءاً وانما حملنى الاستحسان لقولك على ما سمعت ، فضحك وجلس اليهن فحادثهن الى أن انصرفن

ومن شعره من قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان

أمعارف الدِّمن القفار توهم ولقد مضى حول لهن مُجرَّم
ولقد وقفت على الديار لعلها بجواب رَجْع تحية تتكلم
عن علم ما فعل الخليط فما درت أنَّى توجه بالخليط الموسم
ولقد عهدت بها سعاد وانها بالله جاهدة اليمين لتقسم
انى لأوجه من تكلم عندها بألِيَّة ومخالف من يزعم
فلها لدينا بالذى بذلت لنا ود يطول له العناء ويعظم

قال أبو النجم أتيت الحكم بن المطلب فمدحته وخرج الى السقاية فخرجنا معه ومعه عدة من الشعراء ، فبينا هو فى موضع أضحي به يوماً واقفاً اذا براكب يوضع فى السراب واذا هو نصيب ، فتقدم اليه فمدحه فأمر بانزاله ، فمكث أياماً حتى أتاه فقال انى خلفت صبية صغاراً وعيالاً ضعافاً ، فقال ادخل الحظيرة فخذ منها سبعين فريضة ، فقال له جعلني الله فداك قد أحسنت ومعي ابن أخ لي أخاف أن يثلمها عليَّ ، قال ادخل فخذ له سبعين فريضة أخرى ، فانصرف بمائة وأربعين فريضة

قيل لنصيب قد هَرِم شعرك ، قال لا والله ماهرم ولكن العطاء هرم ومن يعطيني مثل ما أعطانى الحكم بن عبد المطلب ؟ خرجت وهو ساع على بعض صدقات المدينة فلما رأيته قلت

أبا مروان لستَ بخارجي ... وليس قديم مجدك بانتحال
أغرّ اذا الرّواق انجاب عنه ... بدا مثل الهلال على المثال
تراآه العيون كما تراءى ... عشية فطرها وضح الهلال

فأعطانى أربعمائة ضائنة ومائة لِقحة وقال ارفع فراشي فرفعته فأخذت من تحته مائتى دينار

قال سعيد بن بشر الخارجي انى لمع أبي عبيدة بن عبد الله بن زَمْعة فى حواء له اذ جاء كثير ، فحياه ، فاحتفى به ودعا بالغداء فشرعنا فيه وشرع معنا كثير ، وجاء رجل فسلم ، فرددنا عليه السلام واستدنيناه فاذا هو نصيب فى بِزّة جميلة قد وافى الحج قادماً من الشام ، فأكب على أبى عبيدة فعانقه وسأله ثم دعاه الى الغداء فأكل مع القوم ، فرفع كثير يده وأقلع عن الطعام ، وأقبل عليه أبو عبيدة والقوم جميعاً يسألونه أن يأكل ، فأبى ، فتركوه ، وأقبل كثير على نصيب وقال والله يا أبا محجن ان أثر أهل الشام عليك لجميل ، لقد رجعت هذه الكرة ظاهر الكبر قليل الحياء

فقال له نصيب لكن أثر الحجاز عليك أبا صخر غير جميل وانك لزائد النقص كثير الحماقة ، فقال كثير أنا والله أشعر العرب حيث أقول لمولاتك

اذا أمسيت بطن محاح دونى وعمق دون عزة فالبقيع
فليس بلائمى أحد يصلى اذا أخذت مجاريها الدموع

فقال نصيب أنا والله أشعر منك حيث أقول لابنة عمك

خليلى ان حلت كلية بالربا فذى أمج فالشعب ذى الماء والحمض
فأصبح من حوران رحلى بمنزل يبعده من دونها نازح الأرض
وأيأستما أن يجمع الدهر بيننا نخوضا بى السم المضرج بالمحض
ففى ذاك من بعض الأمور سلامة وللموت خير من حياة على غمض

فاقتحم اليه كثير وثبت له نصيب ، فلما نالته رجلاه رمحه نصيب بساقه رمحة طاح منها بعيداً عنه فما زال راقداً حتى أيقظناه عشياً لرمى الجمار

قال أنيس بن ربيعة الأسلمى غدوت يوماً الى أبى عبيدة بن عبد الله بن زمعة ومعه محمد بالرحبة فألفيت عنده جماعة منا ومن غيرنا ، فأتاه آت فقال ذاك النصيب بالفرش منذ ثلاث متململ مقلد وكأنه واله فى اثر قوم ظاعنين ، فنهض أبو عبيدة ونهضنا معه ، فاذا نصيب على المنحر من صفر ، فلما عايننا وعرف أباعبيدة هبط ، فسأله عن أمره ، فأخبره أنه تبع قوماً سائرين وأنه وجد آثارهم ومحالهم بالفرش فاستولهه ذلك ، فضحك به أبو عبيدة والقوم وقالوا له انما يهتر اذا عشق من انتسب عذرياً فأما أنت فمالك ولهذا ؟ فاستحيا وسكن ، وسأله أبو عبيدة هل قلت فى مقامك شعراً ؟ قال نعم وأنشد

لعمرى لئن أمسيت بالفرش مقصداً وبرح بى وهج بقلبى أو صفر
وهمت شؤنى واستهلت مدامعى لربع قديم العهد يتكف الأثر (١)

---

(١) انتكف أثره اعترضه فى مكان سهل

دعا أهله بالشام برق فأوجفوا ولم أر متبوعاً أضر من المطر
لتستبدلن قوماً وعينا سواهما وإلا أتى قصداً حُشاشتك القدر
خليلي فيما عشتما أو رأيتما هل اشتاق مضرورالى من به أضر
نعم ربما كان الشقاء متيحاً يغطي على عقل ابن آدم والبصر

فانصرف به الى منزله وأطعمه وكساه وحمله وانصرف وهو يقول

أصاب دواء علتك الطبيب وخاض لك السلو ابن الربيب
وأبصر من رُقاك منفثات وداؤك كان أعرف بالطبيب

دخل نصيب على يزيد بن عبد الملك فأنشده قصيدة امتدحه بها فطرب لها يزيد واستحسنها وقال أحسنت يانصيب سلني ماشئت ، فقال يدك ياأمير المؤمنين بالعطاء أبسط من لساني بالمسألة ، فأمر به فملىء فمه جوهراً ، فلم يزل به غنياً حتى مات

دخل على ابراهيم بن هشام وهو وال على المدينة فأنشده قوله

يا ابن الهشامين لا يتأ كيتكم اذا تسامت الى أحسابها مُضَر

فقال ابراهيم قم الى تلك الراحلة المرحولة فخذها برحلها ، فقام اليها نصيب متباطئاً والناس يقولون مارأينا عطية أهنأ من هذه ولا أكرم ولا أعجل ولا أجزل ، فسمعهم نصيب فأقبل عليهم وقال والله انكم قلما صاحبتم الكرام وماراحلة ورحل حتى ترفعوهما فوق قدرهما ؟

وفد نصيب على عبد العزيز بن مروان بمصر فوقف على الباب فاستأذن ، فلم يؤذن له ، فأرسل اليه حاجبه قيساً فقال استنشده فان كان شعره رديئاً فاردده وان كان جيداً فأدخله ، فقال نصيب ان هذا لكلام رجل ذهن ، فأدخله ، فلما واجهه أنشده قصيدته التي أولها

ألا أيها الربع المقيم بعنْبُب سقتك الغوادى من مُراح ومعْزب
بذى هَيْدَب أما الرُّبى تحت وَدْقه فتُروى وأما كل واد فيَزْعَب (١)

(١) زعب الوادى تملأ

يقول فيها

ألا هل أتى الصقر ابن مروان أننى أُرد لدي الأبواب عنه وأحجب
وأنى ثويت اليوم والأمس قبله على الباب حتى كادت الشمس تغرب
وأنى اذا رمت الدخول تردنى مهابة قيس والرِّتاج المضبَّب

ومنها

وأهلى بأرض نازحون وما لهم بهــا كاسب غيرى ولا متقلب
فهــل تُلحقنِّيهم بعبل مواشك على الأين من نُجُب ابن مروان أصهب
أبو بكرات ان أردت افتحاله وذو وثَبات بالرديفين متعب

فقال له عبـد العزيز ادخل على المهارى نخذ منها ما شئت فلو كنت سألت غيره لأعطيتك ، فدخل فرده الجمال ، فقال عبـد العزيز دعه فانما يأخذ الذى نعت ، فأخذه

الفضل بن العباس اللهبي

هو الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لَهَب بن عبد المطلب أحد شعراء بني هاشم المذكورين وفصحائهم وكان شديد الأُدمة وهو الذى يقول

وأنا الأخضر من يعرفني أخضر الجِلْدَة فى بيت العرب
من يساجِلْنى يساجل ماجداً يملأ الدلو الى عقد الكَرَب (١)
انما عبـد مناف جوهر زيَّن الجوهر عبد المطلب
كل قوم صيغة من تِبْرِهم وبنو عبد مناف من ذهب
نحن قوم قد بنى الله لنا شرفاً فوق بيوتات العرب
بنبي الله وابنى عمـــه وبعباس بن عبد المطلب

(١) الكرب الحبل يشد فى وسط العراق ليلى الماء فلا يعفن الحبل الكبير

وهو هاشمي الأبوين امه بنت العباس بن عبد المطلب

وكان النبي صلى الله عليه وسلم زوّجَ عتبة إحدى بناته ، فلما بعثه الله نبياً أقسمت عليه أمّ جميل أن يطلقها ، فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فوقف عليه وقال يا محمد اشهد أني نصراني قد كفرت بربك وطلقت ابنتك ، فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث عليه كلباً من كلابه يقتله ، فبعث الله عز وجل أسداً فافترسه ، خرج الى الشام في ركب فيهم هبّار بنَ الأسود حتى اذا كانوا بوادي القاصرة وهي مسبعة نزلوه ليلاً فافترشوا صفاً واحداً ، فقال عتبة أتريدون أن تجعلوني حَجْرة ؟ لا والله لا أبيت الا وسطكم ، فبات وسطهم ، قال هبار فما أنبهني الا السبع يشَم رءوسهم رجلاً رجلاً حتى انتهى اليه فأنشب أنيابه في صدغيه ، فصاح اىْ قوم قتلتني دعوة محمد ، فأمسكوه فلم يلبث أن مات في أيديهم

مرّ الفضل بالأحوص وهو ينشد وقد كان اجتمع الناس عليه بجُدّة ، فقال له انك يا أحوص لشاعر ولكنك لا تعرف الغريب ولا تغرب ، قال اني لأبصر الناس بالغريب والإغراب ، أفتسمع ؟ قال نعم ، فقال

ما ذات حبل يراها الناس كلهمُ — وسط الجحيم ولا تخفى على أحد
كل الحبال حبال الناس من شعَرٍ — وحبلها وَسْطَ أهل النار من مَسد

فقال له الفضل

ماذا أردت الى شتمي ومنقصتي — ماذا أردت الى حَمّالة الحطب
ذكرت بنت قُرُوم سادة نُجُب — كانت حليلة شيخ ثاقب النسب

فانصرف عنه ، ومرّ الحزين بالفضل يوم جمعة وعنده قوم ينشدهم ، فقال له الحزين أتُنشد الشعر والناس يروحون الى الصلاة ؟ فقال له الفضل ويحك يا حزين أتتعرض لي كأنك لا تعرفني ؟ قال بلى والله اني لأعرفك ويعرفك كل من يقرأ سورة « تَبَّتْ يدا أبي لهب » ، وقال يهجوه

اذا ما كنت مفتخراً بجد   ففرج عن أبي لهب قليلا
فقد أخزى الاله أباك دهراً   وقلَّد عرسه حبلاً طويلا

فأعرض عنه الفضل وتبرم من جوابه ، وكان الحزين مُغْرًى به وبهجائه

قدم الوليد بن عبد الملك حاجاً وهو خليفة فدخل عليه الفضل فشكا اليه كثرة العيال وسأله ، فأعطاه مالاً وابلاً ورقيقاً ، فلما مات الوليد وولى سليمان فحج أتاه فسأله ، فلم يعطه شيئاً ، فقال

ياصاحب العِيس التى رحلت   محبوسة لعشية النَّفْر
أُمْرُرْ على قبر الوليد فقل له   صلى الاله عليك من قبر
ياواصل الرَّحِمِ التي قُطعت   وأصابها الحُقُرات فى الدهر
انى وجدت الخل بعدك كاذباً   فبرئت من كذب ومن غدر
ولقد مررت بنسوة يَنْدُبنه   بيض السواعد من بنى فِهْرْ
تبكي لسيدها الأجل وما   تبكين من ناب ولا بكر
يندُبنه ويقلن سيدنا   تاج الخلافة آخر الدهر
ماذا لقيت جزيت صالحة   من صفوة الاخوان لوتدرى ؟

قال على بن محمد النوفلى كان أبى عند الحسين بن عيسى بن على وهو والي البصرة وعنده وجوه أهل البصرة ، وقد كان فيهم بقية حسنة فى ذلك الدهر ، فأفاضوا فى ذكر بني هاشم وما أعطاهم الله من الفضل بنبيه صلى الله عليه وسلم فمن منشد شعراً ومتحدث حديثاً وذاكر فضيلة من فضائل بنى هاشم ، فقال أبى قد جمع هذا الكلام الفضل بن العباس اللَّهَبى ، ثم أنشد قوله

ما بات قوم كرام يدَّعون يداً   الا لقومى عليهم منة ويد
نحن السَّنام الذى طالت شَظِيَّته   فما يخالطه الأدواء والعمَد(١)

(١) العمد داء يصيب البعير من مؤخر سنامه الى عجزه فلا يلبث أن يقتله والشظية الشظى وهو عظيم صغير مستدق لازق بالركبة أو بالذراع أو بالوظيف

فمن صلى صلاتنا وذبح ذبيحتنا عرف أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم يداً عليه بما هداه الله الى الإسلام به ونحن قومه فتلك منة لنا على الناس

قدم الفضل على عبد الملك بن مروان فأنشده وعنده ابن لعبيد الله بن زياد ، فقال الزيادى والله ما أسمع شعراً ، فلما كان العشى راح اليه الفضل فوقف بين يديه ثم قال يا أمير المؤمنين

أتيتك خالاً وابن عم وعمة ... ولم أكُ شعباً لا طريدٌ مشعب

فصلْ واشجات بيننا من قرابة ... ألا صلةُ الأرحام أتقى وأقرب

ولا تجعلنِّى كامرىء ليس بينه ... وبينكمُ قربى ولا متنسب

أتحدب من دون العشيرة كلها ... وأنت على مولاك أحنى وأحدب

فقال الزيادى هذا والله يا أمير المؤمنين الشعر

لما قدم الفضل على عبد الملك أمر له بعشرة آلاف درهم ، ثم حج الوليد فأمر له بمثلها ، فلما قدم الأصبحى على المهدى قال المهدى لمن حضركم كان عبد الملك أعطى الفضل اللَّهَبى لما مدحه ؟ فما أعلم هاشمياً مدحهم غيره ، فقيل له أعطاه عشرة آلاف درهم ، قال فكم أعطاه الوليد ؟ قال مثل عطية أبيه ، فأمر للأصبَحى بثلاثين ألف درهم

خرج علي بن عبد الله بن عباس بالفضل اللهبى الى عبد الملك بالشام ، فخرج عبد الملك يوماً رائحاً على نجيب له ومعه حادٍ يحدو به وعلي بن عبد الله يسايره على نجيب له ومعه بغلة تُجنب ، فحداها حادى عبد الملك ، فقال

يأيها البَكْرُ الذى أراكا ... عليك سهل الأرض فى ممشاكا

ويحك هل تعلم مَنْ علاكا ... ان ابن مروان على ذراكا

خليفة الله الذى امتطاكا ... لم يعلُ بكراً مثل ما علاكا

فعارضه الفضل فحدا بعلى بن عبد الله بن عباس فقال

يأيها السائل عن عليّ سألت عن بدر لنا بدريّ
مقدم في الخير أبطحي أغلب في العلياء غلاّبي
ولين الشيمة هاشمي جاء على بكر له مهريّ

فنظر عبد الملك الى علي فقال هذا مختور آل أبي لهب ؟ قال نعم ، فلما أعطى قريشاً مرّ به اسمه فخرج وقال يعطيه علي

الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس

كان من فتيان بني هاشم وظرفائهم وشعرائهم وقد روى الحديث وحمل عنه وله شعر صالح ، ومن قوله في عابدة بنت شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاصي وهي أخت عمرو بن شعيب الذي يروى عنه الحديث

أعابدَ ان الحب لا شك قاتلي لئن لم تقارضني هوى النفس عابدة
أعابدَ خافي الله في قتل مسلم وجودي عليه مرة قط واحدة
فان لم تريدي فيَّ هجراً ولا هوى فكم غير قتلي يا عبيدة راشدة
فكم ليلة قد بت أرعى نجومها وعبدة لا تدري بذلك راقدة

ومن قوله فيها

أعابدَ حييتم على النأى عابدا سقاك الاله المنشئات الرواعدا
أعابدَ ما شمس النهار اذا بدت بأحسن مما بين عينيك عابدا

وقد تزوج الحسين عابدة هذه وولدت منه وبسببها ردت على ولد عمرو بن العاصي أموالهم في دولة بني العباس

كان مالك بن أبي السمح المغني صديقاً للحسين ونديماً له وكان يتغنى في أشعاره. وله يقول الحسين

لا عيش الا بمالك بن أبي السمح فلا تلحني ولا تلم

أبيض كالسيف أو كما يلمع البا رق فى حِنْدِس من الظلم
يصيب من لذة الكريم ولا يهتك حق الإسلام والحرم
يارب يوْم لنا كحاشية البر د ويوم كذاك لم يدم
قد كنت فيه ومالك بن أبي السمـــح الكريم الأخلاق والشيم
من ليس يعصيك ان رشدت ولا يجهل منك الترخيص فى اللَّمَم

عبد الله بن معاوية

هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، وأم عبد الله بن جعفر وسائر بنى جعفر أسماء بنت عُمَيْس بن معقل من خَثْعَم وأمها هند بنت عوف امرأة من حرَس ، وهذه الحرسية أكرم الناس أحماء ، أحماؤها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وجعفر وحمزة والعباس وأبو بكر رضى الله تعالى عنهم ، وانما صار رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحمائها أنه كان لها أربع بنات ، ميمونة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأم الفضل زوج العباس وأم بنيه ، وسلمى زوج حمزة وأم ابنته ، وهن بنات الحرث ، وأسماء بنت عُمَيس أختهن لأمهن كانت عند جعفر بن أبي طالب ، ثم خلف عليها أبو بكر رضى الله تعالى عنه ، ثم خلف عليها على بن أبي طالب عليه السلام ، وولدت من جميعهن ، وهن اللواتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهن الأخوات المؤمنات ميمونة وأم الفضل وسلمى وأسماء بنت عميس أختهن لأمهن

قال ابن عباس دخل النبى صلى الله عليه وسلم على فاطمة وعليّ عليه السلام ليلة بنى بها فأبصر خيالاً من وراء الستر فقال من هذا ؟ فقالت أسماء ، قال بنت عميس ؟ قالت نعم أنا التي أحرس ابنتك يا رسول الله فان المرأة ليلة بنائها لا بد لها من امرأة تكون قريباً منها ان عرضت لها حاجة أفضت بها اليها ، فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم فانى أسأل إلهى أن يحرسك من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك من الشيطان ، وقد أدرك عبد الله بن جعفر رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يأكل البطيخ بالرطب ، ومرَّ النبي صلى الله عليه وسلم بعبد الله وهو يصنع شيئاً من طين من لعب الصبيان فقال ما تصنع بهذا ؟ قال أبيعه ، قال ما تصنع بثمنه ؟ قال أشتري به رطباً فآكله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم بارك له فى صفقة يمينه ، فكان يقال ما اشترى شيئاً الا ربح فيه

قُمر الحزين الديلى فى العقيق فى غداة باردة فى ثيابه فمر به عبد الله بن جعفر وعليه مقطعات خز ، فاستعار الحزين من رجل ثوباً ثم قام اليه فقال

أقول له حين واجهته   عليك السلام أبا جعفر

فقال وعليكم السلام ، فقال

فأنت المهذب من غالب   وفى البيت منها الذى يذكر

فقال كذبت ياعدو الله ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال

فهذى ثيابيَ قد أُخلقت   وقد عضنى زمن منكر

قال هاك ثيابى ، فأعطاه ثيابه

وقف أعرابى على مروان بن الحكم أيام الموسم بالمدينة فسأله ، فقال يا أعرابى ماعندنا مانصلك به ولكن عليك بابن جعفر ، فأتى الأعرابى باب عبدالله بن جعفر فاذا ثقله قد سار نحو مكة وراحلته بالباب عليها متاعه وسيفه معلق ؛ فخرج عبدالله من داره وأنشأ الأعرابى يقول

أبو جعفر من أهل بيت نبوة   صلاتهمُ للمسلمين طهور

أبا جعفر ان الحجيج ترحلوا   وليس لرحلي فاعلمنَّ بعير

أبا جعفر ضن الأمير بماله   وأنت على مافى يديك أمير

وأنت امرؤ من هاشم في صميمها ... اليك يصير المجد حيث تصير

فقال يا أعرابي سار الثقل فدونك والراحلة بما عليها واياك أن تخدع عن السيف فانى أخذته بألف دينار ، فأنشأ الأعرابي يقول

حباني عبد الله نفسي فداؤه ... بأعيس موّار سباط مشافره
وأبيضَ من ماء الحديد كأنه ... شهاب بدا والليل داج عساكره
وكل امرىء يرجو نوال ابن جعفر ... سيجري له باليمن والبشر طائره
فياخير خلق الله نفساً ووالداً ... وأكرمه للجار حين يجاوره
سأثني بما أوليتني يا ابن جعفر ... وما شاكر عُرْفاً كمن هو كافره

جاء شاعر الى عبد الله بن جعفر فأنشده

رأيت أبا جعفر فى المنام ... كساني من الخزّ دُراعة(١)
شكوت الى صاحبي أمرها ... فقال ستؤتى بها الساعة
سيكسوكها الماجد الجعفريّ ... ومن كفه في الدهر نفاعة
ومن قال للجود لا تعْدُنى ... فقال لك السمع والطاعة

فقال عبد الله لغلامه ادفع اليه دراعتى الخز ، ثم قال له كيف لو ترى جبتى المنسوجة بالذهب التى اشتريتها بثلثمائة دينار ، فقال له الشاعر دعني اغفى اغفاءة أخرى فلعلى أرى هذه الجبة فى المنام ، فضحك منه وقال ياغلام ادفع اليه جبتى الوشى ، وكان أهل المدينة يدّانون بعضهم من بعض الى أن يأتى عطاء عبد الله ابن جعفر

جلب رجل الى المدينة سكراً فكسد عليه، فقيل له لو أتيت ابن جعفر قبله منك وأعطاك الثمن ، فأتى ابن جعفر فأمر باحضاره وبسط له ، ثم أمر به فنثر ، فقال للناس انتهبوا ، فلما رأى الناس ينتهبون قال جعلت فداك آخذ معهم ؟ قال نعم ، فجعل

---

(١) الدراعة جبة مشقوقة المقدم

الرجل يُهيل فى غرائره ، ثم قال لعبدالله أعطنى الثمن ، فقال وكم ثمن سكرك ؟ قال أربعة آلاف درهم ، فأمر له بها

باع أعرابى راحلة من عبد الله بن جعفر ثم غدا عليه فاقتضى ثمنها ، فأمر به له ، ثم عاوده ثلاثاً يقتضيه الثمن ويأمر له به فقال فيه

لاخير فى المجتدى في الحين تسأله فاستمطروا من قريش خير مختدَع

تخال فيــــه اذا حاورته بَلَهًا من جوده وهو وافى العقل والورع

لما ولي عبد الملك الخلافة جفا عبـد الله بن جعفر فراح يوماً الى الجمعة وهو يقول اللهم انك عودتني عادة جريت عليها فان كان ذلك قد انقضى فاقبضني اليك ، فتوفى فى الجمعـة الأخرى وهو ابن سبعين سنة فى سنة ثمانين وهو عام الجُحاف « لسيل كان بمكة جحف الحاج فذهب بالابل عليهـا الحمولة » وكان الوالى على المدينة يومئذ أبان بن عثمان فى خلافة عبد الملك بن مروان ، وهو الذى صلى عليه ، ولما مات شهده أهل المدينة كلهم ، وكان عبد الله مأوى المساكين وملجأ الضعفاء فما تنظر الى ذى حجىً الا رأيته مستعبراً قد أظهر الهلَع والجزع ، فلما فرغوا من دفنه قام عمرو بن عثمان فوقف على شفير القـبر فقال رحمك الله يا ابن جعفر ان كنت لرحمك لواصلاً ولأهل الشر لمبغضاً ولأهل الريبة لقالياً ، ولقد كنت فيما بيني وبينك كما قال الأعشى

رعيت الذى قد كان بينى وبينكم من الود حتى غيبتني المقــابر

فرحمك الله يوم ولدت ويوم كنت رجلاً ويوم مت ويوم تبعث حياً ، والله لئن كانت هاشم أصيبت بك لقد عم قريشاً كلها هلكك فما أظن أن يرى بعدك مثلك ، فقام عمرو بن سعيد بن العاصى الأشـدق فقال لا إله الا الله الذى برأ الأرض ومن عليها واليه ترجعون ، ما كان أحلى العيش بك يا ابن جعفر وما أسمج ما أصبح بعد ، والله لو كانت عيني دامعة على أحد لدمعت عليك ، كان والله حديثك

غير مَشُوب بكذب وودك غير ممزوج بكَدَر ، فوثب ابن للمغيرة بن نوفل فقال يا عمرو بمن تعرض بمزج الود وشوب الحديث ؟ أفبابني فاطمة ؟ فهما والله خير منك ومنه ، فقال على رِسْلك يالُكَع أردت أن أدخلك معهم هيهات لست هناك ، والله لومت أنت ومات أبوك ما مدحت ولا ذممت ، فتكلم بما شئت فلن تجدلك مجيباً ، فما هو الا أن سمعهما الناس يتكلمان فحجزوا بينهما

وأم معاوية بن عبد الله بن جعفر أم ولد ، وكان من رجالات قريش ولم يكن فى ولد عبد الله مثله ، ولد وأبوه عند معاوية فأتاه البشير بذلك وعرف معاوية الخبر فقال سمه معاوية ولك مائة ألف درهم ، ففعل وأعطاه المال وأعطاه عبد الله للذي بشره به ، وكان عبد الله بن جعفر لا يؤدب ولده ويقول ان يرد الله عز وجل بهم خيراً يتأدبوا ، فلم ينجب فيهم غير معاوية

كان معاوية بن عبد الله قد عود ابن هَرْمة البر فجاءه يوماً وقد ضاقت يده وأخذ خمسين ديناراً ديناً فرفع اليه مع جاريته رقعة فيها مدح له يسأله فيها أيضاً براً ، فقال للجارية قولي له أيدينا ضيقة وما عندنا شيء إلا شيئاً أخذناه بكلفة ، فرجعت جاريته بذلك فأخذ الرقعة فكتب فيها

فانى ومدحك غيرَ المصيب كالكلب ينبح ضوء القمر
مدحتك أرجو لديك الثواب فكنت كالعاصر جنب الحجر

وبعث بالرقعة الى الجارية فدفعتها الى معاوية ، فقال لها ويحك قد علم بها أحد ، قالت لا والله انما دفعها من يده الى يدى ، قال فخذى هذه الدنانير فادفعيها اليه فخرجت بها اليه ، فقال كلا زعم أنه لا يدفع إليَّ شيئاً

وكان معاوية صديقاً ليزيد بن معاوية خاصة فسمى ابنه يزيد بن معاوية ، ولما حضرت عبد الله بن جعفر الوفاة دعا ابنه معاوية فنزع شَنَفاً كان فى أذنه وأوصى اليه ، وفى ولده من هو أسن منه ، وقال انى لم أزل أؤملك لها ، فلما توفى احتال

بدين أبيه وخرج فطلب فيه حتى قضاه وقسم أموال أبيه بين ولده ولم يستأثر عليهم بدينار ولا درهم ولا غيرهما

وأم عبد الله بن معاوية أم عون بنت عياش بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب ، وكان عبد الله من فتيان بنى هاشم وجُوَدائهم وشعرائهم ولم يكن محمود المذهب فى دينه ، كان يرمى بالزندقة ويستولي عليه من يعرف ويشهر أمره فيها ، ويكني أبا معاوية وله يقول ابن هرمة قصيدته التى أولها

عاتب النفس والفؤاد الغَوِيَّا ... فى طِلاب الصبا فلستَ صبيا

عجبت جارتى لشيب علانى ... عَمْرَكِ اللهَ هل رأيت بَدِيَّا

انما يُعذَر الوليد ولا يعـ ... ـذر من عاش من زمان عتِيّا

يقول فيها يمدحه

أُحبُّ مدحاً أبا معاوية الما ... جد لا تُلْفِهِ حَصوراً عَيِيا

بل كريماً يرتاح للمجد بَسّا ... ماً اذا هزه السؤال حييا

ان لى عنده وان رَغِم الأعـ ... ـداء حظاً من نفسه وَقفِيا

ان أمت تبق مدحتى واخائى ... وثنائى من الحياة مَلِيا

يأخذ السبق بالتقدم فى الجر ... ى اذا ما الندى تنحى عليا

ذو وفاء عند العدات وأوصا ... ه أبوه ألاَّ يزال وَفِيا

فرَعَى عُقْدة الوَصاة فأكرم ... بهما موصياً وهذا وصيا

يا ابن أسماء (١) فاسقِ دلوي فقد أو ... ردتها منهلا يَثِيجُ (٢) رَوِيا

مدح ابن هرمة عبد الله بن جعفر فأتاه فوجد الناس بعضهم على بعض على بابه ، قال ابن هرمة ورآنى بعض خدمه فعرفنى فسألته عن الذين رأيتهم ببابه فقال عامتهم غرماء له ، فقلت ذلك شر ، واستؤذن لى عليه فقلت لم أعلم والله بهؤلاء

(١) يعني أمه أسماء وهى أم عون بنت عياش (٢) يسيل

الغرماء ببابك ، فقال لاعليك أنشدني ، قلت أعيذك بالله واستحييت أن أنشد ، فأبى إلا أن أنشده ، فأنشدته قصيدتي التي أقول فيها

فإلاّ تُواتِ اليوم سلمى فربما ... شربنا بحوض اللهو غير المرنَّق
فدعها فقد أعذرت في ذكر وصلها ... وأجريت فيها شأواً وغرب ومشرق
ولكن لعبد الله فانطق بمدحة ... يجيرك من عسر الزمان المطبق
أخ قلت للأدنين لما مدحته ... هلموا وساري الليل مِ الآن فاطرُق
شديد التأني في الأمور مجرِّب ... متى يَعْرُ أمر القوم يفرِ ويخلُقِ
ترى الخير يجري في أسرَّة وجهه ... كما لألأت في السيف جرية رونق
كريم اذا ما شاء عدَّ له أباً ... له نسب فوق السّماك المحلَّق
وأماً لها فضل على كل حرة ... متى ماتسابق بابنها القوم تسبق
حللت محل القلب من آل هاشم ... فعُشّك مأوى بيضها المتفلق
ولم تك فيها بالمعرَّى نصابه ... اليها ولا كالراكب المتعلق
فمن مثل عبد الله أو مثل جعفر ... ومثل أبيك الأريحي المرهَّق

فقال من ههنا من الغرماء ؟ فقيل فلان وفلان ، فدعا باثنين منهم فسارّهما وخرجا وقيل لابن هرمة اتبعهما ، فأعطياه مالا كثيراً

قدم عبد الله بن معاوية الكوفة زائراً لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز ومستميحاً له ، فتزوج بالكوفة بنت الشرقي بن عبد المؤمن الرياحي ، فلما وقعت العصبية أخرجه أهل الكوفة على بني أمية وقالوا له اخرج فأنت أحق بهذا الأمر من غيرك واجتمعت له جماعة فلم يشعر به عبد الله بن عمر إلا وقد خرج عليه ، وقيل انما كان خروجه في أيام يزيد بن عبد الملك ظهر بالكوفة ودعا الى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم ولبس الصوف وأظهر سيما الخير فاجتمع اليه وبايعه بعض أهل الكوفة ولم يبايعه كلهم وقالوا ما فينا بقية قد قتل جمهورنا مع أهل هذا البيت

وأشاروا عليه بقصد فارس وبلاد المشرق فقبل ذلك وجمع جوعاً من النواحي فغلب على ماه الكوفة وماه البصرة وهمذان وقُم والرَّىّ وقُومَس وأصبهان وفارس، وأقام هو بأصبهان، وكان الذى أخذ له البيعة بفارس محارب بن موسى مولى بنى يشكر، فدخل دار الامارة بنعل ورداء واجتمع الناس اليه فأخذهم بالبيعة، فقالوا علامَ نبايع؟ فقال على ما أحببتم وكرهتم، فبايعوا على ذلك وكتب عبد الله بن معاوية الى الأمصار يدعو الى نفسه لا الى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم واستعمل أخاه الحسن على إصْطخر وأخاه يزيد على شيراز وأخاه علياً على كِرْمان وأخاه صالحاً على قُم ونواحيها، وقصدته بنو هاشم جميعاً منهم السفاح والمنصور وعيسى بن على، وقصده وجوه قريش من بنى أمية وغيرهم، فمن قصده من بنى أمية سليمان بن هشام بن عبد الملك وعمرو بن سهيل بن عبد العزيز، فمن أراد منهم عملاً قلده ومن أراد منهم صلة وصله، فلم يزل مقيما فى هذه النواحي التي غلب عليها حتى ولى مروان بن محمد فوجه اليه عامر بن صبارة فى جيش كثيف، فسار اليه حتى اذا قرب من أصبهان ندب له ابن معاوية أصحابه وحضهم على الخروج اليه فلم يفعلوا ولا أجابوه، فخرج على دَهَش هو واخوته قاصدين خراسان وقد ظهر أبومسلم بها ونفى عنها نصر بن سيار، فلما صار فى بعض الطريق نزل على رجل من التناء[1] ذى مروءة ونعمة وجاه فسأله معونته، فقال له من أنت من ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أأنت ابراهيم الامام الذى يدعى له بخُراسان؟ قال لا، قال فلاحاجة لي فى نصرتك، فخرج الى أبى مسلم وطمع فى نصرته، فأخذه أبو مسلم وحبسه عنده وجعل عليه عيناً يرفع اليه أخباره، فرفع اليه أنه يقول ليس فى الأرض أحمق منكم يا أهل خُراسان فى طاعتكم هذا الرجل وتسليمكم اليه مقاليد أموركم من غير أن تراجعوه في شيء أو تسألوه عنه، والله مارضيت الملائكة الكرام من الله تعالى بهذا حتى راجعته فى أمر آدم عليه السلام فقالت « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك

(١) التناء الدهاقين واحدها تانىء

الدماء ؟ » حتى قال لهم « انى أعلم مالا تعلمون » ثم كتب اليه عبد الله بن معاوية رسالته المشهورة التي يقول فيها « الى أبي مسلم من الأسير في يديه بلا ذنب ولا خلاف عليه أما بعد فانك مستودع ودائع ، ومولي صنائع وان الودائع رِعْية وان الصنائع عارية ، فاذكر القصاص واطلب الخلاص ، ونبه للفكر قلبك واتق الله ربك ، وآثر مايلقاك غداً على مالا يلقاك أبداً ، فانك لاق ما أسلفت وغير لاق ماخلفت ، وفقك الله لما ينجيك وآتاك شكر ما يبليك » فلما قرأ كتابه رمى به ثم قال لقد أفسد علينا أصحابنا وأهل طاعتنا وهو محبوس فى أيدينا فلو خرج وملك أمرنا لأهلكنا ، ثم أمضى تدبيره فى قتله

وكان عبد الله بن معاوية قاسياً وكان مع قسوته من ظرفاء بنى هاشم وشعرائهم وهو الذى يقول

ألا يَزَعُ القلب عن جهله ... وعما يؤنَّب من أجله
فأُبدل بعد الصبا حلمه ... وأقصر ذو العذل عن عذله
فلا تركبنَّ الصنيع الذى ... تلوم أخاك على مثله
ولا يعجبنك قول امرئ ... يخالف ما قال فى فعله
ولا تُتْبِع الطَّرْف ما لا تنال ... ولكن سل الله من فضله
فكم من مُقلٍّ ينال الغنى ... ويحمد فى رزقه كله

ومنه

اذا افتقرت نفسى قصرت افتقارها ... عليها فلم يظهر لها أبداً فقرى
وان تَلْقَنى في الدهر مُمدوحة الغنى ... يكن لأخلائى التوسع فى اليسر
فلا العسر يُزْرِى بى اذ هو نالنى ... ولا اليسر يوماً ان ظفرت به فخرى

كان ابن معاوية صديقاً للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس وكان حسين

هذا وابن معاوية يرميان بالزندقة ، فقال الناس انما تصافيا على ذلك ، ثم دخل بينهما شيء من الأشياء فتهاجرا من أجله ، فقال عبد الله

وان حسيناً (١) كان شيئاً ملفقاً فكشفه التمحيص حتى بدا ليا
أأنت أخي ما لم تكن لي حاجة فان عرضت أيقنت ألاّ أخاليا
فلا زاد ما بيني وبينك بعد ما بلوتك في الحاجات إلاّ تماديا
فلست براء عيب ذي الود كله ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا
فعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا
كلانا غني عن أخيه حياته ونحن اذا متنا أشد تغانيا

وله في الحسين أشعار كلها معاتبات فمنها

قل لذي الود والصفاء حسين أُقدُر الود بيننا قدره
ليس للدابغ المحلم بُدّ من عتاب الأديم ذي البَشَرة
لست ان زاغ ذو إخاء وود عن طريق بتابع أثره
بل أقيم القناة والود حتى يتبع الحق بعدُ أو يذَره

وقال له

ان ابن عمك وابن أمـك مُعْلَم شاكي السلاح
يقص (٢) العدو وليس يرضي حين يبطش بالجَناح
لا تحسبنّ أذى ابن عمك شرب ألبان اللقاح
بل كالشّجا تحت اللّهاة اذا يسوغ بالقَراح
من لا يزال يسوءه بالغيب ان يلحاك لاح

فقال حسين له

(١) في الكامل رأيت فضيلا وقوله كان شيئاً ملفقاً يريد كان أمراً مغطى والتمحيص الاختبار
(٢) وقص عنقه يقصها كسرها ودقها

أبرق لمن يخشى وأرْ عد غير قومك بالسلاح
لسنا نقر لقائل الا المقرظ بالصلاح

ومما يغني فيه من شعره

يهيم بجُمل وما ان يرى له من سبيل الى جمله
كأن لم يكن عاشق قبله وقد عشق الناس من قبله
فمنهم مَن الحب أودى به ومنهم مَن آشفى على قتله

ومنه

يا قوم كيف سَواغ عيش ليس تؤمن فاجعاته
ليست تزال مُطلةً تغدو عليك مُنغِّصاته
الموت هول داخل يوماً على كره أناته
لابد للحذِر النفو ر من أن تقنَّصه رُماته
قد أمنح الود الخليل بغير ما شيء رزأته
وله أقيم قناة ودي ما استقامت لي قناته

ومنه

سلا ربة الخِدْر ماشأنها ؟ ومن أيّما شأننا تعجب ؟
فلست بأول من فاته على إربه بعض ما يطلب
وكائن تعرض من خاطب فزوج غير الذي يخطب
وأُنكحها بعده غيره وكانت له قبله تُحجب
وكنا حديثا صفيين لا نخاف الوشاة وما سببوا
فان شطّت الدار عنا بها فبانت وفي الناس مستعتَب
وأصبح صدع الذي بيننا كصدع الزجاجة مايُشْعب
وكالدَّر ليست له رجعة الى الضرع من بعدما يحلب

حدث محمد بن يحيى أن عبد الله بن معاوية مرَّ بجده عبد الحميد في مزرعته بصُرَّام وقد عطش فاستسقاه نخاض له سويق لوز فسقاه إياه ، فقال عبد الله

شربت طَبَرْزَذاً بغَرِيض مُزْن كذوب الثلج خالطه الرُّضاب (١)

فقال عبد الحميد يجيبه

فما إن ماؤنا بغَرِيض مُزْن ولكن الملاح بكم عِذَاب
وما إن بالطَّبَرْزَذ طاب لكن بمسك لا به طاب الشراب
وأنت اذا وطئت تراب أرض يطيب اذا مشيت بها التراب
لأن نَداكَ يُطفي المَحْلَ عنها وتحييها أياديك الرِّطاب

عبد الله بن الحسن

هو أبو محمد عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، أُمه فاطمة بنت الحسين ، وأُمها أُمّ اسحق بنت طلحة بن عبيد الله ، وأُمها الجرباء بنت قسامة الطائية سميت بذلك لحسنها كانت لا تقف الى جنبها امرأة وان كانت جميلة الا استقبح منظرها لجمالها ، وكان النساء يتحامين أن يقفن الى جنبها ، فشبهت بالناقة الجرباء التى تتوقاها الابل مخافة أن تُعْديها ، وكانت أُمّ اسحق من أجمل نساء قريش وأسوإهن خلقاً وكانت عند الحسن بن علي قبل أخيه الحسين ، فلما حضرته الوفاة دعا بالحسين فقال يا أخي انى أرضى هذه المرأة لك فلا تخرجن من بيوتكم فاذا انقضت عدتها فتزوجها ، فلما توفى تزوجها الحسين ، وتزوج الحسن بن الحسن فاطمة بنت الحسين فى حياة عمه وهو زوجه إياها ، خطب الى عمه الحسين وسأله أن يزوجه إحدى ابنتيه ، فقال له الحسين اختر يا بنيَّ أحبهما اليك ، فاستحيا الحسن ولم يُحِرْ جواباً ، فقال له الحسين فانى قد اخترت منهما لك ابنتى فاطمة فهى أكثر

(١) الرضاب ماء المسك ورضاب كل شيء ماؤه والطبرزذ السكر الأبيض الصلب

شبيهاً بامى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا يقولون ان امرأة سكينة مردودتها لمنقطعة القرين فى الجمال ، ولما حضرت الحسن بن الحسن الوفاة جزع وجعل يقول انى لأجد كرباً ليس هو الا كرب الموت ، فقال له بعض أهله ما هذا الجزع ؟ تَقْدَم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جدك وعلى عليّ والحسن والحسين وهم آباؤك ، فقال لعمرى ان الأمر كذلك ولكن كأنى بعبدالله ابن عمرو بن عثمان حين أموت وقد جاء فى مُضَرَّجَيْن وهو يُرَجِّل جُمَّته يقول أنا من بني عبد مناف جئت لأشهد ابن عمى وما به الا أن يخطب فاطمة بنت الحسين فاذا جاء فلا يدخل عليَّ ، فصاحت فاطمة أتسمع ؟ قال نعم ، قالت أعتقت كل مملوك لي ان أنا تزوجت بعدك أحداً أبداً ، فسكن الحسن وما تنفس ولا تحرك حتى قضى ، فلما ارتفع الصياح أقبل عبد الله على الصفة التى ذكرها الحسن ، فقال بعض القوم ندخله وقال بعضهم لايدخل وقال قوم لايضر دخوله ، فدخل وفاطمة تصُكُّ وجهها فأرسل اليها وصيفاً كان معه فجاء يتخطى الناس حتى دنا منها فقال يقول لك مولاى أبقى على وجهك فان لنا فيه أرباً ، فأرسلت يدها في كمها واختمرت وعرف ذلك منها فما لطمت وجهها حتى دفن ، فلما انقضت عدتها خطبها ، فقالت كيف لي بنذرى ويميني ؟ فقال نخلف عليك بكل عبد عبدين وبكل شيء شيئين ، ففعل وتزوجته

وكان عبد الله بن الحسن شيخ أهله وسيداً من ساداتهم ومقدماً فيهم فضلاً وعلماً وكرماً، وحبسه المنصور فى الهاشمية بالكوفة لما خرج عليه ابناه محمد وابراهيم فمات فى الحبس ، قال مُصْعَب الزبيرى انتهى كل حسن الى عبد الله بن حسن ، وكان يقال من أحسن الناس ؟ فيقال عبدالله بن الحسن ، ويقال مَنْ أفضل الناس ؟ فيقال عبد الله بن الحسن ، وكان يقول أنا أقرب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدتني بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين ، وقد اجتمعت له

ولادة الحسن والحسين عليهما السلام ، وقال محمد بن حجازة الدهان رأيت عبد الله ابن الحسن فقلت هذا والله سيد الناس كان مكسوًّا نوراً من قرنه الى قدمه

جاء منظور بن زَبَّان الفزارى الى حسن بن حسن وهو جده أبو أُمه فقال له لعلك أحدثت بعدى أهلاً ؟ قال نعم تزوجت بنت عمى الحسين بن علي ، قال بئسما صنعت أما علمت أن الأرحام اذا التقت أضوَت ؟ كان ينبغى ان تزوج فى الغرب ، قال فان الله عز وجل قد رزقني منها ولداً ، قال أرِنيه ، فأخرج اليه عبد الله بن الحسن ، فسرَّ به وقال أنجبت هذا والله ليث عادٍ ومعدوٌّ عليه ، قال فان الله قد رزقني منها ولداً ثانياً ، قال فأرِنيه ، فأراه ابراهيم بن حسن

لما بنى أبو العباس بناءه بالأنبار الذى يدعى الرُّصافة « رُصافة أبى العباس » قال لعبد الله بن حسن ادخل فانظر ودخل معه ، فلما رآه تمثل

ألم ترَ حوْشباً أمسى يبنِّى بناء نفعه لبني بُقيلة
يؤمل أن يعمر عمر نوح وأمر الله يحدث كل ليلة

فاحتملها أبو العباس ولم يبكته بها ولم تزل فى نفس أبى جعفر عليه

قال محمد بن عبدة لما استخلف أبو جعفر ألحَّ في طلب محمد والمسألة عنه وعمن يُؤْويه ، فدعا ببني هاشم رجلاً رجلاً ، فسألهم عنه ، فكلهم يقول ياأمير المؤمنين قد علم أنك عرفته يطلب هذا الشأن قبل اليوم فهو يخافك على نفسه وهو لا يريد لك خلافاً ولا يحب لك معصية وما أشبه هذه المقالة الا حسن بن زيد فانه أخبره خبره وقال والله ما آمن وثوبه عليك فانه الّذى لا ينام عنك فرَ رأيك ، فأيقظ من لا ينام

وروى عقبة بن سلم أن أبا جعفر دعاه فسأله عن اسمه ونسبه فقال أنا عقبة بن سلم بن نافع من الأزْد من بني هُناءة ، قال انى أرى لك هيئة وموضعاً وانى لا ريدك لأمر أنا به معنى لم أزل أرتاد له رجلاً عسى أن تكونه إن كفيتنيه رفعتك ،

فقال أرجو أن أصدق ظن أمير المؤمنين فيَّ ، قال فأخفِ شخصك واستر أمرك وأتني في يوم كذا وكذا ، فأتيته ، فقال ان بنى عمنا هؤلاء قد أبوا الا كيداً لملكنا ولهم شيعة بخراسان بقرية كذا يكاتبونهم ويرسلون اليهم بصدقات أموالهم والطاف من ألطاف بلادهم ، فاخرج بكُسًى وألطاف وعين حتى تأتيهم متنكراً بكتاب تكتبه عن أهل هذه القرية ثم تسبر ناحيتهم فان كانوا قد نزعوا عن رأيهم فأحبب بهم والله وأقرب ، وان كانوا على رأيهم علمت ذلك وكنت على حذر واحتراس ، فاشخص حتى تلقى عبد الله بن حسن متقشفاً متخشعاً ، فان جبهك وهو فاعل فاصبر وعاود ، فان عاد فاصبر حتى يأنس بك وتلين لك ناحيته ، فان ظهر لك ما فى قلبه فاعجل إليَّ ، فشخص حتى قدم على عبد الله بالكتاب فأنكره ونهره وقال ما أعرف هؤلاء القوم ، فلم يزل ينصرف ويعود اليه حتى قبل كتابه وألطافه وأنس به ، فسأله عقبة الجواب ، فقال أما الكتاب فانى لا أكتب الى أحد ولكن أنت كتابى اليهم فاقرأهم السلام وأخبرهم أن ابني خارجان لوقت كذا وكذا ، فشخص عقبة حتى قدم على أبي جعفر فأخبره الخبر ، وسأل أبو جعفر عبد الله بن الحسن عن ابنيه لما حج ، فقال لا علم لي بهما حتى تغالظا ، فأمَضَّه أبو جعفر ، فقال له يا أبا جعفر بأى أمهاتى تُمِضُّنى ؟ أبفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أم بفاطمة بنت أسد أم بفاطمة بنت حسين أم أُمّ أسحاق بنت طلحة أم خديجة بنت خويلد ؟ قال لا بواحد منهن ولكن بالجَرْباء بنت قَسامة ، فوثب المسيَّب بن زهير فقال دَعْنى يا أمير المؤمنين أضرب عنقه ، فقام زياد بن عبيد الله فألقى عليه رداءه وقال هَبْهُ لي يا أمير المؤمنين فأنا أستخرج لك ابنيه ، فتخلصه منه ، قال صالح صاحب المصلى انى لواقف على رأس أبي جعفر وهو يتغدى بأَوْطاس وهو متوجه الى مكة ومعه على مائدته عبد الله بن حسن وأبو الكرام الجعفرى وجماعة من بنى العباس ، فأقبل على عبد الله بن حسن فقال يا أبا محمد محمد وابراهيم

أراهما قد استوحشا من ناحيتي واني لأحب أن يأنسا بي وأن يأتياني فأصلهما وأخلطهما بنفسي، وعبد الله مطرق طويلاً، ثم رفع رأسه وقال وحقك يا أمير المؤمنين فمالي بهما ولا بموضعهما من البلاد علم ولقد خرجا من يدي، فيقول أبو جعفر لا تفعل يا أبا محمد اكتب اليهما والى من يوصل كتابك اليهما، فامتنع أبو جعفر ذلك اليوم من عامة غدائه اقبالاً على عبد الله وعبد الله يحلف أنه لا يعرف موضعهما وأبو جعفر يكرر عليه لا تفعل يا أبا محمد، وكان أبو جعفر قال لعقبة بن سلم اذا صرت بمكان كذا وكذا لقيني بنو حسن فيهم عبد الله فأنا مبجله ورافع مجلسه وداع بالغداء، فاذا فرغنا من طعامنا فلحظتك فامثُلْ بين يديه قائماً فانه سيصرف بصره عنك، فدُر حتى تغمز ظهره بابهام رجلك حتى يملأ عينيه منك ثم حسبُك، وإياك أن يراك ما دام يأكل، ففعل ذلك عقبة، فلما رآه عبد الله وثب حتى جثا بين يدي أبي جعفر فقال أقلني يا أمير المؤمنين أقالك الله، قال لا أقالني الله ان أقلتك، ثم أمر بحبسه، قال العباس بن جعفر لما حج أبو جعفر في سنة أربعين ومائة أتاه عبد الله وحسن ابنا حسن، فانهما وإياي لعنده وهو مشغول بكتاب ينظر فيه اذ تكلم المهدي فلحن، فقال عبد الله يا أمير المؤمنين ألا تأمر بهذا من يعدّل لسانه ؟ فانه يَغْفُلُ غفل الأمة، فلم يفهم، وغمزت عبد الله فلم ينته، وعاد لأبي جعفر فاحتفظ من ذلك وقال له أين ابنك، قال لا أدري، قال لتأتيني به، قال لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه، قال يا ربيع قم به الى الحبس، وتوفي عبد الله في محبسه بالهاشمية وهو ابن خمس وسبعين سنة خمس وأربعين ومائة

ولعبد الله شعر يغنى فيه وهو قوله

يا هند انك لو علمـ ـت بعاذلين تتابعا
قالا فلم أسمع لما قالا وقلت بل اسمعا
هند أحب إليَّ من مالي وروحي فارجعا

ولقد عصيت عواذلي وأطعت قلباً موجعا

وهند التى عناها هي زوجته هنـد بنت أبى عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود الأسدية القرشية ، وكان أبو عبيدة جواداً ممدحاً ، وكانت هند قبل عبد الله ابن الحسن تحت عبد الله بن مروان فمات عنها ، قال عبد الرحمن بن جعفر زوّجَ عبد الملك بن مروان ابنـه عبد الله هند بنت أبى عبيدة وريطة بنت عبد الله بن عبد المدان لمـا كان يقال انه كائن في أولادهما فمات عنهما عبد الله أو طلقهما ، فتزوّجَ هنداً عبد الله بن الحسن وتزوّجَ رَيطة محمد بن علي فجاءت بأبي العباس السفاح

لما مات عبد الله بن عبد الملك رجعت هند بميراثها منـه ، فقال عبد الله بن حسن لأُمه فاطمة اخطبى عليَّ هنداً ، فقالت إذاً تردك ، أتطمع فى هند وقد ورثت ما ورثته وأنت ترِب لا مال لك ؟ فتركها ومضى الى أبى عبيدة أبى هند ، فخطبها اليه ، فقال فى الرحب والسَّعة أما منى فقد زوجتك ، مكانك لاتبرح ، ودخل على هند ، فقال يا بنية هـذا عبد الله بن حسن أتاكِ خاطباً ، قالت فما قلت له ؟ قال زوَّجتُه ، قالت قد أحسنتَ قد أجزتُ ما صـنعت ، وأرسلت الى عبد الله لا تبرح حتى تدخل على أهلك ، فتزينت له ، فبات بها معرِساً من ليلته ولا تشعر أُمه ، فأقام سبعاً ، ثم أصبح فى يوم سابعه غادياً على أُمه وعليه ردع الطيب وفى غير ثيابه التى تعرف ، فقالت له يا بنيَّ من أين لك هـذا ؟ قال من عند التى زعمت أنها لا تريدنى

كان عبد الله بن مصعب كثيراً ما كان يستنشد أبيات عبد الله بن حسن ويعجب بها

ان عينى تعودت كحل هند جمعت كفها مع الرفق لينا

الحسين بن علي

هو الحسين بن على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، واسم أبى طالب عبد مناف ، واسم عبد المطلب شيبة الحمد ، واسم هاشم عمرو ، وأم على بن أبى طالب فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف وهى أول هاشمية تزوجها هاشمى ، وهى أم سائر ولد أبى طالب ، وأم الحسين فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمها خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وكان على سمى الحسين حرباً فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسين

تزوج الحسين الرباب بنت امرىء القيس بن عدى الكلبية وهي أم سُكَينة وهذا لقب لها واسمها آمنة ، قالت سكينة عاتب عمى الحسن أبى فى أمى فقال

لعمرك اننى لأحب داراً   تكون بها سكينة والرباب
أحبهما وأبذل جل مالى   وليس لعاتب عندى عتاب
فلست لهم وان غابوا مضيعاً   حياتى أو يغيبنى التراب

وامرؤ القيس بن عدى أسلم على يد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فما صلى صلاة حتى ولاه عمر ، وما أمسى حتى خطب اليه على عليه السلام ابنته الرباب على ابنه الحسين فزوجه إياها فولدت له عبد الله وسكينة ، وكانت الرباب من خيار النساء وأفضلهن ، وخطبت بعد قتل الحسين فقالت ما كنت لأتخذ حَمًا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم

قيل لسكينة أنت تمزحين كثيراً وأختك لا تمزح ، فقالت لأنكم سميتموها باسم جدتها المؤمنة « تعنى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم » وسميتمونى باسم جدتى التي لم تدرك الاسلام « تعني آمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم »

رثت الرباب بنت امرىء القيس زوجها الحسين بن علي حين قتل فقالت

ان الذي كان نوراً يستضاء به بكربلاء قتيل غير مدفون
سبطَ النبي جزاك الله صالحة عنا وجُنبت خسران الموازين
قد كنت لي جبلاً صعباً ألوذ به وكنت تصحبنا بالرُّحْم والدين
من لليتامى ومن للسائلين ومن يغني ويأوِي اليه كل مسكين
والله لا أبتغي صهراً بصهركمُ حتى أغيب بين الرمل والطين

كانت سكينة في مأتم فيه بنت لعثمان فقالت بنت عثمان أنا بنت الشهيد ، فسكتت سكينة ، فقال المؤذن أشهد أن محمداً رسول الله ، قالت سكينة هذا أبي أو أبوك ؟ فقالت العثمانية لا أفخر عليكم أبداً

كانت سكينة تجيء يوم الجمعة فتقوم بازاء خالد بن عبد الرحمن بن الحرث بن الحكم اذا صعد المنبر فاذا شتم علياً شتمته هي وجواريها فكان يأمر الحرس يضربون جواريها

قال مصعب كانت سكينة عفيفة سليمة بَرْزة من النساء تجالس الأجِلَّة من قريش وتجتمع اليها الشعراء وكانت ظريفة مزاحة ، وقالت سكينة أدخلت على مصعب وأنا أحسن من النار الموقدة ، وقال مصعب كانت سكينة أحسن الناس شَعراً وكانت تصفف جُمّتها تصفيفاً لم ير أحسن منه حتى عرف ذلك ، وكانت تلك الجمة تسمى السكينية ، وكان عمر بن عبد العزيز اذا وجد رجلا يصفف جمته السكينية جلده وحلقه

كانت سكينة مزاحة فلسعتها دَبْرة ، فقالت أمها مالك ياسيدتي فضحكت وقالت لسعتني دُبيرة مثل الأُبيرة أوجعتني قُطيرة

تزوجت سكينة عدة أزواج منهم عبد الله بن الحسن بن علي وهو ابن عمها وأبو عُذرتها ، ومُصْعب بن الزبير ، وعبد الله بن سليمان الحزامي ، وزيد بن عمرو بن

عثمان ، والأصبغ بن عبد العزيز بن مروان ولم يدخل بها ، وابراهيم بن عبدالرحمن ابن عوف ولم يدخل بهـا ، ومهرها مصعب ألف ألف درهم وحملها اليه أخوها علي بن الحسين فأعطاه أربعـين ألف دينار وولدت من مصعب بنتاً فسمتها الرباب ، فلما قتل مصعب ولى أخوه عروة تركتـه فزوجها ابنه عثمان بن عروة فماتت وهى صغيرة فورثها عثمان بن عروة عشرة آلاف دينار ، قالت سعيدة بنت عبد الله بن سالم لقيت سكينة بين مكة و منى فقلت قفي يا ابنة الحسين فكشفت عن بنتها من مصعب واذا هى قد أثقلتها بالحلي واللؤلؤ فقالت ما ألبستها اياه الا لتفضحه

قالت سكينة لعائشة بنت طلحة أنا أجمل منك وقالت عائشة بل أنا ، فاختصمتا الى عمر بن أبي ربيعة فقال لأقضـين بينكما ، أما أنت ياسكينة فأملح وأما أنت ياعائشة فأجمل منهـا ، فقالت سكينة قضيت لي والله ، وكانت سكينة تسمى عائشة ذات الأذنين ، وكانت عظيمة الأذنين

ولما تزوجها زيد بن عمرو بن عثمان شرطت عليه ألا يغيرها ، ولا يمنعها شيئاً تريده ، وأن يقيمها حيث جلتها أم منظور ، ولا يخالفها في أمر تريده ، فكانت تقول له يا عثماني اخرج بنا الى مكة ، فاذا خرج فسارت يوماً أو يومين قالت ارجع بنا الى المدينـة ، فاذا رجع يومه ذلك قالت اخرج بنا الى مكة ، فقال له سليمان بن عبد الملك اعلم أنك قد شرطت لها شروطاً ان لم تف لها فطلقها ، فطلقها

قال سفيان بن حرب رأيت سكينة بنت الحسين ترمى الجمار فسقطت من يدها الحصاة السابعة فرمت بخاتمها

قيل ان سكينة خرجت بها سلعة فى أسفل عينها حتى كبرت ثم أخذت وجهها وعينها وعظم ما بها ، وكان درافيس منقطعاً اليها فى خدمتها ، فقالت له ألا ترى ما قد وقعت فيه ؟ فقال لها أتصبرين على ما يمسك من الألم حتى أعالجك ؟ قالت نعم ، فأضجعها وشق جلد وجهها أجمع وسلخ اللحم من تحتها حتى ظهرت عروقها ، و كان

منها شيء تحت الحدقة فرفع الحدقة عنها حتى جعلها ناحية ثم سل عروق السلعة من تحتها فأخرجها أجمع ورد العين الى موضعها وسكينة مضطجعة لاتتحرك ولا تئن حتى فرغ مما أراد وزال ذلك عنها وبرئت منه ، وبقى أثر تلك الحزازة فى مؤخر عينها فكان أحسن شيء فى وجهها من كل حلي وزينة ولم يؤثر ذلك فى نظرها ولا فى عينها

ابن رهيمة المدنى

كان يشبب بزينب بنت عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وفيها يقول

أقصدت زينب قلبي بعد ما ذهب الباطل عني والغزل
وعلا المفرق شيب شامل واضح فى الرأس مني واشتعل

ويقول

أقصدت زينب قلبى وسبت عقلى ولبى
تركتني مستهاماً أستغيث الله ربى
ليس لي ذنب اليها فتجازينى بذنبى
ولها عندى ذنوب فى تنائيها وقربى

ويقول

وجد الفؤاد بزينبا وجداً شديداً متعبا
أصبحت من وجدى بها أدعى سقيماً مسهبا
وجعلت زينب سُترة وأتيت أمراً معجبا

ويقول

انما زينب المنى وهى الهم والهوى
ذات دل تُضني الصحيح وتُبرى من الجوى
لا يغرنك ان دعوت فؤادى الى النوى

واحذري هجرة الحبيــــب اذا مل وانزوى

ويقول

انمـــا زينب همى بأبى تلك وأمى
بأبى زينب لا أكـــنى ولـكنى أسمى
بأبى زينب من قا ض قضى عمداً بظلمى
بأبى من ليس لى فى قلبها قيراط رحم

ويقول

يا زينب الحسناء يا زينب يا أكرم الناس اذا تنسب
تقيك نفسي حادثات الردى والأم تفديك معاً والأب
هل لك فى ود امرىء صادق لا يمذق الود ولا يكذب
لا يبتغى فى وده محرماً هيهات منك العمل الأريب

ويقول

فليت الذى يلحى على زينب المنى تعلقه مما لقيت عشير
فحسبى له بالعشر مما لقيته وذلك فيما قد تراه يسير

وهذه كلها غنى فيها يونس الكاتب أصواته المعروفة بالزيانب

وقد استعدى عليه أخوها هشامَ بنَ عبد الملك فأمر بضربه خمسمائة سوط وأن يباح دمه ان وجد قد عاد لذكرها وأن يفعل ذلك بكل من غنى فى شيء من شعره ، فهرب هو ويونس فلم يقدر عليهما ، فلما ولى الوليد بن يزيد ظهرا وقال ابن رهيمة

لئن كنت أطردتنى ظالماً لقد كشف الله ما أرهب
ولو نلت منى ما تشتهي لقلّ اذا رضيت زينب
وما شئت فاصنعه بى بعدذا فحبى لزينب لا يذهب

عبد الله بن جحش الصماليك[1]

من قوله في صهباء الهذلية وقد تزوَّجها

نعم الضجيع اذا النجوم تغورت ... بالغَوْر أُولاها على أخراها
عَذْب مقبلهـــا وثير ردفها ... عَبْل شَواها طيب مَجْناها
صفراء يَطويها الضجيع لجنبها ... طى الحمـــالة لين مَتْناها
لو يستطيع ضجيعها لأجنَّها ... فى الجوف حب نسيمها ونَشاها[2]
يا دار صهباء التى لا أنتهى ... عن ذكرها أبداً ولا أنساها

ومن قوله

هل يبلغنها السلام أربعة ... منى وان يفعلوا فقد نفعوا
على مِصَكين[3] من جمالهم ... وعَنْتَرِيسَيْن فيهما سَطَع
قرب جيراننـــا جمالهمُ ... صبحاً فأضحَوْا بها قد انتجعوا
ما كنت أدرى بوَشْك بينهمُ ... حتى رأيت الحُداة قد طلعوا
قد كاد قلبى والعين تُبصرهم ... لما تولى بالقوم ينصـــدع
ساروا وخلفت بعدهم دَنِفاً ... أليس بالله بئسما صنعوا؟

ومن قوله

أَجدَّ اليوم جيرتك الغيارا ... رَواحاً أم أرادوه ابتكارا
بعينك كان ذاك وإن يَبينوا ... يَزدك البين صَدْعاً مستطارا
بلى أبقت من الجيران عندى ... أناساً ما أوافقهم كثارا
وما ذا كثرة الجيران تغنى ... اذا ما بان من أهوى فسارا ؟

---

(١) لم نتحقق من نسبة هذا الشاعر (٢) النشا نسيم الريح الطيبة (٣) المصك القوى من الناس وغيرهم والعنتريس الناقة الغليظة الوثيقة والسطع طول العنق

الطبقة الثالثة
الشعراء المحدثون

شعراء قحطان
شعراء حمير

ابن وهيب

هو محمد بن وهيب الحميري صليبة ، شاعر من أهل بغداد من شعراء الدولة العباسية وأصله من البصرة وله أشعار كثيرة يذكرها فيها ويتشوقها ويصف ايطانه إياها ومنشأه بها

من قوله يمدح المعتصم وفيه غناء

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها   شمس الضحى وأبو اسحاق والقمر
يحكى أفاعيله فى كل نائبة   الغيث والليث والصمصامة الذكر

ومن قوله من كلمة يمدح بها الحسن بن رجاء بن الضحاك

أجارتنا ان التعفف باليأس   وصبراً على استدرار دنيا بإبساس (١)
حريّان ألاّ يقذفا بمذلة   كريماً وألاّ يحوجاه الى الناس
أجارتنا ان القداح كواذب   وأكثر أسباب النجاح مع الياس

دخل محمد بن وهيب على أبي دلف القاسم بن عيسى فأعظمه جداً ، فلما انصرف قال له أخوه معقل يا أخى فعلت بهذا ما لم يستأهله ، ما هو فى بيت من

(١) أبس الحالب بالناقة دعاها للحلب

الشرف ولا فى جمال من الأدب ولا بموضع من السلطان ، فقال بلى يا أخى انه لحقيق بذلك ، أوَ لا يستحقه وهو القائل ؟

يدل على أنني عاشق ... من الدمع مستشهَد ناطق
ولي مالك أنا عبد له ... مقر بأنى له وامق
اذا ما سموت الى وصله ... تعرض لي دونه عائق
وحاربنى فيه ريب الزمان ... كأن الزمان له عاشق

لما قدم المطلب بن عبد الله بن مالك من الحج لقيه محمد بن وهيب مستقبلاً مع من تلقّاه ودخل اليه مهنئاً بالسلامة بعد استقراره وعاد اليه فى الثانية ، فأنشده قصيدة طويلة مدحه بها يقول فيها

وما زلت أستدعى لك الله غائباً ... وأظهر اشفاقاً عليك وأكتم
وأعلم أن الجود ما غبت غائب ... وأن الندى فى حيث أنت مخيم
الى أن زجرت الطير سعداً سوانحاً ... وحُمَّ لقاء بالسعود مقدم
وظل يناجينى بمدحك خاطرى ... وليلِيَ ممدود الرَّواقين أدهم
وقالوا طواه الحج فاخشع لفقده ... ولا عيش حتى يَستْهِلَّ المحرم
سيفخر ماضم الحطيم وزمزم ... بمُطَّلب لو أنه يتكلم
وما خلقت الا من الجود كفه ... على أنها والبأس خِدْنان توْءم
أعدت الى أكناف مكة بهجة ... خُزاعية كانت تُجلّ وتُعظَم
ليالي سُمّار الحَجون الى الصفا ... خزاعة اذ خلت لها البيت جُرْهُم
ولو نطقت بطحاؤها وحَجونها ... وخَيْفُ منًى والمأْزمان وزمزم
إذاً لدعت أجزاء جسمك كلها ... تنافس فى أقسامه لو تحكم
ولو رد مخلوق الى بدء خلقه ... اذا كنت جسماً بينهن تقسم

سما بك منها كل خَيْف فأبطح ... نما بك منه الجوهر المتقدم
وحن اليك الركن حتى كأنه ... وقد جئته حلٌّ عليك مسلم

فوصله صلة سنية وأهدى له هدية حسنة من طرف ما قدم به وحمله

كان محمد بن وهيب لما قدم المأمون من خراسان مضاعاً مطرحاً انما يتصدى للعامة وأوساط الكتاب والقواد بالمديح ويسترفدهم فيحظى باليسير ، فلما هدأت الأمور واستقرت واستوسقت جلس أبو محمد الحسن بن سهل يوماً منفرداً بأهله وخاصته وذوى مودته ومن يقرب من أنسه فتوسل اليه محمد بن وهيب بالحسن بن رجاء حتى أوصله مع الشعراء ، فلما انتهى اليه القول استأذن فى الإنشاد ، فأذن له ، فأنشده القصيدة التى أولها

ودائع أسرار طوتها السرائر ... وباحت بمكنوناتهن النواظر
ملكت لها طى الضمير وتحته ... شبًا لوعة عَضْبُ الغِرارين باتر
فأُعجم عنها ناطق وهو معرب ... وأعجبت العجمَ الجفون المواطر
ألم تقذنى السراء فى رنق الهوى ... غريراً بما تجنى على الدوائر
تسالمنى الأيام في عُنْفوانه ... ويكلَؤُنى طرف من الدهر ناظر
الى الحسن البانى العلا حين يممت ... عوالي المنى حيث الحيا المتظاهر
الى الأمل المبسوط والأجل الذى ... بأعدائه تكبو الجدود العواثر
ومن أنبعت عينَ المكارم كفُّه ... يقوم مقام القطر والروض داثر
تعصب تاج الملك فى عُنْفوانه ... وأطَّت به عصرَ الشباب المنابر
تعطفه الأيام قبل عيانه ... ويصدر عنه الطَّرْف والطرف حاسر
به تُجْتَدَى النعمى وتستدرك المنى ... وتستكمل الحسنى وترعى الأواصر
أهاب بنا داعى نوالك مؤذناً ... بدونك الا أنه لا يحاور
قسمت صروف الدهر بأساً ونائلا ... فمالك موتور وسيفك واتر

ولما رأى الله الخلافة قد وهت دعائمهـــا والله بالأمر خابر
بنى بك أركاناً عليها محيطة فأنت لها دون الحوادث ساتر
وأرعنَ فيه للسوابغ جنـــة وسقف سماء أنشأته الحوافر(١)
لها فلك فيه الأسنة أنجم ونقع المنايا مســتطير وثائر
أجزت قضاء الموت فى مُهَج العدا به فاستباحتها المنايا الغوادر
لك اللحظات الكائنات قواصداً بنعمى وبالبأساء فيه شوازر
ولو لم تكن الا بنفسك فاخراً لما انتسبت الا اليك المفاخر

فطرب أبو محمد حتى نزل عن سريره الى الأرض وقال أحسنت والله وأجملت ولو لم تقل قط ولا تقول فى باقى دهرك غير هذا لما احتجت الى القول وأمر له بخمسة آلاف دينار، فأحضرت، واقتطعه الى نفسه فلم يزل فى جَنْبته أيام ولايته وبعد ذلك الى أن مات ماتصدى لغيره

كان محمد بن وهيب قد مدح على بن هشام وتردد اليه والى بابه دفعات فحجبه، ولقيه يوماً فعرض له فى طريقه وسلم عليه فلم يرفع اليه طرْفه وكان فيه تيه شديد، فكتب اليه رُقعة يعاتبه فيها، فلما وصلت اليه خرقها وقال أى شىء يريد هـذا الثقيل السيىء الأدب ؟ فقيل له ذلك فانصرف مغضباً وقال والله ما أردت ماله وانما أردت التوصل بجاهه وسيغنى الله جل وعز عنه أما والله لأذمن فعله وقال يهجوه

أزرت بجود على خيفةُ العـدم فصد منهزماً عن شأو ذى الهمم
لو كان من فارس فى بيت مكرمة أو كان من ولد الأملاك فى العجم
أو كان أوله أهل البطاح أو الركـــب الملبُّون اهلالاً الى الحرم
أيام تتخذ الأصنام آلهـة فلا ترى عاكفاً إلا على صنم
لشجعته على فعـل الملوك لهم طبائع لم ترُعْهـا خيفة العدم

(١) يعنى أن على الدروع من الغبار ما قد غشيها فصار كالجنة لها

لم تَنْدَ كفاك من بذل النوال كما لم يَنْدَ سيفك مذ قُلِّدته بدم

كنت امرأً رفعته فتنة فعلا أيامها غادراً بالعهد والذمم

حتى اذا انكشفت عنا غياهبها ورُتّب الناس بالأحساب والقدم

مات التخلق وارتدّتك مرتجعاً طبيعة نذلة الأخلاق والشيم

كذاك من كان لا رأساً ولا ذنباً كزّ اليدين حديث العهد بالنعم

هيهات ليس بحمال الديات ولا معطى الجزيل ولا المرهوب ذى النقم

فلما بلغت هذه الأبيات على بن هشام ندم على ما كان منه وجزع وقال لعن الله اللّجاج فانه شر خلق تخلقه الناس ، ثم أقبل على أخيه الخليل بن هشام فقال الله يعلم انى لا أدخل على الخليفة عليّ السيف الا وأنا مستح منه أذكر قول ابن وهيب

لم تند كفاك من بذل النوال كما لم يَنْدَ سيفك مذ قلدته بدم

ومن جيد شعره ونادره

نم فقد وكّلتَ بى الأرقا لاهياً تُغْرِي بمن عشقا

انما أبقيت من جسدى شبحاً غير الذي خَلِقا

كنت كالنقصان فى قمر ما خفى منه الذى اتسقا

وفتًى ناداك من كَثَب أُسعرت أحشاؤه حُرَقا

غرقت فى الدمع مقلته فدعا انسانُها الغرقا

انما عاقبت ناظره اذ أعاد الطرف مسترقا

ما لمن تمت محاسنه أن يعادى طرف من رمقا

لك أن تبدى لنا حسناً ولنا أن نُعمِل الحَدَقا

قدحت كفاك زَنْدَ هوى فى سواد القلب فاحترقا

لما قدم المأمون ولقيه الحسن بن سهل دخلا جميعاً فعارضهما ابن وهيب فقال

اليوم جردت النعماء والمنن فالحمد لله حلّ العقدةَ الزمن

اليوم أظهرت الدنيا محاسنها للناس لما التقى المأمون والحسن

فلما جلسا سأله المأمون عنه ، فقال رجل من حمير شاعر مطبوع اتصل بى متوسلا الى أمير المؤمنين وطلب الوصول اليه مع نظرائه ، فأمر المأمون بايصاله مع الشعراء ، فلما وقف بين يديه وأذن له فى الانشاد أنشده قوله

طللان طال عليهما الأمد دثرا فلا علم ولا نَضَد
لبسا البِلى فكأنما وجدا بعد الأحبة مثل ماوجدوا
إمّا طواك سلو غانية فهواك لا ملَلٌ ولا فنَد
ان كنت صادقة الهوى فردي فى الحب منهلي الذى أرِد
أدمي هرقتِ وأنت آمنة أم ليس لى عقل ولا قَوَد
ان كنت فتّ وخانني سبب فلربما يخطىء مجتهد

حتى انتهى الى قوله فى مدح المأمون

يا خير منتسب لمكرمة فى المجد حتى ينتج العدد
فى كل أنملة لراحته نوْء يَسِحّ وعارض حشد
واذا القنا رَعفت أسنته علقًا وضم كعوبه قِصَد
فكأن ضوء جبينه قمر وكأنه فى صولة أسد
وكأنه روح تدبرنا حركاته وكأننا جسد

فاستحسنها المأمون وأمر بأن تعد أبيات قصيدته ويعطى لكل بيت ألف درهم فعدت فكانت خمسين فأعطاه خمسين ألف درهم

وله فى المأمون والحسن بن سهل خاصة مدائح شريفة نادرة ، من عيونها قوله للمأمون

العذر ان أنصفت متضح وشهيد حبك أدمع سُفُح
فضحت ضميرك عن ودائعه ان الجفون نواطق فُصُح
واذا تكلمت العيون على إعجامها فالسر منفضح

وبما أبيت معانق قمر ... للحسن فيه مخايل نُصُح
نشر الجمال على محاسنه ... بدعاً وأذهب همّه الفرح
يختال فى حلل الشباب به ... مَرَح وداؤك أنه مَرِح
ما زال يُلثمني مَراشفه ... ويُعلّني الأبريق والقدح
حتى استرد الليل خلعته ... ونشا خِلال سواده وَضَح
وبدا الصباح كأن غُرّته ... وجه الخليفة حين يمتدح

يقول فيها

نشرت بك الدنيا محاسنها ... وتزينت بصفاتك المدح
وكأن ما قد غاب عنك له ... بازاء طرفك عارضاً شبح
واذا سلمت فكل حادثة ... جلَل فلا بؤس ولا ترح

قصد محمد بن وهيب المطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعى ، وكان له صديقاً حفياً ، وكان كثير الرفد له والثواب على مدائحه فأنشده قوله فيه

دماء المحبين لا تُعْقَل (١) ... أما فى الهوى حكم يعدل ؟
تعبدنى حوَر الغانيات ... ودان الشباب له الأخضل
ونظرة عين تلافيتها ... غِرارا (٢) كما ينظر الأحول
مقسمّة بين وجه الحبيب ... وطرف الرقيب متى يغفُل
أذم على غربات النوى ... اليك السلو ولا أذهل
وقالوا عزاؤك بعد الفراق ... اذا حُمّ مكروهه أفضل
أقيدى دماً سفكته العيون ... بإيماض كحلاء لا تكحل
فكل منهامك لى مُقْصِد (٣) ... وكل مواقعهـا مقتَل

---

(١) عقل القتيل وداه أى أدى ديته (٢) أى على عجل
(٣) أقصد السهم أصاب فقتل مكانه

سلام على المنزل المستحيل وان ضن بالمنطق المنزل
وعض الضريبة يلقى الخطوب يجد عن الدهر ما ينكُل
تغلغل شرقاً الى مغرب فلما تبدت له الموصل
ثوى حيث لا يستهل الأريب ولا يؤلف اللَّقِن الأحول
لدى مالك قابلته السعود وجانبته الأنجم الأُفَّل
لأيامه سطوات الزمان وانعامه حين لا موئل
سما مالك بك للباهرات وأوحدك المَرْبأ الأطول
وليس بعيداً بأن تحتذي مذاهب آسادها الأشبُل

فوصله وأحسن جائزته وأقام عنده مدة ثم استأذنه فى الانصراف فلم يأذن له وزاد فى ضيافته وجدد له صلة فأقام عنده برهة أخرى ثم دخل اليه فأنشده

ألا هل الى فيء العقيق وظله الى قصر أوس فالحزير معاد ؟
وهل بأكناف المصلَّى فسفحه الى السور مغدًى ناعم ومراد ؟
فلا تُنسني نهرَ الأُبُلَّة نية ولا عرصات المِرْبَدين بعاد
هنالك لا تبني الكواكب خيمة ولا تتهادى كَلْثَم وسعاد
أجِدّىَ لا ألقى النوى مطمئنة ولا يزدهيني مضجع ومهاد

فقال أبيت الا الوطن والنزاع اليه ، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم وأوقر له زورقاً من طُرف الموصل وأذن له

كان يتردد الى مجلس يزيد بن هرون فلزمه عدة مجالس يملى فيها كلها فضائل أبى بكر وعمر وعثمان ولم يذكر شيئاً من فضائل على فقال فيه ابن وهيب

آتى يزيد بن هرون أداجله في كل يوم ومالي وابن هرون
فليت لي بيزيد حين أشهده راحاً وقصفاً وندماناً تسليني
أغدو الى عصبة صمَّت مسامعهم عن الهدى بين زنديق ومأفون

لا يذكرون علياً فى مشاهدهم ولا بنيه بني البيض الميامين
انى لأعلم أنى لا أحبهم كما هم بيقين لا يحبونى
لو يستطيعون من ذكرى أبى حسن وفضله قطعونى بالسكاكين
ولست أترك تفضيلى له أبداً حتى الممات على رغم الملاعين

كان يأتى محمد بن القاسم بن يوسف فقال له يوماً انك تأتينا وقد عرفت مذاهبنا فنحب أن نعرف مذهبك فنوافقك أو نخالفك ، فقال فى غد أبين لك أمري ، فلما كان من غد كتب اليه

أيها السائل قد بينت ان كنت ذكيا
أحمد الله كثيراً بأياديه عليا
شاهداً ألا إله غيره مادمت حيا
وعلى أحمد بالصد ق رسولاً ونبيا
ومنحت الود قربا ه وواليت الوصيا
وأتانى خبر مطَّرح لم يك شيا
أن على غير اجتماع عقدوا الأمر بَدِيًا
فوقفت القوم تيماً وعَدِيًا وأُميَّا
غير شتام ولكنى توليت عليا

شعراء كندة

١ - اسمعيل القراطيسى

هو اسمعيل بن مَعْمَر الكوفي مولى الأشاعثة ، وكان مأ لفاً للشعراء ، فكان أبو نواس وأبو العتاهية ومسلم وطبقتهم يقصدون منزله ويجتمعون عنده ويقصفون

ومن شعره وفيه غناء

وبلى على ساكن شط الصَّراة (١) من وجنتيه شِمْتُ برق الحياة
ما ينقضى من عجب فكرنى في خَصْلَةٍ فَرَّط فيها الولاة
ترك المحبين بلا حاكم لم يقعدوا للعاشقين القضاة
وقد أتانى خبر ساءنى مقالها فى السر واسوءتاه
أمثل هذا يبتغى وصلنا أما يرى ذا وجهه فى المراة

وفى معنى قوله وقد أتانى البيتين قبل

جارية أعجبها حسنها فمثلها فى الناس لم يخلق
خبرتها أنى محب لها فأقبلت تضحك من منطق
والتفتت نحو فتاة لها كالرشأ الوسنان فى قَرَطق
قالت لها قولي لهذا الفتى انظر الى وجهك ثم اعشق

مدح الفضل بن الربيع فحرمه ، فقال

ألا قل للذى لم يَهْدِه الله الى نفع
لئن أخطأتُ فى مدحيك ما أخطأتَ فى منعى
لقد أحللت حاجاتى بواد غير ذي زرع

(١) الصراة نهر ببغداد يأخذ من نهر عيسى ويصب فى دجلة

شعراء مذحج

سليمان بن وهب

هو أخو الحسن بن وهب ، كان أخوه الحسن بن وهب ينتمي الى بني الحرث بن كعب ، استوزره المهتدى ولقبه الوزير حقاً لأن من كان قبله كان غير مستحق للوزارة ولا مستقل بها ، ولما ولاه قام اليه رجل من ذوى حرفته فقال أعز الله الوزير خادمك المؤمل دولتك ، السعيد من أيامك ، المطويّ القلب على ودك ، المنشور اللسان بمدحك ، المرتهن بشكر نعمتك ، وقد قال الشاعر

وفيت كل أديب ودني ثمناً الا المؤمل دولاتي وأيامي
فانني ضامن ألّا أكافئه الا بتسويغه فضلي وانعامي

وانى لكما قال القَيْسِيّ : ما زلت أمتطى النهار اليك ، وأستدل بفضلك عليك ، حتى اذا جنَّنى الليـل فقبض البصر ، ومحا الأثر ، أقام بدنى وسافر أملى ، والاجتهاد واذ بلغتك فهو مرادى فقط ، فقال له سـليمان لا عليك فانى عارف بوسيلتك محتاج الى كفايتك ولست أؤخر عن أمرى النظر فى أمرك وتوليتك ما يحسن أثره عليك

لما استوزر سليمان جلس للناس ، فدخل اليه شاعر يقال له هرون بن محمد البالسى فذكر مظامة له ببلده ، ثم أنشده

زيد فى قدرك العليّ علـوّ يا ابن وهب من كاتب ووزير
أسفر الشرق منك والغرب عن ضو ء من العدل فاق ضوء البدور
أنشر الناسَ غيثُكم بعد ما كا نوا رُفاتاً من قبل يوم النشور

شَرَّدَ الجَوْرَ عدلُكم فسرحنا بينكم بين روضة وسرور

فوقع فى ظلامته ووصله بمائتى دينار

قال احمد بن الخصيب لَعهدي بيزيد بن محمد المهلَّبي عند سليمان بن وهب بعد ما استوزره المهدى وقد أجلسه الى جانبه وهو ينشد قوله

وهبتم لنا يا آل وهب مودة فأبقت لنا جاهاً ومجداً يؤثل

فمن كان للآثام والذل أرضه فأرضكمُ للأجر والعز منزل

رأى الناس فوق المجد مقدار مجدكم فقد سألوكم فوق ما كان يسأل

يقصر عن مسعاكم كل آخر وما فاتكم ممن تقدم أول

بلغت الذى قد كنت أملته لكم وان كنت لم أبلغ بكم ما أؤمل

فقطع عليه سليمان الإنشاد وقال له يا أبا خالد فأنت والله عندى كما قال عمارة ابن عقيل لابنه

أُقهقه مسروراً اذا أُبْتَ سالماً وأبكى من الاشفاق حين تغيب

فقال له يزيد فيسمع مني الوزير آخر الشعر لا أوله ، وتمم فقال

ومالي حق واجب غير أنني بجودكمُ فى حاجتي أتوسل

وأنكمُ أفضلتمُ وبَرَرْتمُ وقد يستتم النعمةَ المتفضل

وأوليتمُ فعلاً جميلاً مقدماً فعودوا فإن العود بالحر أجمل

وكم مُلْحِف قد نال ما رام منكمُ ويمنعنا من مثل ذاك التجمل

وعودتمونا قبل أن نسأل الغنى ولا بذل للمعروف والوجه يبذل

فقال له سليمان لا تبرح والله الا بقضاء حوائجك كائنة ما كانت ، ولو لم أستفد من كتبة أمير المؤمنين الا شكرك لرأيتُ جنابى بذلك مُمْرِعاً وغرسى مثمراً ، ثم وقع له في رقاع كثيرة

قال على بن الحسين الاصبهانى حضرت أبا عبد الله الباقطانى وهو يتقلد ديوان

المشرق وقد تقلد ابن أبي السلاسل ماسندان ومهرجان قُذَق [١] وجاءه يأخذ كتبه، فجعل يوصيه كما يوصى أصحاب الدواوين والعمال، فقال ابن أبي السلاسل كأنك استكثرت هذا العمل أيضاً قد كنت تكتب لأبي العباس بن ثوابة ثم صرت صاحب ديوان، فقال له الباقطاني يا جاهل يا مجنون لولا أنه قبيح عليَّ مكافأة مثلك لراجعت الوزير أيده الله في أمرك حتى أزيل يدك ، ومن لي أن أجد مثل أبي ثوابة في هذا الوقت فأكتب له ولا أريد الرياسة ؟ ثم أقبل علينا يحدثنا فقال دخلت مع أبي العباس بن ثوابة الى المهتدى وكان سليمان بن وهب وزيره ، وكان يدخل اليه الوزير وأصحاب الدواوين والعمال والكتاب فيعملون بحضرته فيوقع اليهم في الأعمال ، فأمر سليمان أن يكتب عنه عشرة كتب مختلفة الى جماعة من العمال ، فأخذ سليمان بيد أبي العباس بن ثوابة ثم قال له أنت اليوم أحدّ ذهناً مني فهلم نتعاون ، فدخلا بيتاً ودخلت معهما وأخذ سليمان خمسة أنصاف وأبو العباس خمسة أنصاف أخر ، فكتبا الكتب التي أمر بها سليمان وما احتاجا الى نسخة وقد أكمل كل واحد منهما ما كتب به صاحبه فاستحسنه وقرظه ، ثم وضع سليمان الكتب بين يدى المهتدى فقال له وقد قرأها أحسنت ياسليمان ونعم الرجل أنت لولا المعجل والمؤجل ، وكان سليمان اذا ولي عاملاً أخذ منه مالاً معجلاً وأجل له مالاً الي أن يتسلم عمله ، فقال له ياأمير المؤمنين هذا قول لا يخلو من أن يكون حقاً أو باطلاً ، فان كان باطلاً فليس مثلك من يقوله ، وان كان حقاً وقد علمت أن الاصول محفوظة فما يضر من يساهمني من عمالي على بعض ما يصل اليهم من بر من غير تحيف للرعية ولا نقص للأموال ؟ فقال اذا كان هكذا فلا بأس ، ثم قال له اكتب الى فلان العامل بقبض ضيعة فلان المصروف المعتقل في يده وبباقي ماعليه من المصادرة ، فقال له أبو العباس بن ثوابة كلنا يا أمير المؤمنين خدمك وأولياؤك وكلنا حاطب

---

(١) كورة حسنة واسعة ذات مدن وقرى قرب الصيمرة من نواحي الجبال عن يمين القاصد من حلوان العراق الى همذان في تلك الجبال

فى حبلك وساع فيما أرضاك وأيد ملكك، أفنمضى ما تأمر به على ماخيلت أم نقول الحق ؟ قال بل قل الحق يا أحمد ، فقال يا أمير المؤمنين الملك يقين والمصادرة شك، أفترى أن أزيل اليقين بالشك ؟ قال لا ، قال فقد شهدت للرجل بالملك وصادرته عن شك فيما بينك وبينه وهل خانك أم لا ؟ فتجعل المصادرة صلحاً ، فاذا قبضت ضيعته بهذا فقد أزلت اليقين بالشك ، فقال له صدقت ، ولكن كيف الوصول الى المال ؟ فقال له أنت لابد لك من عمال على أعمالك وكلهم يرتزق ويرتفق فيحوز رزقه ورفقه الى منزله فاجعله أحد عمالك ليصرف أحد هذين الوجهين الي ماعليه ويسعفه معاملوه فيتخلص بنفسه وضيعته ويعود اليك مالك ، فأمر سليمان بن وهب بأن يفعل ذلك ، فلما خرجا عن حضرة المهتدى قال له سليمان عهدى بهذا الرجل عدوك وكل واحد منكما يسعى على صاحبه فكيف زال ذلك حتي نبت عنه فى هذا الوقت نيابة أحييته بها وتخلصت نفسه ونعمته ؟ فقال انما كنت أعاديه وأسعى عليه وهو يقدر على الانتصاف منى فأما وهو فقير اليَّ فهذا مما يَحظُره الدين والصناعة والمروءة ، فقال له سليمان جزاك الله خيراً ، أما والله لأشكرن هذه النية لك ولأعتقدنك من أجلها أخاً وصديقاً ولأجعلن هذا الرجل لك عبداً مابقى ، ثم قال الباقطانى فمن كان هذا وزنه وفعله يعاب من يكتب له ؟

ومن قوله وقد نكبه الواثق وفيه غناء

نوائب الدهر أدبتني　　وانما يوعظ الأديب
قد ذقت حلواً وذقت مراً　　كذاك عيش الفتى ضروب
ما مرَّ بؤس ولا نعيم　　إلا ولي فيهما نصيب

كتب اليه على بن يحيي فى جفوة نالته منه

جفانى أبو أيوب نفسى فداؤه　　فعاتبته كيما يريغ ويُعتبا
فوالله لولا الظن مني بوده　　لكان سهيل من عتابيه أقربا

فكتب اليه سليمان

ذكرت جفائى وهو من غير شيمتى ‏ وانى لدان من بعيد تقربا
فكيف بخلٍّ لي أضن بوده ‏ وأصفيه وداً ظاهراً ومغيبا
على بن يحيى لاعدمت اخاءه ‏ فما زال فى كل الخصال مهذبا
ولكن أشغالاً غدت وتواترت ‏ فلما رأيت الشغل عاق وأتعبا
ركنت الى عذر الأخلاء انهم ‏ كرام وان كان التواصل أوجبا
فان يَطّلب منى عتابك أوبة ‏ ببر تجــدنى بالأمانة مُعتِبا

جاءته رقعة من بعض أصحابه وفيها

هبنى رضيت منك بالقليل ‏ أكان فى التأويل والتنزيل
أو خــبر جاء عن الرسول ‏ أو حجة فى فِطر العقول
مستحسن من رجل جليل ‏ عال له حظ من الجميل
ينقص ما أشاع بالتطويل ‏ والقول دون الفعل بالتحصيل
ليس كذا وصف الفتى النبيل

فكتب له بولاية ناحية وأنفذ اليه مائتي دينار وكتب فى رقعة

ليس الى الباطل من سبيل ‏ الا لمن يعدل عن تعديل
وقد وفينا لك بالتحصيل ‏ فاطو الذى كان عن الخليل
فضلاً عن الخليط والنزيل ‏ وعد من القول الى الجميل
وعِفَّ في الكثير والقليل ‏ تحظ من الرتبة بالجزيل

أهدى الى سليمان بن عبد الله بن طاهر سلال رطب من ضيعته وكتب اليه يقول

اذن الأمير بفضـــله ‏ وبجوده وبنبـــــله
لوليــــــه في بره ‏ بجنـــاه سكر نخـــله
فبعثت منـــه بسلة ‏ تحـكي حلاوة عدله

كتب سليمان بقلم صلب فاعتمد عليه اعتماداً شديداً فصر القلم في يده فقال

اذا ما حدونا وانتضينا قواطعاً ... أصمَّ الذكيَّ السمع منها صريرها
تظَل المنايا والعطايا شوارعاً ... تدور بما شئنا وتمضى أمورها
تساقط في القرطاس منها بدائع ... كمثل اللآلي نظمها ونثيرها
تقود أبيَّات البيان بفطنة ... يكشف عن وجه البلاغة نورها

ومن قوله يرثى أخاه الحسن

مضى مذ مضى عز الليالي وأصبحت ... لآلي الحجي والقول ليس لها نظم
وأضحى نجيَّ الفكر بعد فراقه ... اذا هم بالافصاح منطقه كظم

ومن قوله وفيه غناء

أمين الخالق البارى ... وراعى كل مخلوق
أدر راحك فى المعشو ... ق من راحة معشوق

لما قبض الموفق علي سليمان بن وهب وابنه عبد الله تذاكر جماعة أنه انما استكتبهما ليقف منهما على ذخائر موسى بن بُغا وودائعه فلما استقصى ذلك نكبهما لكثرة مالها فقال ابن الرومى وكان حاضراً

ألم تر أن المال يُتلف ربه ... اذا جُمَّ آتيه وسد طريقه
ومن جاور الماء الغزير مجمَّه ... وسد مغيض الماء فهو غريقه

ومات سليمان فى محبسه وهو مطالب

شعراء أنمار

محمد بن بشير

هو محمد بن بشير الرِّياشى يقال أنه مولى لهم ويقال أنه منهم صلبية وبنو رياش يذكرون أنهم من خثعم

شاعر ظريف من شعراء المحدَثين متقلل لم يفارق البصرة ولا وفد الى خليفة ولا شريف منتجعاً ولا تجاوز بلده وصحبة طبقته وكان ماجناً هجاء خبيثاً

من قوله يصف بستاناً له

لي بستان أنيق زاهر ناضر الخضرة ريّان يَرِف (١)
راسخ الأعراق ريّان الثرى غَدِق (٢) تربته ليست تَجِف
لمجارى الماء فيه سنن كيفما صرَّفته فيه انصرف
مشرق الأنوار ميّاد الندى منثن فى كل ريح منعطف
تملك الريح عليه أمره فاذا لم يؤنس الريح وقف
يكتسى فى الشرق ثوبى يُمْنة ومع الليل عليها يلتحف
ينطوى الليل عليه فاذا واجه الشرق تجلى وانكشف
صابر ليس يبالي كثرة جُزَّ بالمنجل أو منه نتف
كلما ألحق منه جانب لم يتلبث منه تعجيل الخلف
لا ترى للكف فيه أثراً فيه بل ينمى على مسّ الأكف
فترى الأطباق لا تمهله صادرات واردات تختلف

(١) رف النبات اهتز واضطربت أغصانه (٢) عشب غدق مبتل ريان

فيه للخارف من جيرانه　　كلما احتاج اليه مخترَف
أُقْحوان وبَهـار مونق　　وسوى ذلك من كل الطُرَف
وهو فى الأيدى يحيَّوْن به　　وعلى الآ ناف طوراً يستشف

طلب محمد بن بشير من ابن أبي عمر المدينى فراخاً من الحمام الهندي فوعده أن يأخذها له من المثنى ابن زهير ، ثم نور عليه أي أعطاه فراخاً غير منسوبة دلسها عليه وأخذ المنسوبة لنفسه فقال ابن بشير

يارب ربُّ الرائحين عشية　　بالقوم بين منًى و بين ثَبير
والواقفـين على الجبال عشية　　والشمس جانحة الى التغوير[(1)]
حتى اذا طفَلَ[(2)] العشيّ ووجهت　　شمس النهار وآذنت بغؤور
رحلوا الي جيف نواحلَ ضمها　　طول السِّفار و بعد كل مسير
ابعث على طير المدينى الذى　　قال المحال وجاءنى بغرور
ابعث على عجل اليها بعـد ما　　يأخذن زينتهن فى التحسير[(3)]
فى كل ماصفوا المراحل وابتدَوا　　فى المبتدين بهن والتكسير
ومَضَيْنَ عن دور الحُرَيبة[(4)] زُلْفة　　دون القصور وحمرة الماخور
مع كل ريح يعتري بهبوبهـا　　فى الجو بين شواهن وصقور
من كل أكلَفَ[(5)] بات يَنْجُن ليله　　فغدا بعـدوة ساغب ممطور
ضَرِمٍ[(6)] يقلب طرفه متناسياً　　شيئاً فـكان له من التقدير
يأتى بهن مُيامناً ومياسراً　　صكا بكل مزلق ممكور[(7)]

---

(١) غورت الشمس غربت　(٢) طفلت الشمس دنت للغروب وغارت الشمس غؤوراً غربت　(٣) الحسرت الطير خرجت من الريش العتيق الى الحديث وحسرها أبان ذلك ثقلها لانه فعل فى مهلة　(٤) الحريبة موضع بالبصرة (٥) الاكلف مالونه الكلفة وهى حمرة كدرة تعلو الوجه　(٦) الضرم الجائع　(٧) المكور الأسـد المتلطخ بدماء الفرائس كأنه صبغ بالمكر وهو المغرة بفتحتين

من طائر متحير عن قصده ... أو ساقط خلِج الجناح كسير
لم ينج منه شريدهن فان نجا ... شيئاً فصار بجانبات الدور
لمشمِّرين عن السواعد حُسَّراً ... عنها بكل رشيقة التوتير [1]
سُدٌ[2] الأكف الى المقاتل صُيَّب ... سُحْت الجيوف بجؤجؤ ونحور
ليس الذى تُخطِى يداه رَميَّة ... منهم بمعـدود ولا معذور
يتسرعون وتمتطى أيديهـم ... في كل طائفة الجدار بتُور
عُطَف السِّيات[3] دوائر في عِطفها ... تُعزَى صناعتها الى عصفور
ينفين عن حُدْب الأكف نواقبا ... متشابهـات القِدّ والتدوير
تجرى بهـا مهج النفوس وانها ... لنواضل سُلَّت من التحبير
ما ان تقصِّر عن مدًى متباعد ... فى الجو تحسر طرف كل بصير
حتى تراه مُزَمَّلاً بدمائه ... فـكأنه متضمخ بعبـير
فيظلَ يومهمُ بعيش ناصب ... نصب المراجل معجل التنوير
ويؤوب ناجيهن بين مُضَرَّج ... بدم ومخـلوب الي ميسور
عارى الجَناح من القوادم والقرا ... كاسٍ عليه مائر[4] التامور
فيؤوده متيقن فى مشيه ... خُطُفٌ[5] المؤخر مشبَع التصدير
ذو حُلْكة مثل الدُّجى أو غُبْشة ... شغَب شديد الجد والتيسير
فيمر منها في البرارى والقُرى ... من كل أعبَل كالسنّان هصور
فى حين تُؤْذيها المبايت موْهِناً ... أو بعـد ذلك آخر التحسير
يختص كل سليل سابق غاية ... مَحْض النِّجار مجرَّب مخبور

---

(١) وتر القوس شد وترها (٢) سد جمع الأسد وهو المصيب والجؤجؤ الصدر
(٣) سية القوس طرف قابها وقيل رأسها وقيل ما اعوج من رأسها (٤) مار الدم على وجه الأرض انصب فتردد عرضاً والتامور القلب (٥) الخطف الضمر

عجل عليه بما دعوت له به　　أرهِ بذاك عقوبة التنوير
حتى يقول جميع من هوشامت　　هذى اجابة دعوة ابن بشير
فلأُلفينك عند حالَيْ حسرة　　وتأسف وتلهف وزفير
ولتُلفيَنَ اذا رمتك بسهمها　　أيدى المصائب منك غير صبور

وأنشد لنفسه فى مجلس أبى محمد الزاهد صاحب الفضيل بن عياض

ويل لمن لم يرحم الله　　ومن تكون النار مثواه
واغفلتا فى كل يوم مضى　　يذكرنى الموت وأنساه
من طال فى الدنيا به عمره　　وعاش فالموت قُصاراه
كأنه قد قيل في مجلس　　قد كنت آتيه وأغشاه
محمد صار الى ربه　　يرحمنا الله وإياه

ومن قوله

ماذا يكلفك الرَّوْحاتِ والدُّلَجا　　البَرَّ طوراً وطوراً تركب اللُّججا
كم من فتى قَصُرت فى الرزق خطوته　　ألفيته بسهام الرزق قد فُلِجا
لا تيأسن وان طالت مطالبة　　اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
ان الأمور اذا انسدت مسالكها　　فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا
أخلِقْ بذى الصبر أن يحظَى بحاجته　　ومُدمن القرع للأبواب أن يلجا
فاطلب لرجلك قبل الخطو موضعها　　فمن علا زَلَقاً عن غرّة زلجا
ولا يغرنك صفو أنت شاربه　　فربما كان بالتكدير ممتزجا
لا يُنْتَجَ الناس إلا من لقاحهم　　يبدو لقاح الفتى يوماً اذا نُتِجا

ومن شعره وقد رأى قوماً من أهل الجدل يتصايحون فى المقالات والحجج

يا سائلى عن مقالة الشيع　　وعن صنوف الأهواء والبدع
دع عنك ذكر الأهواء ناحية　　فليس ممن شهدتَ ذو ورع

كل أناس بَدِيُّهم حسن   ثم يصيرون بعد للسُّمَع
أكثر ما فيه أن يقال لهم   لم يك فى قوله بمنقطع

هوى قينة فكتبت اليه زوجته تعاتبه فكتب اليها

لا تذكرى لوعة إثرى ولا جزعا   ولا تقاسين بعدى الهم والهلعا
بل ائتسي تجدى ان ائتسيت أُسَى   بمثل ما قد فجعت اليوم قد فجعا
ما تصنعين بعين عنك قد طمحت   الي سواك وقلب عنك قد نزعا
ان قلت قد كنت فى خفض وتكرمة   فقد صدقت ولكن ذاك قد نزعا
وأى شيء من الدنيا سمعت به   الا اذا صار في غاياته انقطعا
ومن يطيق خليعاً عند صبوته   أم من يقوم لمستور اذا خلعا

وكان له صديق يقال له داود وكان اذا انصرف من مجلس أخذه معه فيمشى قدامه فان كان فى الطريق طين أو بئر أو أذى لقى داود شره وحذره ابن بشير، فمات داود، وانصرف ابن بشير ليلة وهوسكران فعثر بدكان وتلوث بطين ودخل فى رجله عظم ولقى عنتاً فقال يرثى ابن داود

أقول والأرض قد غشَّى وجللها   ثوب الدجى فهوفوق الأرض ممدود
وسد كل فروج الجو منطبقاً   وكل فرج به فى الجو مسدود
وفى الوداع وفى الأبداء[1] لي عنت   دون المسير وباب الدار مسدود
من لي بداود فى ذى الحال يرشدنى   من لي بداود؟ لهفى، أين داود؟
لهفى على رجله ألاَّ أقدمها   قدام رجلى فتلقاها الجلاميد
اذ لا أزال اذا أقبلت ينكبني   حرف وجرف ودكان واخدود
فان تكن شوكة كانت تحل به   أو نكبة فى سواد الليل أوعود

(١) البدء والبدىء البئر التى حفرت فى الاسلام حديثة وليست بعادية

هجمت شاة منبع البقال على دار ابن بشير وهو غائب ، وكانت له قراطيس فيها أشعار وآداب مجموعة ، فأكلتها كلها ، فقال فى ذلك

قل لبُغاة الآداب ما صنعت   منها اليكم فلا تضيعوها
وضمنوها صحف الدفاتر بالحبـــر وحسن الخطوط أوعوها
فان عجزتم ولم يكن عَلَف   يسيغها عندكم فبيعوها

قال القاسم بن حسن كنا فى مجلس ومعنا محمد بن بشير وعمرو القصافي وعندنا مغنية حسنة الوجه شهلة [1] تغني غناء حسناً ، فكنا معها فى أحسن يوم ، وكان القصافي يَعين [2] فى كل شىء يستحسنه ويحبه ، فما برحنا المجلس حتى عانها ، فانصرفت محمومة شاكية العين ، فقال ابن بشير

ان عمراً جنى بعينيه ذنباً   قل مني عليه فيه الدعاء
عان عيناً ، فعينه للتى عا   ن فدى ، وقل منه الفداء
شرّ عين تعين أحسنَ عين   تحمل الأرض أو تقُلّ السماء

استعار ابن بشير من بعض الهاشميين من جيرانه حماراً كان له ليمضى عليه فى حاجة أرادها ، فمنعه ، فمضى اليها ماشياً وكتب الى عمرو القصافى وكان جاراً للهاشمى وصديقاً يشكوه اليه ويخبره بخبره

ان كنتُ لا عَيْرَ لي يوماً يبلغني   حاجي وأقضي عليه حق اخوانى
وضن أهل العواري حين أسألهم   من أهل ودى وخُلْصانى وجيرانى
فان رجليَّ عندي لا عدمتهما   رجلا أخى ثقة مذ كان جولان
يبلغاني حاجاتي وان بعدت   ويدنيانيَ مما ليس بالدانى
كأن خلفى اذا ما جدَّ جدّهما   إعصارَ عاصفة مما يثيران

---

(١) الشهلة أن يشوب سواد العين زرقة وقيل أقل من الزرق في الحدقة وأحسن منه
(٢) عان أصاب بالعين

رِجلاىَ لم يألما نَكْباً كأنهما قَطًّا وقدًّا وادماجاً مدَاكان (١)
ان يبعثا فى دَهاس (٢) يبعثا رَهجاً أو فى حزون ذكا فيها شهابان
فالحمد لله يا عمرو الذى بهما عن العوارى وعن ذا الناس أغنانى

قال محمد بن سعد كنا فى حلقة التَّوَّزى فلما تقوضت أنشدنا محمد بن بشير لنفسه

جهد المقلّ اذا أعطاه مصطبر أو مكثر من غنىً سيَّان فى الجود
لا يَعْدَم السائلون الخير أفعله اما نوال واما حسن مردود

فقلنا له ما هذا التكارم وقمنا الى بيته فأكلنا من جِلَّة تمر كانت عنده أكثرها وحملنا بقيتها ، فكتب الى والي البصرة عمرو بن حفص

يا أبا حفص بحرمتنا أعِدْ نفساً حين تُنْتَهَك
خذ لنا ثاراً بجِلَّتنا فبك الأوتار تُدَّرك
زارنا زَور فلا سلموا وأصيبوا أيَّة سلكوا
أكلوا حتى اذا شبعوا أخذوا الفضل الذى تركوا

فبعث الينا فأحضرنا فأغرمنا مائة درهم وأخذ من كل واحد منا جِلَّة تمر ودفع ذلك اليه

حدث القاسم بن الحسن قال خرجنا مع بعض ولد النُّوشَجانى الى قصر له فى بستانهم بالجعفرية ومعنا محمد بن بشير ، وكان ذلك القصر من القصور الموصوفة بالحسن ، فاذا هو قد خرب واختل ، فقال فيه ابن بشير

ألا يا قصر قصر النُّوشَجانى أرى بك بعد أهلك ما شجانى
فلو أُعفِى البلاء ديارُ قوم لفضلٍ منهمُ ولعُظْم شان
لما كانت ترى بك بينات تلوح عليك آثار الزمان

(١) المداك حجر يسحق عليه الطيب (٢) الدهاس مكان لين سهل لا يبلغ أن يكون رملا وليس بتراب ولا طين والرهج الغبار أو ما أثير منه

كان محمد بن بشير صديقاً لدُواد بن احمد بن أبي دواد كثير الغشـيان له ، ففقده أهله أياماً وطلبوه فلم يجـدوه ، وكان مع أصحاب له قد خرجوا يتنزهون ، فجاؤا الى دواد بن احمد يسألونه عنه ، فقال لهم اطلبوه فى منزل حُسن المغنية ، فان وجدتموه والا فهو في حبس أبي شجاع صاحب شرطة خُمار التركى ، فلما كان بعد أيام جاءه ابن بشير فقال له إيه أيها القاضى كيف دللت عليَّ أهلي ؟ قال كما بلغك ، قال وقد قلت فى ذلك أبياتاً ، قال أوَ فعلت ذلك أيضاً ؟ زدني من برك هات إيش قلت ؟ فأنشده

ومرسـلةٍ توجه كل يوْم   إليَّ وما دعا للصبح داع
تسائلني وقد فقدوه حتى   أرادوا بعده قسم المتاع
اذا لم تلقه فى بيت حسن   مقيماً للشراب وللسماع
ولم يُرَ فى طريق بني سدوس   يخط الأرض منه بالكُراع
يدق حزونها بالوجه طوراً   وطوراً باليـدين وبالذراع
فقد أعياك مطلبه وأمسى   فلا تغلط حَبيسَ أبي شجاع

فجعل ابن بشير يضحك ويقول أيها القاضي لو غيرك يقول لي هـذا لعرف خبره ، ثم لم يبرح حتى أعطاه دواد مائتي درهم وخلع عليه خلعة من ثيابه

كان ابن بشير يصف نفسـه بالذكاء والحفظ والاستغناء عن تدوين شيء يسمعه ، من ذلك قوله

اذا ما غـدا الطلاب للعلم مالهم   من الحظ الا ما يدوَّن فى الكتب
غدوت بتشمير وجد عليهمُ   فمحبرتى أُذْنى ودفترها قلبى

كان ابراهيم بن رَباح اذا حزَّ به الأمر يقطعه بمثل قول محمد بن بشير

تخطى النفوس مع العِيا   ن وقد تصيب مع المظنة

كم من مضيق فى الفضا ء ومَخْرَج بين الأسِنَّة

كان يعاشر ولد جعفر بن سليمان فأخذ منه قُثَم بن جعفر ألواح آبنوس كان يكتب فيها بالليل ، فقال في ذلك

أبقت الألواح اذ أخذت حرقة في القلب تضطرم
زانها فصان من صَدَف واحمرار السير والقلم
وتولى أخــذها قُثَم لا تولى نفعها قثم

كان يعاشر بعض الهاشميين ، ثم جفاه الهاشمى لملال كان فيه ، فكتب اليه ابن بشير

قد كنت منقبضاً وأنت بسطتني حتى انبسطت اليك ثم قبضتني
أذ كرتني خلق النفاق وكان لي خلقاً فقد أحسنت اذ أذ كرتني
لو دام ودك وانبسطتُ الى امرىء فى الود بعدك كنتَ أنت غررتني
فهلمَّ نجتذب التــذا كر بيننا ونعود بعدُ كأننا لم نفطن

قال عبد الله بن محمد بن بشير كان أبي مشغوفاً بالنبيذ مشتهراً بالشراب وما بات قط الا وهو سكران وما نبذ قط نبيذاً وانما كان يشربه عند اخوانه ويستسقيه منهم ، فأصبحنا بالبصرة يوماً على مطر هادىء ولم تمكنه معه الحركة الى قريب من اخوانه ولا بعيد ، وكان يجن اذا فقد النبيذ ، فكتب الى والي البصرة محمد بن أيوب بن جعفر بن سليمان

كم فى عِلاج نبيذ التمر لي تعب الطبخ والدلك والمعصار والعَكَر
وان عدلت الى المطبوخ معتمداً رأيتنى منه عند الناس أشتهر
نقل الدِّنان الى الجيران يفضحني والقِدْر يتركني فى القوم أعتذر
فصرت فى البيت أستسق وأطلبه من الصــديق ورسلي فيه تبتدر

فمنهمُ باذل سَمْح بحاجتنـا ومنهمُ كاذب بالزور يعتـذر
فسقِّني رِيّ أيام لتمتعـني من الدَّساتيج لا يُزْرِي بها السفر
وان تكن حاجتى ليست بحاضرة وليس فى البيت من آثارها أثر
فاستنسق غيرك أوفاذ كرله خبرى ان اعتراك حياء منك أوحصر
ما كان من ذلكم فَلْيأتني عجلاً فاننى واقف بالباب أنتظر
لا لي نبيذ ولا حر فيـدعونى وقد حماني من تطفيلي المطر

فضحك لما قرأها وبعث اليه بزق نبيذ ومائتى درهم ، وكتب اليه اشرب النبيذ وأنفق الدراهم الى أن يُمسك المطر ويتسع لك التطفيل ومتى أعوزك مكان فاجعلني فَيْئَة لك والسلام

شعراء طيء

أبو تمام

هو حبيب بن أوس الطائى ، مولده ومنشؤه مَنْبِج بقرية منها يقال لها جاسم شاعر مطبوع لطيف الفطنة دقيق المعانى غواص على ما يستصعب منها ويعسر متناوله على غيره ، وله مذهب فى المطابق هو كالسابق اليه جميع الشعراء وان كانوا قد فتحوه قبله وقالوا القليل منه فان له فضل الإكثار فيه والسلوك فى جميع طرقه ، والسليم من شعره النادر لايتعلق به أحد ، وله أشياء متوسطة ورديئة رذلة جداً ، وفى عصرناهذا من يتعصب له فيفرط حتى يفضله على كل سالف وخالف ، وأقوام يتعمدون الردىء من شعره فينشرونه ويطوون محاسنه ويستعملون القِحة والمكابرة فى ذلك ليقول الجاهل بهم انهم لم يبلغوا علم هذا وتمييزه الا بأدب فاضل وعلم ثاقب ، وهذا ما يتكسب به كثير من أهل هذا الدهر ويجعلونه وما جرى مجراه من ثلب الناس وطلب معايبهم سبباً للترفع وطلباً للرياسة، وليست إساءة من أساء في القليل وأحسن فى الكثير مسقطة احسانه ، ولو كثرت إساءته أيضاً ثم أحسن لم يقل له عند الاحسان أسأت ولا عند الصواب أخطأت ، والتوسط في كل شىء أجمل والحق أحق أن يتبع ، وقد روى عن بعض الشعراء أن أبا تمام أنشده قصيدة له أحسن في جميعها الا فى بيت واحد ، فقال له يا أبا تمام لو ألقيت هذا البيت ما كان فى قصيدتك عيب ، فقال له أنا والله أعلم منه مثل ما تعلم ولكن مثل شعر الرجل عنده مثل أولاده فيهم الجميل والقبيح والرشيد والساقط وكلهم حلو فى نفسه فهو وان أحب الفاضل لم يبغض الناقص وان هَوِيَ بقاء المتقدم لم يَهْوَ موت المتأخر ، واعتذاره بهذا ضد ما وصف به نفسه فى مدحه الواثق حيث يقول

جاءتك من نظم اللسان قلادة سِمطان فيها اللؤلؤ المكنون
حُذِيت حذاء الحَضرمية أرهفت وأجابها التخصير والتاسين
انسية وحشية كثرت بها حركات أهل الأرض وهى سكون
ينبوعها خَضِل وحَلْىُ قريضها حلى الهدى ونسيجها موضون
أما المعانى فهى أبكار اذا نُصَّت ولكن القوافى عُون
أحذا كها صَنَعُ الضمير يمده جفر اذا نَضَبَ الكلام معين
ويسىء بالاحسان ظناً لا كمن هو بابنه أو شعره مفتون

فلو كان يسىء بالاحسان ظناً ولا يفتتن بشعره كنا فى غنى عن الاعتذار له، وقد فضل أبا تمام من الرؤساء والكبراء والشعراء من لا يشق الطاعنون عليه غباره ولا يدركون وان جدوا آثاره ، وما رأى الناس بعده الى حيث انتهوا له فى جده نظيراً ولا شكلاً ، ولولا أن الرواة قد أكثروا فى الاحتجاج له وعليه وأكثر متعصبوه الشرح لجيد شعره ، وأفرط معادوه فى التسطير برديئه والتنبيه على رذله ودنيئه لذكرت منه طرفاً ولكن قد أتى من ذلك ما لا مزيد عليه

أخبرنى عمى قال حدثني أبى قال سمعت محمد بن عبد الملك الزيات يقول أشعر الناس طراً الذى يقول

وما أبالي وخير القول أصدقه حقنت لي ماء وجهي أوحقنت دمى

فأحببت أن أستثبت ابراهيم بن العباس وكان في نفسى أعلم من محمد وآدب فجلست اليه وكنت أجرى عنده مجرى الولد فقلت له من أشعر أهل زماننا هذا ؟ فقال الذى يقول

مطر أبوك أبو أهلّة وائل ملأ البسيطة عدة وعديدا
نسب كأن عليه من شمس الضحى نوراً ومن فلق الصباح عمودا
ورثوا الأبوة فالحظوظ وأصبحوا جمعوا جدوداً فى العلا وجدودا

فاتفقا على أن أبا تمام أشعر أهل زمانه

قدم عمارة بن عقيل بغداد ، فاجتمع الناس اليه فكتبوا شعره وشعر أبيه وعرضوا عليه الأشعار ، فقال بعضهم ههنا شاعر يزعم أنه أشعر الناس طراً ويزعم غيرهم ضد ذلك ، فقال أنشدونى قوله ، فأنشدوه

غدت تستجير الدمع خوف نوى غد ... وعاد قتادا عندها كل مَرْقد
وأنقذها من غمرة الموت أنه ... صدود فراق لا صدود تعمد
فأجرى لها الاشفاق دمعاً مورداً ... من الدم يجرى فوق خد مورد
هى البدر يغنيها تورد وجهها ... الى كل من لاقت وان لم تودد

ثم قطع المنشد ، فقال له عمارة زدنا من هذا ، فوصل نشيده وقال

ولكننى لم أحو وفراً مجمعاً ... ففزت به الا بشمل مبدد
ولم تعطنى الأيام نوماً مسكناً ... ألذُّ به الا بنوم مشرَّد

فقال عمارة لله دَرّه لقد تقدم فى هذا المعنى من سبقه اليه على كثرة القول فيه حتى لقد حبب الاغتراب هيه ، فأنشده

وطول مُقام المرء فى الحىّ مُخْلِقٌ ... لديباجتيه فاغترب تتجدد
فانى رأيت الشمس زيدت محبة ... الى الناس أن ليست عليهم بسَرْمد

فقال عمارة كمل والله لئن كان الشعر بجودة اللفظ وحسن المعانى واطراد المراد واتساقه الكلام فان صاحبكم هذا أشعر الناس

وكان على بن الجهم يصف أبا تمام ويفضله ، فقال رجل والله لو كان أبو تمام أخاك ما زدت على مدحك هذا ، فقال ان لم يكن أخاً بالنسب فانه أخ بالأدب والمودة أما سمعت ما خاطبني به حيث يقول

ان يُكْدِ مطّرف الأخاء فاننا ... نغدو ونسرى فى إخاء تالد
أو يختلف ماء الوصال فماؤنا ... عذْب تحدر من غمام واحد

أو يفترق نسب يؤلفْ بيننا أدب أقمناه مقام الوالد

جرى ذكر أبي تمام فى حلقة دعبل فقال كان يتبع معانيَّ فيأخذها ، فقال له رجل فى مجلسه وأي شيء من ذلك أعزَّك الله ؟ قال قولي

وان امرأً أسدى إليَّ بشافع اليه ويرجو الشكر منى لأحمق
شفيعك فاشكر فى الحوائج انه يصونك عن مكروهها وهو يخلق

فقال الرجل فكيف قال أبو تمام ؟ فقال قال

فلقيت بين يديه حلو عطائه ولقيت بين يديَّ مُرَّ سؤاله
واذا امرؤٌ أسدى اليك صنيعة من جاهه فكأنها من ماله

فقال الرجل أحسن والله لئن كان أخذه منك لقد أجاد فصار أولي به منك وان كنت أخذته منه فما بلغت مبلغه ، فغضب دعبل وانصرف

وكان محمد بن حازم الباهلى يقدم أبا تمام و يفضله و يقول لولم يقل الا مرثيته التى أولها

أصمَّ بك الناعى وان كان أسمعا وأصبح مَغْنَى الجود بعدك بلقعا

وقوله

لو يقدرون مشوْا على وَجَنَاتهم وجباههم فضلاً عن الأقدام

لكفاه ، وقال عبيدالله بن عبد الله بن طاهر كان عمارة بن عقيل عندنا يوْماً فسمع مؤدباً كان لولد أخى يروِّيهم قصيدة أبي تمام

الحق أبلج والسيوف عَوار فحذار من أسد العرين حَذار

فلما بلغ الى قوله

سود اللباس كأنما نسجت لهم أيدى السَّموم مَدارعاً من قار
بكروا وأسْرَوْا فى بطون ضوامر قِيدت لهم من مربط النجار
لا يبرحون ومن رآهم خالهم أبداً على سفر من الأسفار

فقال عمارة لله دَرُّه ما يعتمد معنى الا أصاب أحسنه كأنه موقوف عليه

قال ابراهيم بن العباس ما اتكلت فى مكاتبتى قط الا على ماجاش به صدرى الا أنى قد استحسنت قول أبى تمام

اذا مارقٌ بالغدر حاول غَدْرة	فذاك حَرِىٌ أن تئيم حلائله
فان باشر الإصحارَ فالبيض والقنا	قِراه وأحواض المنايا مناهله
وان يبن حيطاناً عليه فانما	أولئك عُقَّالاته لا معاقله
والا فأعلمه بأنك ساخط	ودعه فان الخوف لا شك قاتله

فأخذت هذا المعنى فى بعض رسائلى فقلت ما كان يُحرزهم يُبْرِزهم وما كان يعقلهم يعتقلهم ، ثم قال ان أبا تمام اخترِم وما استمتع بخاطره ولا نزح دَكِيّ فكره حتى انقطع رِشاء عمره

قال محمد بن جابر الأزدى ، وكان يتعصب لأبى تمام ، أنشدت دعبل بن على شعراً لأبى تمام ولم أعلمه أنه له ، ثم قلت له كيف تراه ؟ قال أحسنُ من عافية بعد يأس ، فقلت انه لأبى تمام ، فقال لعله سرقه

وقال يزيد المهلبي ما كان أحد من الشعراء يقدر أن يأخذ درهماً بالشعر فى حياة أبى تمام فلما مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه

لما قدم أبو تمام خُراسان اجتمع الشعراء اليه وسألوه أن ينشدهم فقال قد وعدنى الأمير أن أنشده غداً وستسمعوني ، فلما دخل على عبد الله أنشده

هن عوادي يوسف وصواحبه	فعزْماً فقِدْماً أدرك السؤلَ طالبه

فلما بلغ الى قوله

وقلقل نابى من خُراسان جأشُها	فقلت اطمئني أنضرُ الروض عازبه
وركبٍ كأطراف الأسنة عرَّسوا	على مثلها والليل تسطو غياهبه
لأمرٍ عليهم أن تتم صدوره	وليس عليهم أن تتم عواقبه

فصاح الشعراء بالأمير أبي العباس ما يستحق هذا الشعر غير الأمير حفظه الله ، وقال شاعر منهم يعرف بالرياحى لى عند الأمير أعزه الله جائزة وعدنى بها وقد جعلتها لهذا الرجل جزاء عن قوله للأمير ، فقال بل نضعفها لك ونقوم له بما يجب له علينا ، فلما فرغ من القصيدة نثر عليه الف دينار فلقطها الغلمان ولم يَمَسّ منها شيئاً ، فوجد عليه عبد الله وقال يترفع عن برى ويتهاون بما أكرمته ، فلم يبلغ ما أراده منه بعد ذلك ، فقال أبو تمام

لم يبق للصَّيف لا رسم ولا طلل ... ولا قشيب فيستكسى ولا سَمَل
عَدل من الدمع أن يبكى المصيف كما ... يُبكَى الشباب ويبكى اللهو والغزل
يمنى الزمان انقضى معروفها وغدت ... يسراه وهى لباس بعده بدل

فدخل أبو العميثَل شاعر آل طاهر الى عبد الله فقال أيها الأمير أتتهاون بمثل أبي تمام وتجفوه ؟ فوالله لولم يكن له من النباهة فى قدره والاحسان فى شعره والشائع من ذكره لكان الخوف من شره والتوقى لذمه يوجب على مثلك رعايته ومراقبته فكيف وله بنزوعه اليك من الوطن وفراقه السكن وقد قصدك عاقداً بك أمله مُعْمِلاً اليك ركابه متعباً فيك فكره وجسمه وفى ذلك ما يلزمك قضاء حقه حتى ينصرف راضياً ، ولولم يأت بفائدة ولا سمع فيك منه ما سمع الا قوله

يقول فى قومَس صحبى وقد أخذت ... منا السُّرى وخطا المَهْرِيَّة القُود
أمطلعَ الشمس تبغى أن تؤمَّ بنا ... فقلت كلا ولكن مطلع الجود

لكفى ، فقال له عبد الله نبهت فأحسنت ، وشفعت فلطفت ، وعاتبت فأوجعت ، ولك ولأبى تمام العُتبَى ، وأمر له بألفى دينار وما يحمله من الظهر وخلع عليه خلعة تامة من ثيابه وأمر ببذرقته الى آخر عمله

قال جابر الكرخى انه حضر أبا دلف وعنده أبو تمام وقد أنشده قصيدته

على مثلها من أربُعٍ وملاعب ... أذيلت مصونات الدموع السواكب

فلما بلغ الي قوله

اذا افتخرت يوماً تميم بقوسها وزادت على ماوُطدت من مناقب
فأنتم بذى قارٍ أمالت سيوفكم عروش الذين استرهنوا قوس حاجب
محاسن من مجد متى تقرنوا بها محاسن أقوام تكن كالمعايب

فقال أبو دُلَف يامعشر ربيعة ما مدحتم بمثل هذا الشعر قط فما عندكم لقائله ؟ فبادروه بمطارفهم يرمون بها اليه ، فقال أبو دُلَف قد قبلها منكم وأعاركم لبسها وسأنوب عنكم فى ثوابه ، تمم القصيدة يا أبا تمام ، فتممها فأمر له بخمسين الف درهم وقال والله ماهى بازاء استحقاقك وقدرك فاعذِرْنا ، فشكره وقام ليقبل يده فحلف ألاَّ يفعل ، ثم قال له أنشدنى قولك فى محمد بن حميد

وما مات حتى مات مضرب سيفه من الضرب واعتلَّت عليه القنا السمر
وقد كان فوت الموت سهلاً فرده اليه الحِفاظ المر والخُلُق الوعر
فأثبت في مستنقع الموت رجله وقال لها من تحت أخمصك الحشر
غدا غدوة والحمد نسج ردائه فلم ينصرف الاوأ كفانه الأجر
كأن بنى نبْهان يوم مُصابه نجوم سماء خر من بينها البدر
يعزَّوْن عن ثاوٍ يعزى به العلا ويبكى عليه الجود والبأس والشعر

فأنشده إياها ، فقال والله لودِدت أنها فيَّ ، فقال بل أفدى الأمير بنفسى وأهلى وأكون المقدم ، فقال انه لم يمت من رثى بهذا الشعر أو مثله

خرج أبو تمام الى خالد بن يزيد بن مزيد وهو بأرمينية فامتدحه ، فأعطاه عشرة آلاف درهم ونفقة لسفره وقال تكون العشرة الآلاف موفورة فان أردت الشخوص فاعْجَلْ وان أردت المقام عندنا فلك الحِباء والبر ، قال بل أشخَص ، فودعه ، ومضت أيام وركب خالد يَصيد فرآه تحت شجرة وبين يديه رِكْوة فيها شراب وغلام يغنيه بالطنبور ، فقال أبو تمام ؟ قال خادمك وعبدك ، قال ما فعل المال ؟ فقال

علمني جودك السماح فما أبقيت شيئاً لديَّ من صلتك
ما مر شهر حتى سمحت به كأن لي قدرةً كمقدرتك
تنفق في اليوم بالهبات وفى السـاعة ما تجتنيه من سنتك
فلست أدرى من أين تُنفق لو لا أن ربى يمد فى هبتك

فأمر له بعشرة آلاف أخرى فأخذها وخرج

قدم أبو تمام مادحاً للحسن بن رجاء فاستنشده قصيدته اللامية التى مدحه بها فلما انتهى الى قوله

أنا ذو عرفت فان عرتك جهالة فأنا المقيم قيامة العـذال
عطفت ملامتها على ابن ملمة كالسيف جأب الصبر شَخْتِ الآل
عادت له أيامـه مسودة حتى توهم أنهن ليال

فقال له الحسن والله لاتسود عليك بعد اليوم ، فلما قال

لاتنكرى عُطْلَ الكريم من الغنى فالسيل حرب المكان العالي
وتنظرى حيث الركاب يَنصها محيى القريض الى مميت المال

فقام الحسن على رجليه وقال والله لا أتممتها إلا وأنا قائم ، فقام أبو تمام لقيامه وقال

قد قلت وهى تنال من عُرض الفلا بملاطس[1] فى الوَخْد غير أوال
أحواملَ الأثقال انك فى غد بفنـاء أحملَ منك للأثقال
لمـا وردنا ساحة الحسن انقضى عنـا تعجرف دولة الإمحال
أحيا الرجاء لنـا برغم نوائب كثرت بهن مصارع الآمال
أغلَى عذارَى الشعر ان مهورها عند الكرام وان رخصن غوال
ترد الظنون بنا على تصديقها ويحكم الآمـال في الأموال
أضحى سمى أبيك فيك مصدقاً بأجل فائدة وأيمن فال

(١) الملاطس الأخفاف والوخد الاسراع وأوال أوائل

ورأيتني فسألت نفسك سيبها لي ثم جدت وما انتظرت سؤالي
كالغيث ليس له أريد نواله أولم يُرَد بُدّ من التهطال

فتعانقا وجلسا ، فقال له الحسن ما أحسن ماجلوت هذه العروس ، فقال والله لو كانت من الحور العين لكان قيامك لها أوفى مهورها

كان دِعْبل عند الحسن بن رجاء يضع من أبي تمام ، فقال له قائل يا أبا علي اسمع مني ماقاله فان أنت رضيته فذاك والا وافقتك على ما تذمه منه ، وأعوذ بالله فيك من ألاّ ترضاه ، ثم أنشده

أما انه لولا الخليط المودع ومغنًى عفا منه مصيف ومربع

فلما بلغ الى قوله

هو السيل ان واجهته انقَدْتَ طوعه وتقتاده من جانبيه فيتبع
ولم أر نفعاً عند من ليس ضائراً ولم أر ضراً عند من ليس ينفع
مَعاد الورى بعد الممات وسَيْبه مَعاد لنا قبل الممات ومرجع

فقال له دعبل لم ندفع فضل هذا الرجل ، ولكنكم ترفعونه فوق قدره ، وتقدمونه على من يتقدمه ، وتنسبُون اليه ما قد سرقه ، فقال له احسانه صيرك له عائباً وعليه عاتباً

أنشد أبو تمام أبا الحسن محمد بن الهيثم بالجبل

أسقى ديارهم أجشُّ هزيم وغدت عليهم نضرة ونعيم

فلما فرغ أمر له بألف دينار وخلع عليه خلعة حسنة ، فلما كان من غد كتب اليه أبو تمام

قد كسانا من كسوة الصيف خِرق مُكْتَسٍ من مكارم ومساع
حلة سابِرِيَّة (١) ورداء كسحا القيض أورداء الشجاع

(١) سابرية رفيعة جيدة والسحا النواحي والقيض القشرة العليا اليابسة على البيضة

كالسّراب الرّقراق فى النعت إلا انه ليس مثـلـه فى الخداع
قصبياً تسترجف الريح متنيـه بأمر من الهبوب مطاع
رَجَفاناً كأنه الدهرَ منـه كبدُ الضب أو حشا المرتاع
يطرد اليوم ذا الهجير ولو شبّـه فى حـره بيوم الوداع
لازماً ما يليه تحسبه جز ءا من المتنين والأضـلاع
حلة من أغرَّ أروعَ رَحْب الصد ر رحب الفؤاد رحب الذراع
سوف أكسوك ما يعفى عليها من ثناء كالبُرْد بُرد الصنّاع
حسن هاتيك فى العيون وهـذا حسنه فى القلوب والأسماع

فقال محمد بن الهيثم ومن لا يعطى على هذا ملكه ؟ والله لا بقى فى دارى ثوب الا دفعته الى أبى تمام ، فأمر له بكل ثوب كان يملكه فى ذلك الوقت

جاء دعبل الى الحسن بن وهب فى حاجة بعد وفاة أبى تمام ، فقال له رجل فى المجلس يا أبا على أنت الذى تطعن على من يقول

شهدت لقد أقوت مغانيكمُ بعدي ومحّت كما محت وَشائع من برد
وأنجدتمُ من بعـد اتهام داركم فيادمع أنجدنى على ساكني نجد

فصاح دعبل أحسن والله ، وجعل يردد « فيادمع أنجدنى على ساكنى نجد » ثم قال رحمه الله لو كان ترك لي شيئاً من شعره لقلت انه أشعر الناس

مات لعبد الله بن طاهر ابنان صغيران فى يوم واحد فدخل عليه أبو تمام فأنشده

ما زالت الأيام تخبر سائلاً أن سوف تفجع مُسْهلا أو عاملا
ان المنون اذا استمر مريرها كانت لها جثث الأنام مقاتلا
فى كل يوم يعتبطن نفوسنا عبط المنجب جِلّة وأفائلا
ما ان ترى شيئاً لشىء محيياً حتى تلاقيه لآخر قاتلا
من ذاك أجهد أن أراه فلا أرى حقاً سوى الدنيا يسمى باطلا

لله أية لوعة ظلمنـــا بها ... تركت بكيّات العيون هواملا
مجد تأوب طارقاً حتى اذا ... قلنا أقام الدهر أصبح راحلا
نجمان شاء الله ألاَّ يطلعا ... الا ارتداد الطرف حتى يأفلِا
ان الفجيعة بالرياض نواضراً ... لأجلّ منها بالرياض ذوابلا
لو يُنْسَآن لكان هذا غارباً ... للمكرمات وكان هـذا كاهلا
لهفي على تلك المخايل منهما ... لو أُمهلت حتى تكون شمائلا
لغدا سكونهما حجىً وصباهما ... حلماً وتلك الأريحية نائلا
ولأعقب النجم المرزّ بديمة ... ولعاد ذاك الطُّل جوْداً وابلا
ان الهلال اذا رأيت نموه ... أيقنت أن سيكون بدراً كاملا

قال الواثق لأحمد بن أبي دؤاد بلغني أنك أعطيت أبا تمام الطائي في قصيدة مدحك بها ألف دينار ، قال لم أفعل ذلك يا أمير المؤمنين ولكني أعطيته خمسمائة دينار للذي قاله للمعتصم

فاشدد بهارون الخلافة انه ... سكن لوحشتها ودار قرار

فتبسم وقال انه لحقيق بذلك ، وتمام الأبيات

بفتى بني العباس والقمر الذي ... حفته أنجم يعْرُب ونزار
كرم الخؤولة والعمومة مجه ... سلفا قريش فيه والأنصار
هو نوء يمن فيهمُ وسعادة ... وسراج ليل فيهمُ ونهار
فاقمع شياطين النفاق بمهتد ... ترضى البرية هديه والباري
ليسير في الآفاق سيرة رأفة ... ويسوسها بسكينة ووقار
فالصين منظوم بأندلس الى ... حيطان رومية فملك ذمار
ولقد علمت بأن ذلك معصَم ... ما كنت تتركه بغير سوار
فالأرض دار أقفرت ما لم يكن ... من هاشم رب لتلك الدار

سُوَر القران الغر فيكم أنزلت ولكم تصاغ محاسن الأشعار

قال ميمون بن هارون مر أبو تمام برجل يقول لآخر جئتك فاحتجبت عنى ، فقال له السماء اذا احتجبت بالغيم رجى خيرها ، فتبينت فى وجه أبى تمام أنه قد أخذ المعنى ليضمنه فى شعره ، فما لبثنا الا أياماً حتى أنشدت قوله

ليس الحجاب بمقصٍ عنك لى أملاً ان السماء تُرجَّى حين تحتجب

قال محمد بن موسى بن حماد كنا عند دعبل أنا والقاسم في سنة خمس وثلاثين ومائتين بعد قدومه من الشام فذكرنا أبا تمام فثلبه وقال هو سروق للشعر ، ثم قال لغلامه يا ثقيف هات تلك المخلاة ، فجاء بمخلاة فيها دفاتر ، فجعل يمرها على يده حتى أخرج منها دفتراً فاذا فيه قال مُكْنِف أبو سُلْمى من ولد زهير بن أبى سلمى يرثى ذُفافة العبسى

أبعد أبى العباس يستعتب الدهر وما بعده للدهر عُتْبَى ولا عذر
ولو عوتب المقدار والدهر بعده لما أعتبا ما أورق السَّلَم النَّضْر
ألا أيها الناعى ذفافة ذا الندى تَعَسْتَ وشلَّت من أناملك العشر
أتنعى فتى من قيس عيلان صخرة تفلق عنها من جبال العدى الصخر
اذا ما أبو العباس خلى مكانه فلا حملت أنثى ولا مسها طُهْرْ
ولا أمطرت أرضاً سماء ولاجرت نجوم ولا لذت لشاربها الخمر
كأن بني القعقاع يوم وفاته نجوم سماء خرَّ من بينها البدر
توفيت الآمال بعد ذُفافة وأصبح فى شغل عن السفر السَّفْرْ
يعزّون عن ثاوٍ تعزّى به العلا ويبكى عليه المجد والبأس والشعر
وما كان الا مال من قلَّ ماله وذخراً لمن أمسى وليس له ذخر

ثم قال سرق أبو تمام أكثر هذه القصيدة فأدخلها فى قصيدته

كذا فليجلّ الخطب وليَفْدَح الأمر وليس لعين لم يفض ماؤها عذر

البحتري

هو الوليد بن عبيد الله بن يحيى البُحْتُري الطائى من بُحْتُر بن عتود ثم من طيء ويكنى أبا عبادة

شاعر فاضل حسن المذهب نقى الكلام مطبوع ، كان مشايخنا رحمة الله عليهم يختمون به الشعراء ، وله تصرف حسن فاضل نقى فى ضروب الشعر سوى الهجاء فان بضاعته فيه نَزْرة ، وجيده منه قليل ، وكان ابنه أبو الغوث يزعم أن السبب فى قلة بضاعته فى هذا الفن أنه لما حضره الموت دعا به وقال له اجمع كل شيء قلته فى الهجاء ، ففعل ، فأمره باحراقه ، ثم قال له يا بنيَّ هذا شيء قلته فى وقت فشفيت به غيظي وكافأت به قبيحاً فعل بى وقد انقضى أربى فى ذلك وان بقى روى ، وللناس أعقاب يورثونهم العداوة والمودة وأخشى أن يعود عليك من هذا شيء فى نفسك أو معاشك لا فائدة لك ولا لي منه ، قال فعلمت أنه قد نصحني وأشفق عليَّ فأحرقته ، والذى وجدناه وبقى فى أيدى الناس من هجائه فأ كثره ساقط لا يشاكل طبعه ولا يليق بمذهبه وتنبيء بركاكتها وغثاثة ألفاظها عن قلة حظه فى الهجاء ، وكان البحتري يتشبه بأبى تمام فى شعره ويحذو مذهبه وينحو نحوه فى البديع الذى كان أبو تمام يستعمله ، ويراه صاحباً وإماماً ويقدمه على نفسه ويقول فى الفرق بينه وبينه قول منصف ان جيد أبى تمام خير من جيده ووسطه خير من وسط أبى تمام ورديئه وكذا حكم هو على نفسه

ومن شعر البحتري يمدح محمد بن على القمّيّ

أمواهب هاتيك أم أنواء هُطُل ؟ وأخذ ذاك أم اعطاء ؟
ان دام ذا أو بعض ذا من فعل ذا ذهب السخاء فلا يُحَسّ سخاء
ليس الذى حلّت تميم وسطه الدّ هْناء لكن صدرك الدهناء

ملك أغر لآل طلحة مجده   كفاه أرض سمحة وسماء
وشريف أشراف اذا احتكت بهم   جرْبُ القبائل أحسنوا وأساؤا
لهم الفِناء الرَّحب والبيت الذى   أُدَد أواخ حوله وفناء
وخؤلة فى هاشم ود العدى   أن لم تكن ولهم بها ما شاؤا
بين العواتك والفواطم منتمى   يزكو به الأخوال والآباء
أمحمد بن على اسمع عُذرة   فيها شفاء للمسيء وداء
مالي اذا ذكر الوفاء رأيتني   مالي مع النفر الكرام وفاء
يضفو على العذال وهو مقارب   ويضيق عني العذر وهو فضاء
انى هجرتك اذ هجرتك وحشة   لا العوْد يذهبها ولا الابداء
أخجلتني بندى يديك فسودت   ما بيننا تلك اليد البيضاء
وقطعتني بالبر حتى اننى   متوهم ألَّا يكون لقاء
صلة غدت فى الناس وهى قطيعة   عجبٌ، وبرٌّ راح وهو جفاء
ليواصلنك ركب شعر سائر   يرويه فيك لحسنه الأعداء
حتى يتم لك الثناء مخلداً   أبداً كما تمت لي النعماء
فتظلّ تحسُدك الملوك الصِّيد بى   وأظلّ يحسدنى بك الشعراء

أنشد البحتري أبا تمام يوْماً شيئاً من شعره، فتمثل ببيت أوس بن حجر

اذا مُقرِم منا ذرا حد نابه   تخمط فينا ناب آخر مقرم

ثم قال له نعيت والله إليَّ نفسي، فقال أعيذك بالله من هذا القول، فقال ان عمري لن يطول وقد نشأ فى طيء مثلك، أماعلمت أن خالد بن صفوان رأى شبيب ابن شبة وهو من رهطه يتكلم فقال يا بنيَّ لقد نعى الى نفسى احسانك فى كلامك لأ نا أهل بيت ما نشأ فينا خطيب قط الامات من قبله، فقال بل يبقيك الله ويجعلنى فداءك ومات أبو تمام بعد سنة

وما يعرف له هجاء جيد الا قصيدتين إحداهما فى ابن أبى قماش قوله

مرَّت على عزمها ولم تقف مبدية للشنآن والشغف

يقول فيها له

قد كان حقاً عليك أن تعرف الـــمكنون من سر صدرها الكلِف

بما تعاطيت فى الغيوب وما أوتيت من حكمة ومن لطف

فكيف أخطأت يا أخىَّ ولم تفزع الى ماسطرت فى الصحف

وكيف ما دلك القِران على ما فيه من ذاهب ومؤتنف

هلا زجرت الطير العلية أو عفت المها أو نظرت فى الكتف

حملتها والفراق محتشـــد لراكب منكما ومرتدف

ورحما والنحوس تنبىء عن حال من الرائحين مختلف

أما أرتك النجوم أنكما فى حالتى ثابت ومنصرف

وما رأيت المريخ قد جاسد الـــزهرة فى الجد منه والشرف

يخبر فى ذاك أن زائرة تشفى مزُوراً من لاعج الدَّنَف

من أين أغفلت ذا وأنت على التـــقويم والزيج جد معتكف

وهى طويلة ولم يكن مذهبى ذكرها الا للاخبار عن مذهبه فى هذا الجنس ،

وقصيدته فى يعقوب بن الفرج النصرانى فانها وان لم تكن فى أسلوب هذه وطريقتها فانها تجري مجرى التهكم باللفظ الطيب الخبيث المعانى وهى

تظن شجونى لم تعتلج وقد خلج البين من قد خلج

قال عبد الله بن الحسين بن سعد « وقد أنشد البحترى شعراً لنفسه قد كان أبو تمام قال فى مثله » أنت والله أشعر من أبى تمام فى هذا الشعر ، قال كلا والله ان أبا تمام للرئيس والاستاذ والله ما أكلت الخبز الا به ، فقال له المبرد لله درّك يا أبا الحسن فانك تأبى الا شرفاً من جميع جوانبك

قيل للبحتري ان الناس يزعمون أنك أشعر من أبي تمام ، فقال والله ماينفعني هذا القول ولا يضر أبا تمام والله ما أكلت الخبز الا به ولوددت أن الأمر كما قالوا ولكني والله تابع له آخذ منه لائذ به ، نسيمي يركد عند هوائه ، وأرضي تنخفض عند سمائه

قال البحتري كان أول أمري في الشعر ونباهتي أن صرت الى أبي تمام وهو بحمص ، فعرضت عليه شعري وكان الشعراء يعرضون عليه أشعارهم ، فأقبل عليَّ وترك سائر من حضر ، فلما تفرقوا قال لي أنت أشعر من أنشدني فكيف بالله حالك ؟ فشكوت خلة ، فكتب الى أهل معرَّة النعمان وشهد لي بالحذق في الشعر وشفع لي اليهم وقال امتدحهم ، فصرت اليهم ، فأكرموني بكتابه ووظفوا لي أربعة آلاف درهم فكان أول مال أصبته ، وكانت نسخة كتاب أبي تمام « يصل كتابي هذا على يد الوليد بن عبادة الطائي وهو على بذاذته شاعر فأكرموه »

قال البحتري أول ما رأيت أبا تمام أني دخلت على أبي سعيد محمد بن يوسف وقد مدحته بقصيدتي

أأفاق صب من هوًى فأُفيقا ... أم خان عهداً أم أطاع شفيقا

ان السلو كما تقول لَراحة ... لو راح قلبي للسلو مطيقا

هذا العقيق وفيه مرأى مونِق ... للعين لو كان العقيق عقيقا

أشقيقةَ العَلَمين هل من نظرة ... فتبلَّ قلباً للغليل شقيقا

وسَمَتك أردية السماء بديمة ... تحيي رجاء أو ترد عشيقا

ولئن تناول من بشاشتك البِلى ... طَرَفاً وأوحش أنسك الموموقا

فلرب يوم قد غنينا نجتلي ... مغناك بالرَّشأ الأنيق أنيقا

عَلَّ البخيلة أن تجود بها النوى ... والدار تجمع شائقاً ومشوقا

كذب العواذل أنت أقتل لحظة وأغض أطرافاً وأعذبُ ريقا
ماذا عليك لو اقتربت لموعد يُثني الجوى وسقيتنا الترنيقا
غدت الجزيرة فى جناب محمد ريّا الجناب مغارباً وشروقا
برقت مخايله لهـــا وتخرقت فيها عزالي جوده تخريقا
صفحت له عنها السنون وواجهت أطرافُها وجه الزمان طليقا
رفع الأمير أبو سعيد ذكرها وأقام فيهـــا للمكارم سوقا
يستمطرون يداً يفيض نوالها فيُغرّق المحروم والمرزوقا
يقظ اذا اعترض الخطوب برأيه ترك الجليل من الخطوب دقيقا

الى أن انتهى منها ، فسرّ بها أبو سعيد وقال أحسنت والله يافتى وأجدت ، وكان فى مجلسه رجل نبيل رفيع المجلس فوق من حضر عنده تكاد تمس ركبته ركبته ، فأقبل عليّ وقال يافتى أما تستحيي مني ؟ هذا شعر لي تنتحله وتنشده بحضرتى ، فقال له أبو سعيد أحقاً تقول ؟ قال نعم وانما علقه مني فسبقني به اليك وزاد فيه ، ثم اندفع فأنشد أكثر القصيدة حتى شككني علم الله في نفسي وبقيت متحيراً ، فأقبل عليّ أبو سعيد فقال يافتى قد كان فى قرابتك وودك لنا ما يغنيك عن هذا ، فجعلت أحلف له بكل مُحرِّجة الأيمان أن الشعر لي ما سبقنى اليه أحد ولا سمعته منه ولا انتحلته فلم ينفع ذلك شيئاً ، وأطرق أبو سعيد وقطع بى حتى تمنيت أنى سخت فى الأرض ، فقمت منكسر البال أجرّ رجلى فخرجت فما هو الا أن بلغت الدار حتى خرج الغلمان فردونى ، فأقبل عليّ الرجل فقال الشعر لك يا بنيّ والله ما قلته ولا سمعته الا منك ولكننى ظننت أنك تهاونت موضعي فأقدمت على الإنشاد بحضرتى من غير معرفة كانت بيننا تريد بذلك مضاهاتى وتكاثرنى حتى عرّفنى الأمير نسبك وموضعك ولوددت ألاّ تلد أبداً طائية الا مثلك ، وجعل أبو سعيد يضحك ، ودعانى أبو تمام وضمنى اليه وعانقنى وأقبل يقرظنى

ولزمته بعد ذلك وأخذت عنه واقتديت به ، ثم حظى البحترى بأبى سعيد وكان مداحاً له طول أيامه ولابنه بعده ورثاهما بعد مقتلهما فأجاد ، ومراثيه فيهما أجود من مدائحه ، وروى أنه قيل له فى ذلك ، فقال من تمام الوفاء أن تفضل المراثى المدائح لا كما قال الآخر ، وقد سئل عن ضعف مراثيه ، فقال كنا نعمل للرَّجاء ونحن اليوم نعمل للوفاء وبينهما بعد

كان البحترى من أوسخ خلق الله ثوباً وآلة وأبخلهم على كل شيء ، وكان له أخ وغلام معه فى داره ، فكان يقتلهما جوعاً فاذا بلغ منهما الجوع أتياه يبكيان ، فيرمى اليهما بثمن أقواتهما مضيقاً مقتراً ويقول كلا أجاع الله أكبادكما وأطال اجهادكما

اجتازت جارية بالمتوكل معها كوز ماء وهى أحسن من القمر فقال لها ما اسمك ؟ قالت برهان ، قال ولمن هذا الماء ؟ قالت لستى قبيحة ، قال صبيه فى حلقى ، فشربه على آخره ، ثم قال للبحترى قل فى هذا شيئاً ، فقال

ما شربة من رحيق كأسها ذهب   جاءت بها الحور من جنات رضوان
يوماً بأطيب من ماء بلا عطش   شربته عبثاً من كف برهان

قدم البحترى النِّيل على احمد بن على الاسكافي مادحاً له فلم يثبه ثواباً يرضاه بعد أن طالت مدته ، فهجاه بقصيدته التي يقول فيها

ما كسبنا من احمد بن على   ومن النِّيل غير حُمَّى النيل
وضلال منى وخسران سعى   طلبي النَّيل عند غير منيل
يا أبا الصقر كم يد لك عندي   ذات عَرْض فى المكرمات وطول
كشفاء السقام فى عقب يأس   من تلافيه أو شفاء الغليل
اكفنى دقة اللئام بتخفيـــفك ما آد من خراجى الثقيل

وهجاه بقصيدة أخرى أولها

قصة التَّل فاسمعوها عُجابة   ان فى مثلها تطول الخطابة

ادعى التل فرقتان تلاحوا   آل عبد الأعلى وآل ثوابة
حكم العادل الجنيدى فيهم   بصواب فلا عدمنا صوابه
احفروا التل يابنى عبد الأعلى   وأثيروا صخوره وترابه
ان وجدتم فيه شباك أبيكم   كنتم دون غيركم أربابه
أو وجدتم محاجماً ان حفرتم   زال شك العطاية المرتابة
فبدت جونة من الخوص فيها   آلة الشيخ وهو حد لبابة
خالد لا سقى الاله صداه   فبنوه اللئام شانوا الكتابة

فجمع الى هجائه إياه هجاء أبي ثوابة ، فبلغ ذلك أحمد بن ثوابة ، فبعث اليه بألف درهم وثياب ودابة بسرجها ولجامها ، فرده اليه وقال قد أسلفتكم إساءة لا يجوز معها قبول رفدكم ، فكتب اليه ، أما الإساءة فمغفورة وأما المعذرة فمشكورة والحسنات يذهبن السيئات وما يأسو جراحك مثل يدك ، وقد رددت اليك ما رددته عليَّ وأضعفته ، فان تلافيت ما فرط منك أثبنا وشكرنا وان لم تفعل احتملنا وصبرنا ، فقبل ما بعث به وكتب اليه ، كلامك والله أحسن من شعري وقد أسلفتني ما أخجلني وحملتني ما أثقلني وسيأتيك ثنائى ، ثم غدا اليه بقصيدة أولها

ضلال لها ماذا أرادت الى الصد   ونحن وقوف من فراق على حد
مزاولة أن تخلط الود بالقِلَى   ومغرمة أن تلحق القرب بالبعد
رأت لِمَّة عليَّ بياضاً سوادُها   تعاقب مبيض عليها ومسود
فلا تسألا عن هجرها ان هجرها   جنى الصبر يسقى مرُّه من جنى الشهد
ولا تعجبا من بخل دعد بنيلها   وفى النفر الأعلَيْن أبخل من دعد
أضنُّ أخلاء وضن أحبة ؟   فلا خلة تصفى ولا خلة تجدى

يقول فيها

رحيل اشتياق مبرح وصبابة   الى قرية النعمان والسيد الفرْد

الى سابق لا يعلق القوم شأوه بسعي ولا يهدون منه الى قصد
الى أبيض الأخلاق ما مرّ أبيض من الدهر الا عن جدًى منه أو رِفد
جدير اذا مازرته عن جنابة وان طال عهد أن يكون على العهد
وان أنا أهديت القريض مجازياً فلن يوكس المهدَى اليه ولا المهدى
مزايدة مني ومنـــــه وكانا الى أمد داني النصيب من البعد
تشذب من يعطي الرغائب دونه وبان به ما بان بالكوكب السعد
فمن أين جئنا جمة من عطائه وردناوسير العِيس خِمس الى الورد
يغض عن المرفوع من درجاته وان زيد في سلطان ذي تدْرَإٍ نجْد
ويخشى شذاه وهو غير مسلط وقد يتوقى السيف والسيف في الغِمْد
اذا قارعوه عن علَى الأمر قارعوا صَليب الصفَا من دونها خشن الحد

وقال فيه بعد ذلك

برق أضاء العقيقُ من ضَرَمه يكشف الليل عن دجى ظُلَمه
ذكرني بالوَميض حين سرى من ناقض العهد ضوء مبتسمه
ثغر حبيب اذا تألق في لَماه عاد المحب في لَمَمه
مهفهف يعطف الوشاح على ضعيف مَجرَى الوشاح منهضمه
يجذبه الثقل حين ينهض من ورائه والخفوق من أممه
اذا مشى أدمجت جوانبه واهتز من قرنه الى قدمه
قد حال من دونه البعاد وتشـــريق صدور المطي في لقمه

يقول فيها

متى تسلْ عن بني ثوابة يخبر ك السحاب المحبوك عن ديمه
تُبلّ من مَحلها البلاد بهم كما يُبِل المريض من سقمه
أقسمت بالله ذي الجلالة والعـــز ومثلي من بَرّ في قسمه

وبالمصلى ومن يطيف به والحجَر المبتغى ومستلمه
اذا اشرأبوا له فملتمس بكفه أو مقبّل بفمه
ان المعالى سلكن قصد أبى الـعباس حتى عُدِدن من شيمه
معظَّم لم يزل تواضعه لآمليه يزيد فى عظمه
غير ضعيف الوفاء ناقصه ولا ظنين التدبير متهمه
ما السيف عضباً يضىء رونقه أمضى على النائبات من قلمه
حامى على المكرمات مجتهداً جهد المحامى عن ماله ودمه
ما خالف الملك حالتيه ولا غيَّر عز السلطان عن كرمه
تم على عهده القديم لنا والسيل يجرى على مدَى قدمه
يدنو الينا بالأُنس وهو أخ للنجم فى بأوه وفى بُدُمه
اذا رأينا ذوى عنايته لديه خلناهمُ ذوى رحمه
وان نزلنا حريمه فلنا هناك أمن الحمام فى حرمه
كان له الله حيث كان ولا أخلاه من طوله ومن نعمه
حاجتنا أن تدوم مدته وسؤلنا أن نعاذ من عدمه
له أياد عندى ولي أمل ما زال فى عهده وفى ذممه

وقال فيه أيضاً

أن دعاه داعي الهوى فأجابه ورمى قلبه الصبا فأصابه
عبت ما جاءه ورب جهول جاء ما لايعاب يوماً فعابه
ليت شعرى غداة يغْرَى بسعدى أي شىء من الرباب أرابه
أهو الجد من صريمة عزم أم هو الهزل فى الهوى والدعابه
خون عين لم أحتسبه وقلب لم أخف يوم رامتين انقلابه
بات يخشى على البعاد اجتنابى شق نفس قد كنت أخشى اجتنابه

صافحاً عن خفى ذنبى وقد صا فحت فى ساعة الوداع خضابه
رَشأ ان أعاد كر بلحظ أشعل القلب مُضنياً أو أذابه

يقول فيها

قد مدحنا ايوان كسرى وجئنا نستثيب النعمى من ابن ثوابة
بيت نخر كان الغنى لو يوافى زائر البيت عنــده أربابه
واذا ما أخــل بالحق قوم فمن الحق أن تنوب القرابة
أنتمُ منهمُ خــلا ما لبستم بعدهم من مُعار زِىّ الكتابة
همـم فى السماء تذهب علوا ورباع مغشــية منتابة
ورجال ان ضيع النـاس أمراً حفظوا المجد أن يضيعوا طِلابه
ما سعَوْا يخلفون غـير أبيهم كل ساعٍ منا يريد نصابه
جمعتهـم أكرومة لم يجوزوا منتهاهـا جمع القِداح الربابة
خلق فيهــمُ تردد فيهم وليته عصابة عن عصابة
كالحسام الجُراز يبقى على الدهــر ويفني فى كل عصر قرابه

ولم يزل ابن ثوابة يصله بعد ذلك ويتابع بره لديه حتي افترقا

كان نسيم غلام البحترى الذى يقول فيه

دعاءعبرتى تجرى على الجوْر والقصد أظن نسيماً قارف الهم من بعدى
خلا ناظرى من طيفه بعدشخصه فيا عجبا للدهر فقد على فقد

غلاماً رومياً ليس بحسن الوجه ، وكان قدجعله باباً من أبواب الحيل على الناس ، فكان يبيعه ويعتمد أن يصيره الى ملك بعض أهل المروءات ومن ينفُق عنده الأدب ، فاذا حصل في ملكه شبب به وتشوقه ومدح مولاه حتى يهبه له ، فلم يزل ذلك دأبه حتى مات نسيم فكفى الناس أمره

حدث البحترى قال قال لي أبو تمام بلغنى أن بني حُميد أعطوْك مالاً جليلاً

فيما مدحتهم به فأنشدنى ، فأنشدته بعض ما قلتـه فيهم ، فقال لي كم أعطوك ؟ فقلت كذا وكذا ، فقال ظلموك والله ماوفوك حقك فلم أستكثر مادفعوه اليك والله لبيت منها خير مما أخذت ، ثم قال لعمرى لقد استكثرت واستكثر لك لما مات الناس وذهب الكرام وغاضت المكارم فكسدت سوق الأدب ، أنت والله يابنى أمير الشعراء غداً بعدي ، فقمت فقبلت رأسه ويديه ورجليه وقلت له والله لهذا القول أسر لقلبي وأقوى لنفسي مما وصل اليّ من القوم

حدث أبو العَنْبَس الصيمرى قال كنت عند المتوكل والبحترى ينشد

عن أى ثغر تبتسم وبأى طرف تحتكم
حسن يَضَن بوصله والحسن أشبه بالكرم
أفديه من ظلم الوشا ة وان أساء وان ظلم
يهنيك أنك لم تذق سُهْداً وانيَ لم أنم
وكأن فى جسمي الذى فى ناظريك من السقم
أقسمت بالبيت الحرا م وحرمة الشهر الأصم
وعلى أمير المؤمنين فانها حق القسم
لقد اصطفى رب السما ء له الخلائق والشيم
ملك غدا وجبينه شمس الضحى بدر الظلم
قل للخليفة جعفر المتوكل بن المعتصم
المرتضى ابن المجتبي والمنعم ابن المنتقم
أما الرعية فهى من أمنات عدلك فى حرم
نعم عليها في بقا ئك فلتتمّ لها النعم
يا بانى المجد الذي قد كان قُوض فانهدم
اسلم لدين محمد فاذا سلمت فقد سلم

نلنا الهدى بعد العمى　　بك والغنى بعد العدم

وكان البحترى من أبغض الناس انشاداً ، يتشادق ويتزاور فى مشيه ، مرة جانباً ومرة القهقرى ، ويهز برأسه مرة ومنكبيه أخرى ، ويشير بكمه ويقف عند كل بيت ويقول أحسنت والله ، ثم يقبل على المستمعين فيقول مالكم لاتقولون أحسنت ؟ هذا والله مالايحسن أحد أن يقول مثله ، فضجر المتوكل من ذلك وأقبل عليَّ وقال أما تسمع ياصيمرَى ما يقول ؟ فقلت بلى ياسيدى فمرنى فيه بما أحببت ، فقال بحياتى اهجُه على هذا الروى وأنشدنيه ، فقلت تأمر ابن حمدون أن يكتب ما أقول ، فدعا بدواة وقرطاس وحضرنى على البديهة أن قلت

أدخلت رأسك فى الرحم　　وعلمت أنك تنهزم
يا بحتري حذار ويـــحك من قضاقضة ضُغُم
فلقد أسلت بوالديـــك من الهجاسيل العرِم
فبأي عرض تعتصم　　وبهتكه جف القلم
والله حلفة صادق　　وبقبر أحمد والحرم
وبحق جعفر الاما　　م ابن الامام المعتصم
لأُصيرنك شهرة　　بين المسيل الى العلم
حيث الطلول بذى سلم　　حيث الأراكة والخيم
يا ابن الثقيلة والثقيـــل على قلوب ذوى النعم
وعلى الصغير مع الكبيـــر ابن الموالي والحشم

فغضب وخرج يعدو وجعلت أصيح به « وعلمت أنك تنهزم » والمتوكل يضحك ويصفق حتى غاب عن عينه ، قال أحمد بن زياد فحدثني أبي قال جاءنى البحترى فقال يا أبا خالد أنت عشيرتى وابن عمي وصديقي وقد رأيت ماجرى عليَّ أفتأذن لى أن أخرج الى منبج بغير اذن ؟ فقد ضاع العلم وهلك الأدب ، فقلت لاتفعل

من هذا شيئاً فان الملوك تمزح بأعظم مماجرى ومضيت معه الى الفتح فشكا اليه ذلك فقال له نحواً من قولي ووصله وخلع عليه فسكن الى ذلك

ومن شعره وفيه غناء

كم ليلة فيك بت أسهرها ... ولوعة من هواك أضمرها
وحرقة والدموع تطفئها ... ثم يعود الجوى فيُسعرها
يا علو علَّ الزمان يعقبنا ... أيام وصل نظلّ نشكرها
بيضاء رُود الشباب قد غُمست ... فى خجل دائبا يعصفرها
مجدولة هزها الصبا فشجا ... قلبك مسموعها ومنظرها
لا تبعث العُود تستعين به ... ولا تبيت الأوتار تخفرها
الله جار لها فما امتلأت ... عيني الا من حيث أبصرها

ومن قوله يرثى سليمان بن وهب

أأخيّ نهنه دمعك المسفوكا ... ان الحوادث ينصرمن وشيكا
ما أذ كرتك بمُترَح صَرفُ الجوى ... الا ثنته بمفرح ينسيكا
الدهر أنصف منك فى أحكامه ... اذ كان يأخذ بعض ما يعطيكا
وقليل هذا السعي يَكْسبك الغنى ... ان كان يغنيك الذى يكفيكا
نلقى المنون حقائقاً وكأننا ... من غِرَّة نلقى بهن شكوكا
لا تركنن الى الخطوب فانها ... لُمَع تسرك مرة وتسوكا
هذا سليمان بن وهب بعدما ... طالت مساعيه النجوم سُموكا
وتنصّف الدنيا يدبر أهلها ... سبعين حولاً قد تمن دكيكا(١)
أغرت به الأقدار بَغت ملمة ... ما كان رسم حديثها مأفوكا
فكأنما خضد الحِمام بيومه ... غصناً بمنخرق الرياح نهيكا

(١) دكيك تام

بلغ عبيد الله فارع مَذْحج شرفاً ومعطًى فضلها تمليكا
ما حق قدرك أن أحمل مرسلاً غيرى اليك ولو بعثت ألوكا (١)
أنت الذى لو قيل للجود اتخذ خلاً أشار اليك لا يعدوكا
وكأنما آليت والمعروف لا تألوه مصطفياً ولا يألوكا
ان الرزيئة فى الفقيد فان هفا جزع بصبرك فالرزيئة فيكا
ومتى وجدت الناس إلا تاركاً لحميمه فى الترب أو متروكا
بلغ الارادة أن فداك بنفسه وودِدت لو تفَديه لا يفديكا
لو ينجلى لك ذخرها من نكبة جلَل لأضحكك الذي يبكيكا
ولحال كل الحول من دون الذى قد بات بسخطك الذى يرضيكا
ما يوم أمك وهو أروع نازل فاجك الا دون يوم أبيكا
كم أعيد على حَشاك ولحة مما عهدت الحادثات تُريكا
وفجيعة الأيام قسم سويت فيه البرية سُوقة وملوكا
غِبٌّ توزعه الأنام تُحِقُّ ألاَّ تزال تصيب فيه شريكا

(١) الألوك الرسالة

شعراء حكم

أبو نواس (١)

هو الحسن بن هانىء بن عبد الأول بن الصباح الحَكَمِي من حكم بن سعد العشيرة بن مالك اخوة طيء ، وأبو نواس كنيته ونواس من أسماء ملوك اليمن

نشأ أبو نواس بالبصرة وقرأ القرآن على يعقوب الحَضْرمى ، فلما حذَق القرآن رمى اليه يعقوب بخاتمه وقال اذهب فأنت أقرأ أهل البصرة ، وكان حسن الوجه رقيق اللون أبيض حلو الشمائل ، وكان فى رأسه سماحة وتسفيط ، وكان ألثغ بالراء يجعلها غيناً ، وكان نحيفاً وفى حلقه بُحّة لا تفارقه ، قال الجاحظ ما رأيت أحداً كان أعلم باللغة من أبى نواس ولا أفصح لهجة منه مع حلاوة ومجانبة لاستكراه

ثم كبر وتأدب وصحب أهل الجد والمجّان واشتهى الكلام فقعد الى أصحابه فتعلم منهم شيئاً من الكلام ثم دعاه ذلك الى الزندقة ، ثم مَجَن فى شعره وشخص الي مدينة السلام فأقام بها وعاشر الملوك فحط منه مجونه ووضعه خبث لسانه وكثرة شغْبه وعبثه

وكان ينادم ولد المهدى ويلازمهم فلم يُلْقَ مع أحد من الناس غيرهم ، ثم نادم القاسم ابن الرشيد ولقى منه أشياء كرهها وكرهت له ففارقه

ثم جلس أبو نواس الى الناشىء الراوية فقرأ عليه شعر ذى الرُّمَّة فأقبل الناشىء على أبيه هانىء وقال له ان عاش ابنك هذا وقل الشعر ليقولنه بلسان شتوم

ثم اتصل بوالبة بن الحُباب الأسدى ، لقيه بدار النجاشى الأسدى والى الأهواز للمنصور ، فقال له والبة انى أرى فيك مخايل فلاح وأرى أنك لا تضيعها

(١) من ترجمة أبى نواس المحفوظة بدار الكتب الملكية لابن منظور

ومتقول الشعر وتعلو فيه فاصحبنى حتى أخرجك ، فقال ومن أنت ؟ قال أبو أسامة ، قال والبـة ؟ قال نعم ، قال أنا والله جعلت فداك فى طلبك ، وقد أردت الخروج الى الكوفة والى بغداد من أجلك ، قال ولماذا ؟ قال شهوة للقائك ولأبيات سمعتها لك ، قال وماهى ؟ فأنشده

ولها ولا ذنب لهـــا　　حب كأطراف الرماح
جرحت فؤادي بالهوى　　فالقلب مجروح النواحى
ســلّ الخليفة صارماً　　هو للفساد وللصلاح
أجداه كف أبي الوليـــد يداً مبارية الرياح
ألقى بجانب خصره　　أمضى من الأجل المُتاح
وكأنما ذرّ الهبـــا　　ء عليه أنفاس الرياح

فمضى معه ، ثم سأله أن يخرج الي البادية مع وفد بنى أسـد ليتعلم العربية والغريب فأخرجه مع قوم منهم ، فأقام بالبادية سنة ، ثم قدم ففارق والبة ورجع الى بغـداد

جاء أبو نواس الى بشار فأنشده قصـيدته اللامية التى يصف فيها النخل فاستحسنها ، فلما خرج قال بشار لقد حسدت هذا الغلام على هذا وما أخرج منه عن قول شاعر الكوفة « يعني والبة »

وكان أبو نواس متكلماً جَدِلاً راوية نحلاً رقيق الطبع ثابت الفهم فى الكلام اللطيف ، ويدل على معرفته بالكلام أشياء من شعره منها قوله

وذات خـد مورّد　　فضـيّة المتجرد
تأمّلُ العـين منها　　محاسناً ليس تنفد
فبعضـه قد تناهى　　وبعضــه يتولد
والحسن فى كل شيء　　منها معــاد مردد

ومنها قوله

يا عاقد القلب عنى هلا تذكرت حلاً
تركت غيي قليلاً من القليل أقلاَّ
يكاد لا يتجزى أقل فى اللفظ من لا

ومنها قوله في امرأة اسمها حسن

ان اسم حسن لوجهها صفة ولا أرى ذا في غيرها جمعا
فهى اذا سميت فقد وصفت فيجمع الاسم معنيين معا

ومن قوله فيما يتعلق بالحكمة

قل لزهير اذا حدا رشدا أقلل أوَ اكثر فأنت مهذار
سَخُنْتَ من شدة البرد حتى صرت عندى كأنك النار
لا يعجب السامعون من صفتى كذلك الثلج بارد حار

هذا شيء أخذه أبو نواس من مذهب حكماء الهند فانهم يقولون ان الشيء اذا أفرط في البرودة انقلب حاراً ، وقالوا ان الصندل يحك منه اليسير فيبَرُد فاذا أكثر منه سخن

قالوا كان أبو نواس دعياً يخلط فى دعوته فمن ذلك قوله يهجو عرب البصرة

ألا كل بصري يرى انما العلا مكمَّهة سُحُق لهن جَرين (١)
فان تغرسوا نخلاً فان غراسنا ضراب وطعن فى النحور سخين
فان أك بصرياً فان مهاجَري دمشق ولكن الحديث فنون
مجاور قوم ليس بيني وبينهم أواصر الا دعوة وظنون
اذا مادعا باسمى العريف أجبته الى دعوة مما علىَّ تهون

ثم هجا اليمن فى هذه القصيدة بقوله

(١) المكمهة الغراس الكثيرة والسحق الطويلة يريد النخل والجرين الحب المحصود

لأزد عمان بالمهلب نزوة　　اذا افتخر الأقوام ثم تلين
وبكر ترى أن النبوة أنزلت　　على مِسمَع فى الرَّحْم وهو جنين
وقالت تميم لا نرى أن واحداً　　كأحنفنا حتى المات يكون
فما لمت قيساً بعدها فى قتيبة　　ونخر به ان الفخار فنون

وانما نشأ أبو نُواس بالبصرة وليس له بدمشق قبل ولا بعد

ومما هجا به اليمن أيضاً قوله لهاشم بن حُديج

وردنا على هاشم مصره　　فبارت تجارتنا عنده

يقول فيها

رأيتك عند حضور الخِوان　　شديداً على العبد والعبدة
وتحتدّ حتى يخاف الجليس　　شذاك عليه من الحدة
وتخنم ذاك بفخر عليه　　بكِندة فاسلح على كندة
فان حديجاً له هجرة　　ولكنها زمن الردة
وما كان ايمانكم بالرسول　　سوى قتلكم صهره بعده
تعدونها في مساعيكمُ　　كعد الأهلة معتدة
وما كان قاتله في الرجال　　بجمل لطُهْر ولا رِشدة
فلو شهدته قريش البطاح　　لما محشت ناركم جلده (١)

وقوله أيضاً

ما منك سلمى ولا أطلالها الدُّرُس　　ولا نواطق من طير ولا خُرُس
يا هاشم بن حديج لو عددت أباً　　مثل القَلَمَّس لم يعلَق بك الدنس
اذ صبح الملكَ النعمانَ وافده　　ومن قُضاعة أسرى عنده حُبُس
فابتاعهم باخاء الدهر ما عمَروا　　فلم ينل مثلها من مثلهم أنس

١) المحش قشر الجلد عن اللحم

أو رحت مثل حُوَيّ فى مكارمه ... هيهات منك حُوَيّ حين يلتمس
أو كالسَّمَوْءَل اذ طاف الهمام به ... فى جحفل لَجِبِ الأصوات يرتجس
فاختار ثُكْلاً ولم يغدِر بذمته ... اذ قيل أشرف ترَ الأوداج تنبجس
ما زاد ذاك على تيه خصصت به ... وكيف يعدل غير السوءة الغرَس

وقوله

يا هاشم بن حديج ليس فخركمُ ... بقتل صهر رسول الله بالسَّدد
أدرجتمُ فى إهاب العَيْر جثته ... فبئس ما قدمت أيديكمُ لغد
ان تقتلوا ابن أبي بكر فقد قتلت ... حُجْرًا بدارة مَلحوب بنو أسد
وطرَّدوكم الي الأجبال من أجاء ... طرد النعام اذا ما تاه فى البلد
وقد أصاب شَراحيلا أبو حَنَش ... يوْمَ الكُلاب فما دافعتمُ بيد
ويوْمَ قلتم لزيد وهو يقتلكم ... قتل الكلاب لقد أبرحت من ولد
وكل كندية قالت لجارتها ... والدمع ينهلّ من مثنى ومنفرد
ألهى امرأ القيس تشبيب بغانيه ... عن ثأره وصفات النُّوْء والوتد

وكان أبو نُواس في أول دعوته ادعى أنه من ولد عبيد الله بن زياد بن ظَبيان من بنى عامر بن تيم اللات بن ذُهْل بن ثعلبة ، فقيل لأبى نواس ان الرجل الذى تدعى اليه لا عقب له فلو قلت انك من ولد أخيه أبان بن زياد قلنا معك ، فاستحيا أبو نُواس وهرب من بني تيم اللات وقد كان يراقبهم ، ثم طلب الأخبار واستعد وتفرغ عن المثالب والأنساب لمكان هـذه القضية وأقام لهذه الغلطة بالبصرة فى العطارين ، فاذا كان العشى أتى أبا عبيدة يسأله أخبار العرب وأيام الناس ، ثم اختلف الى أبى محمد خلَف الأحمر مولى الأشعريين فكان يسأله عن الشعر ومعانيه ، ورثى خلفا بعد موته بقصائد من شعره منها قصيدته التى أولها قوله

لو كان حيّ وائلاً (١) من التلف   لوائلت شغواء فى أعلى شعف
أم فُرُخ أحرزته فى لجف (٢)   مزغّب الألغاد لم يأ كل بكف
كأنه مستقعد من الخرف   هانيك أو عصياء فى أعلى شرف
تروغ فى الطُّباق (٣) والنّذْع الألفّ   أودى جميع العلم مذ أودى خلف
من لا يعدّ العلم الا ما عرف   قَلَيذَم (٤) من العياليم الخُسُف
كنا متى نشاء منه نغترف   رواية لا تُجتنى من الصحف

ومنها قوله يرثيه

لا تئل العُصْم فى الهضاب ولا   شَغْوَاء تغذو فرخين في لجف
يكنّهـا الجو فى النهار ويؤ   ويها سواد الدجى الى شرف
تحنو بجُؤْشوشها (٥) على ضَرِم   كقعدة المنحني من الخرف
ولا شَبوب (٦) باتت تؤرقه النّــثْرة منهـا بوابل قصف
دان على الأرض والوَصيد (٧) وفى   بهْو أمين الإياد ذى هدف
ديْدنه ذاك طول ليلته   حتى اذا انجاب عنه حاجب السّدف
غدا كوقف الهلوك ينهفت الـقِطقِط (٨) من منبتيه والكتف

(١) ناجيا والشغواء العقاب لزيادة منقارها الأعلى على الأسفل والشعف رءوس الجبال (٢) اللجف الغار فى الجبل وزغب صار ذا زغب وهو صغار الريش والالغاد جمع لغد بالضم وهو لحمة فى الحلق (٣) الطباق والنذع نوعان من الشجر (٤) القليذم البئر الغزيرة والعياليم جمع عيلم وهو البئر الكثيرة الماء والخسف جمع خسيفة وهى البئر التى حفرت في حجارة فنبع منها ماء غزير لاينقطع (٥) الجؤشوش الصدر والضرم فرخ العقاب (٦) الشبوب الشاب من الثيران والغنم والنثرة منزلة من منازل القمر (٧) الوصيد بيت كالحظيرة يتخذ من الحجارة للمال أى الغنم وغيرها في الجبال والاياد التراب يجعل حول الحوض أو الخباء يقوى به أو يمنع ماء المطر والهدف كل مرتفع من بناء أو كثيب رمل أو جبل (٨) القطقط المطر الصغير أو المتتابع العظيم القطر وقيل هو دون الرذاذ وقيل البرد أو صغاره وانهفت انخفض واتضع

كأن شذراً وهت معاقده بين صلاه فملعب الشنف
وأخدرىّ صُلْب النواهق صلـــصال أمين الفصوص والوُظُف
منفرد فى الفلاة توســـعه رياًّ وما يختليه من علف
ما ترك الموت من أولى شبحا بادت بتلك القلال والشّعَف
لما رأيت المنون آخذة كل شـديد وكل ذى ضعف
بت أعزى الفؤاد عن خلف وبات دمعى إلاّ يفض يكف
أنسى الرزايا ميت فُجعت به أمسى رهين التراب فى جدف
كان يُسنّى (١) برفقه غلقا فى غير عيّ منـــه ولا عنف
يجوب عنك التى عشيت بها من قبل حتى يشفيك فى لطف
لا يهم الحاء فى القراءة بالخا ء ولا لامهـــا مع الألف.
ولا يعمىّ معنى الكلام ولا يكون إنشاده عن الصحف
وكان ممن مضى لنا خلفاً فليس منه اذ بان من خلف

واختلف أبو نواس الى أبى زيد فكتب الغريب من الألفاظ ، ثم نظر فى نحو سيبويه ، ثم طلب الحديث فكتب عن عبد الواحد بن زياد وأزهر السّمّان وغيرهم فلم يتخلّف عن أحد وأدرك الناس فعلم ، ثم قدم بغداد بعد ذلك

وكان أيضاً يتنزر ويدعى للفرزدق ثم وقع بينه وبين الحكم بن قنبر المازنى فهجاه الحكم وذكر بريه العود وبغى عليه ونكبه ، ولما قال أبو نواس قصيدته التى يهجو بها خندف وهى

ألم تربع على الطلل الطّماس (٢) عفاه كل أسحم ذى ارتجاس
وذارى الترب مُرْتكم حصاه نسيج الميْث معنقة الدّهاس (٣)

(١) سناه تسنية سهله وفتحه (٢) طماس بالكسر دارسة والأسحم السحاب والارتجاس الرعد (٣) المعنقة حبل من الرمل

سوى سفْع أعارتها الليالى سواد الليل من بعد اغبساس (١)
وأورق حالفَ المثواة هابٍ كضاويِّ الفراخ من الهُلاس (٢)
منازل من عفُيْرة أو سليمى أو الدُّهماء أخت بني الِحماس
كأن معاقد الأوضاح منها بجيد أغنَّ نوَّم فى الكِناس
وتبسم عن أغرّ كأن فيه مُجاج سلافة من بيت راس
فمن ذا مبلغٌ عمراً رسولاً فقد ذكَّرت ودك غير ناس
فلم أهجرك هجر قِلًى ولكن نوائب لا تزال لها تقاسى
نوائب تعجز الأدباء عنها ويعيا دونها اللَّقِن النِّطاسى
وقد نافحت عن أحساب قوم همُ ورثوا مكارم ذى نُواس
فان تك أوقدت للحرب نار فما غطيت خوف الحرب راسى
سأُبلى خير ما أبلى محام اذا ما النبل أُلجم بالقِياس (٣)
وسَمت الوائلين بفاقرات بهن وسْمت رهط أبى فِراس
وقالت كاهل وبنو قُعَين حنانك اننا لسنا بناس
فما بال النعاج ثغت بشتمى وفى زَمَعاتهن دم الفراس
وماحامت عن الأحساب الا لترفع ذكرها بأبى نُواس

عارضه الحكم وهجاه فانقلب على النزارية وادعى أنه من حاء وحَكَم ، فزجره يزيد بن منصور الحميري خال المهدي وقال له أنت خُوزى فمالك ولحاء وحكم ؟ فقال له أنا مولى لهم ، فتركوه ، وقال بعضهم لبعض انه لظريف اللسان غزير العلوم فدعوه ، وبهذا الولاء يتعصب لنا ويكايد عنا ويهجو النزارية ، فكان كما قلوا وكما ظنوا ، فانقلب الى اليمن وعدل عن كنيته بأبى فراس وا كتنى بأبى نُواس تشبهاً

---

(١) الاغباس بياض فيه كدرة والسفع يريد بها الاثافى (٢) الهلاس الضمور والضاوى وهاب لونه لون الهباء (٣) جمع قوس

بكنية ذى نُواس كما كانت اليمن تكتنى ، وندم على هجاء اليمن ووجدهم له أنصر ولدعوته أقبل ، فاعتذر الى هاشم بن حديج الكِنْدِي من هجائه ومدح اليمن فقال

أهاشم خذ مني رضاك وان أتى ... رضاك على نفسي فغير ملوم
فأقسم ما جاوزت بالشتم والدى ... وعرضى وما مزقت غير أديمي
فعُذت بحَقْوَى هاشم فأعاذنى ... كريم أراه فوق كل كريم
وان امرأً أغضى على مثل زلّتى ... وان جرحت فيه لجِدّ حليم
تطاول فوق الناس حتى كأنما ... يَرَوْنَ به نجماً أمام نجوم
اذا امتازت الأحساب يوماً بأهلها ... أناخ الى عاديّة وصميم
الى كل معصوب به التاج مِقْوَل ... اليـــه أيادى عامر وتميم

وكان قبل أن ينتمي لليمن ويدعى لنزار يتعاجم في شعره ، فن ذلك قوله

فاسقنيها وغن صو ... تاً ، لك الخير ، أعجما
ليس في نعت دِمْنة ... لا ولا زجر أشأما

وقوله

ودار ندَامَى عطلوها وأدلجوا ... بها أثر منهم جديد ودارس
مساحب من جر الزقاق على الثرى ... وأضغاث رَيحان جنىٌّ ويابس
حبست بها صحبي فجددت عهدهم ... وانى على أمثال تلك لحابس
ولم أدر منهم غير ما شهدت به ... بشرقىّ ساباطَ الديار البَسابس
أقمنا بها يوماً ويوماً وثالثاً ... ويوماً له يوْم الترحل خامس
تدار علينا الراح فى عسجديّة ... حبتها بأنواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفى جنَبَاتها ... مهًى تدّريها بالقسِيِّ الفوارس
فللخمر[1] ما زُرّت عليه جيوبها ... وللماء ما دارت عليـه القلانس

(١) يعنى أن الخمر مصبوب فيها الى حلوق الصور صرفاً وقوله وللماء يعنى انهم صبوا الماء فى مزجها حتى علا رءوسها

وقوله يصف كَرْمة وعبر عنها بالهَجمة وهو يريد الدنان

لنا هَجمة لا يدرك الذئب سَخْلها ... ولا راعها نَزْو الفِحالة والخطَرْ
اذا امتحنت ألوانها مال صفوها ... الى الكُمْت الا أن أوبارها خضر
وان قام فيها الحالبون أتتهمُ ... بنجلاء[1] ثقب الجوف دِرتها الخمر
مسارحها الغربيّ من نهر صَرْصر ... فقُطْرَبُّل فالصالحيـــة فالعقر
تراث أبي ساسان كسرى ولم تكن ... مواريث ما أبقت تميم ولا بكر
قصرت بها ليـلى وليل ابن حرة ... له حسب زاكٍ وليس له وَفْ

وفي تعاجم أبي نواس فى شعره يقول الرَّقاشي يهجوه

نَبَطِيّ فاذا قيـــل له ... أنت مولى حكم قال أجَل
هو مولى الله اذ كان به ... لاحقاً فالله أعلى وأجل
واضعاً نسبته حيث اشتهى ... فاذا مارابه ريب رَحَل

فقال أبو نواس يهجوه

هجوت الفضل دهرى وهو عندى ... رقاشي كما زعم المســول
فلما سوئلت عنه رَقاش ... لنعــلم ما تقول وما يقول
ولمــا أن نصصناه اليها ... لتعــلم ما يقال وما نقول
وجدنا الفضل أبعد من رقاش ... من الأُتْن ادعت فيها الفُيول
وجدنا الفضل أكرم من رقاش ... لأن الفضل مولاه الرسول

يريد بذلك قوله صلى الله عليه وسلم أنا مولى من لا مولى له

وقال أيضاً يهجوه

قل للرَّقاشي اذا جئتـــه ... لو متَّ يا أحمق لم أهجُكا

---

(١) يريد بالنجلاء البزال وهو موضع سيل الشراب من المبزل

لأني أكرم عرضي ولا أقرنه يوماً الى عرضكا
ان تهجني تهج فتى ماجداً لا يرفع الطرف الى مثلكا
دونك عرضي فاهجه راشداً لا تدنس الأعراض من هجوكا
والله لو كنتُ جريراً لما كنت بأهجى لك من أصلكا

وقال أيضاً يهجوه

يا عربياً من صنعة السوق وصنعة السوق ذات تشقيق
ما رأيكم يا نزار في رجل يدخل فيكم من خلق مخلوق
ويحمل الوطب والعِلاب ولا يصلح الا لحمل ابريق
لقد ضربنا بالطبل أنك في الـــقوم صحيح وصيح في البوق
قد أخذ الله من رقاش على تركهم المجـــد بالمواثيق
فالناس يسعون للعلا قُدُماً وهم وراءه مكسرو السوق
هذا كذاكم وفي الهياج اذا هيج فما شئت من بواشيق

وقال أيضاً يهجوه

أصبح الفضـل ظاهر التيه وذاك مذ صرت أهاجيه
لله شـــعري أيّ مفواهة لكل مَنْ دوني قوافيه
كم بين فضل منذ هاجيته وبينـــه قبلُ أهاجيه
فالحمد لله وان كنت لم أحفل بقوم نصحوا فيه
رضيت أن يشتمني ساقط شبعي خيرٌ من مواليه

وكان أبو نواس في دعاويه يتماجن ويعبث ويخفي نسبه واسم امه لئلا يهجى ، وذلك مشهور عنه ولو غضب هو نفسه على أبيه لهجاه ولم يحتشم ، والمذكور من أمره أنه كان مولى الحكميين يفتخر باليمن ويمدحهم لذلك ويمدح العجم ويذكرهم لأنه منهم ، فلذلك قال في العجم ما قال

وصف العلماء لشعره

كان أبو عبيدة يقول ذهبت اليمن بجد الشعر وهزله ، امرؤ القيس بجده وأبو نواس بهزله ، وكان يقول ذهبت اليمن بجيد الشعر فى قديمه وحديثه ، امرؤ القيس في الأوائل وأبو نواس في المحدَثين ، وكان يقول شعراء اليمن ثلاثة امرؤ القيس وحسان بن ثابت وأبو نواس ، وقال أيضاً أبو نواس فى المحدَثين مثل امرىء القيس في المتقدمين فتح لهم هذه الفطن ودلهم على المعانى وأرشدهم الى طريق الأدب والتصرف في فنونه ، وكان يقول يعجبنى من شعر أبى نواس قوله

بنينا على كسرى سماء مُدَامة مكلَّلة حافاتهـــا بنجوم
فلو رُدَّ في كسرى بن ساسان روحه إذاً لاصطفانى دون كل نديم

وسئل يعقوب بن السِّكِّيت عما يختار روايته من أشعار الشعراء ، فقال اذا أردت من الجاهليين فلامرىء القيس والأعشى ، ومن الإسلاميين فلجرير والفرزدق ومن المحدَثين فلأبى نواس فحسب ، وقيل للعتبى من أشعر الناس ؟ قال عند الناس أم عندى ؟ قيل عند الناس ، قال امرؤ القيس ، قيل فعندك ، قال أبو نواس

وقال عبد الله بن محمد بن عائشة من طلب الأدب فلم يَرْوِ شعر أبى نواس فليس بتام الأدب ، وسئل من أشعر المحدَثين ؟ فقال الذى يقول

كأن ثيابه أطلعـــن من أزراره قمرا
يزيدك وجهه حسناً اذا ما زدته نظرا
بعين خالط التفتيـــر من أجفانها الحورا
ووجه سابريّ لو تصوَّب ماؤه قطرا
وقد خطَّت حواضنه له من عنبر طُرُرا

وقال ابراهيم بن العباس الطويل اذا رأيت الرجل يحفظ شعر أبى نواس علمت أن ذلك عنوان أدبه ورائد ظرفه

وكان أبو نواس يقول عن نفسه ، سفلت عن طبقة من تقدمني من الشعراء وعلوت عن طبقة من معى ومن يجيء بعدى فأنا نسيج وحدى

وحدث جماعة من الرواة ممن شاهد أبا نواس قالوا كان أقل ما فى أبي نواس قول الشعر وكان فحلاً راوية عالماً

وقال أبو عبيدة بلغنى أن أبا نواس يتعاطى قرض الشعر فتلقانى وهو سكران ماطرٌ شاربه بعد ، فقلت له كيف فلان عندك ؟ فقال ثقيل الظل ، جامد النسيم ، فقلت زد ، فقال مظلم الهواء منتن الفناء ، فقلت زد ، فقال غليظ الطبع بارد الشكل ، قلت زد ، فقال وخم الطلعة عسر القلعة ، قلت زد ، قال نائى الجنبات بارد الحركات ، قال فخففت عنه ، فقال زدنى سؤالاً أزدك جواباً ، فقلت كفى من القلادة ما أحاط بالعنق

وقال سليمان بن أبي سهل لأبى نواس ما الذى استجيد من أجناس شعرك ؟ فقال أشعارى في الخمر لم يقل مثلها ، وأشعارى فى الغزل فوق أشعار الناس ، وهما أجود شعرى ان لم يزاحم غزلي ما قلته فى الطرد ، وكان يقول ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة من العرب منهن الخنساء وليلى فما ظنك بالرجال ؟ وانى لأروى سبعمائة أرجوزة ما تعرف ، وكان قد استأذن خلفاً فى نظم الشعر فقال لا آذن لك في عمل الشعر الا أن تحفظ ألف مقطوع للعرب ما بين أرجوزة وقصيدة ومقطوعة ، فغاب عنه مدة وحضر اليه فقال له قد حفظتها ، فقال أنشدها ، فأنشده أكثرها في عدة أيام ، ثم سأله أن يأذن له في نظم الشعر ، فقال له لا آذن لك الا أن تنسي هذه الألف أرجوزة كأنك لم تحفظها ، فقال له هذا أمر يصعب على فانى قد أتقنت حفظها ، فقال له لا آذن لك الا أن تنساها ، فذهب الى بعض الدِّيرة وخلا بنفسه وأقام مدة حتى نسيها ، ثم حضر فقال قد نسيتها حتى كأن لم أكن قد حفظتها قط ، فقال له الآن فانظم الشعر

وكان أبو نواس يقول لا أكاد أقول شعراً جيداً حتى تكون نفسى طيبة وأكون في بستان مونَق وعلى حال ارتضيها من صلة أُوصَل بها أو وعد بصلة ، وقد قلت وأنا على غير هذه الحال أشعاراً لا أرضاها ، وكان يعمل القصيدة ثم يتركها أياماً ثم يعرضها على نفسه فيسقط كثيراً منها ويترك صافيها ولا يسره كل ما يقذف به خاطره ، وكان يهمه الشعر فى الخمر فلا يعمله الا في وقت نشاطه ، ولم يكن فى الشعر لا بالبطىء ولا بالسريع بل كان فى منزلة وسطى

وكان الأصمعى يقول يعجبني من شعر الشاعر بيت واحد قد أجاد قائله وهو

ضعيفة كَرّ الطرف تحسب أنها قريبة عهد بالافاقة من سقم

وانى لآتى الأمرَ من حيث يتقى ويعلم سهمى حين أنزع من أرمى

قال العتابي لرجلين تناظرا فى شعر أبى نواس والله لو أدرك الخبيث الجاهلية ما فضل عليه أحد

وقال أبو عمرو الشيبانى أشعر الناس في وصف الخمر ثلاثة الأعشى والأخطل وأبو نواس

قال محمد بن عمر لم يكن شاعر في عصر أبى نواس الا وهو يحسُده لميل الناس اليه وشهوتهم لمعاشرته وبعد صيته وظَرف لسانه

وقال أبو حاتم سئل أبو نواس عن شعره فقال اذا أردت أن أجدّ قلت مثل قصيدى « أيها المنتاب عن عُفُره » واذا أردت العبث قلت مثل قصيدى « طاب الهوى لعميده » فأما الذى أنا فيه وحدى وكله جيد فاذا وصفت الخمر

وقال أبو ذكوان كنا عند التوّزي فذكرت عنده أبا نواس فوضع منه بعض الحاضرين ، فقال له التوزي أتقول هذا لرجل يقول

يخافه الناس ويرجونه كأنه الجنة والنار

ويقول

ما فاته جود ولا حل دونه ... ولكن يصير الجود حيث يصير

ويقول

فتمشت في مفاصلهم ... كتمشى البرء فى السقم

قال ابن الاعرابى يوماً لجلسائه ما أشعرُ ماقال أبو نواس في الخمر؟ فقال بعضهم

اذا عبَّ فيها شارب القوم خلته ... يقبل فى داج من الليل كوكبا

وقال آخر

كأن كبرى وصغرى من فقاقعها ... حصباء درّ على أرض من الذهب

وقال آخر

ترى حيث ما كانت من البيت مشرقاً ... وما لم تكن فيه من البيت مغرب

وقال آخر

فكأن الكؤس فينا نجوم ... دائرات بروجها أيدينا

وقال آخر

صفراء لاتنزل الأحزان ساحتها ... لو مسها حجر مسته سراء

فقال ابن الأعرابى ان هذا كله لشاعر انفرد بالاحسان فيه ، وتقدم من سبقه ومن تأخر عنه ، ولكنه أشعر من هذا كله فى قوله

لا ينزل الليل حيث حلت ... فدهر شُرَّابها نهار

قال مسلم بن بهرام لقيت أبا العناهية فقلت له من أشعر الناس ؟ قال تريد جاهليتها أو اسلاميها أو مولدها ؛ قال كُلاًّ أريد ، قال الذى يقول فى المديح

اذا نحن أثنينا عليك بصالح ... فأنت كما نثني وفوق الذى نثنى

وان جرت الألفاظ يوماً بمِدحة ... لغيرك انساناً فأنت الذى نعنى

والذى يقول فى الزهد

ألا رب وجه فى التراب عتيق ... ويا رب حسن فى التراب رقيق

ويارب حزم في التراب ونجدة ... ويا رب رأى فى التراب وثيق
فقل لقريب الدار انك راحل ... الى منزل نائى المحل سحيق
وما الناس الا هالك وابن هالك ... وذو نسب فى الهالكين عريق
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو فى ثياب صديق

وكان يقول سبقنى أبو نواس الى ثلاثة أبيات وددت انى سبقته اليها بكل ما قلته فانه أشعر الناس فيها منها قوله

يا كبير الذنب عفو الله ... من ذنبك أكبر

وقوله

من لم يكن لله متهماً ... لم يمس محتاجاً الى أحد

وقوله

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو فى ثياب صديق

ثم قال قلت فى الزهد ستة عشر الف بيت وددت أن أبا نواس له ثلثها بهذه الأبيات

وقال الجاحظ سمعت النَّظام يقول وقد أنشد شعراً لأبى نواس ، كأن هذا الفتى جمع له الكلام فاختار أحسنه ، وقال بعضهم كأن المعانى حبست عليه فأخذ حاجته وفرق الباقى على الناس

وقال أبو حاتم كانت المعانى مدفونة حتى أثارها أبو نواس

ورد على العتابى بحلب عدة من الكبار من أهل قِنَّسْرِين فدخلوا وسلموا وكان فى يده رقعة ينظر اليها ، فقال لهم لقد سلك صاحب هذه الرقعة واديا ماسلكه أحد قبله ، فنظروا فاذا هو شعر أبى نواس فى جنان جارية آل عبد الوهاب الثقفى وهو قوله

ربعُ الكَرَى بين الجفون مُحيل ... عفَّى عليه بكى عليك طويل

يا ناظراً ما أقلعت لحظاته	حتى تشحَّط بينهن قتيل
أحللت قلبي من هواك محِلة	ما حلها المشروب والمأكول
بكمال صورتك التي من دونها	يتخير التشبيه والتمثيل
فوق القصيرة والقصيرة فوقها	دون السمين ودونها المهزول

ومما أنشده العتابى لأبى نواس فقال أحسن وأجاد

متتايه بجماله صَلِف	لا يستطاع كلامه تِيها
للحسن فى وجناته بدع	ما إن يَمَلّ الدرس قاريها
لو كانت الأشياء تعقله	أجْلَلْنه اجلال باريها
لو تستطيع الأرض لانقبضت	حتى يصير جميعه فيها

وقوله

ان السحاب لتستحيي اذا نظرت	الى نداك فقاسته بما فيها
حتى تهُم باقلاع فيمنعها	خوف من السخط من اجلال منشيها

وأنشد محمد بن صالح بن بيهس الكلابى قوله فى الزهد

أخى ما بال قلبك ليس ينقى ؟	كأنك لاتظن الموت حقا
ألا يا ابن الذين فنُوا وبادوا	أما والله ما ذهبوا لتبقى
وما للنفس عندك من مقام	اذا ما استكملت أجلاً ورزقا
وما أحد بزادك منك أحظى	ولا أحد بذنبك منك أشقى
ولا لك غير تقوى الله زاد	اذا جعلت الى اللَّهوات ترقى

وقوله فى رثاء محمد الأمين

طوى الموت ما بينى وبين محمد	وليس لما تطوى المنية ناشر
فلا وصل الا عبَرة تستديمها	أحاديث نفس مالها الدهرَ ذاكر
لئن عمرت دور بمن لا أوَدّه	لقد عمرت ممن أحب المقابر

وكنت عليه أحذر الموت وحده　　فلم يبق لي شيء عليه أحاذر

فقال بحق ماغلب هذا على أهل الأدب وقدموه على غيره

قال محمد بن جعفر كنا عند أبى نعيم فتذاكرنا قول عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها حين ذكرت شعر لبيد يرثى أخاه أَرْبَد

ذهب الذين يعاش في أكنافهم　　وبقيت فى خَلَف كجلد الأجرب

ولقد أنشدنى أبو نعيم أبياتاً ، قلنا أنشدناها فقال

ذهب الناس فاستقلوا وصرنا　　خَلَفاً فى أراذل النَّسناس

فى أناس نعُدّهم من عديد　　فاذا فتشوا فليسوا بناس

كلما جئت أبتغى الفضل منهم　　بدرونى قبل السؤال بياس

وبكوا لى حتى تمنيت أنى　　مُفْلت عند ذاك رأساً براس

ثم قال أتدرون لمن الشعر ؟ قلنا لا ، قال للحسن بن هانىء

قال أبو عبد الرحمن الضرير رأيت مسلم بن الوليد بجرجان وهو يتولاها فسألنى عمن خلفت من الشعراء ، فقلت له أما من الكوفيين فأبو نُواس وهو مقدم عندهم ، فقال ويحك كيف يتقدم وهو يقول « رويدك يا انسان لا أنت تقفز » أرأيت قوله تقفِز خرجت من بين فكَّي شاعر قط ؟ ثم قال ويلك وكيف يكون كذلك وهو يحيل ويتخطى من صفة المخلوق الى صفة الخالق ؟ فقلت مثل ماذا من قوله ، قال أما فيما أحال فكقوله

وأخَفْتَ أهل الشرك حتى انه　　لتخافك النُّطَف التى لم تخلق

وهذا من الاغراق المستحيل فى العقول ومما ليس على مذهب القوم ، وأما فى تخطيه بصفة المخلوق الى صفة الخالق فكقوله

يجلّ أن تلحق الصفات به　　فكل خلق لخلقه مثل

وكقوله

برىء من الأشباه ليس مثل

ومما قيل عن أبي نواس ان الشعر انمـا هو بين المدح والهجاء وأبو نواس لايحسنهما ، وأجود شعره فى الخمر والطرد ، وأحسن ما فيهما مأخوذ ليس له وانما سرقه ، وحسبك من رجل يريد المعنى ليأخذه فلا يحسن أن يبنى عليه حتى يجيء به قبيحاً مثل قوله « وداونى بالتي كانت هى الداء » أخذه من قول الأعشى « وأخرى تداويت منها بهـا » والذى أخذه منه أحسن ، ومنها أيضاً قوله « ان الشباب مطية الجهل » أخذه من قول النابغة الجعْدى « فان مطية الجهل الشباب » وقوله « كطلعة الأشمط من إهابه » أخذه من قول أبي النجم « كطلعة الأشمط من كسائه » ولـكن رزق أبو نواس فى شعره أن سار وحمـله الناس وقدمه أهل عصره وان له على ذلك لأشياء حساناً لا يدفعها ولا يطرحها الا جاهل بالـكلام أو حاسـد

ومن أحسن مدائح أبي نواس قوله من أرجوزة يمدح الفضل بن الربيع

أعيا مُجاريك الخطَرَ ... أبوكَ جَلَّى عن مُضَر
يوْم الرواق المحتضر ... والخوف يفْرِى ويذر
لما رأى الأمر اقمطَرّ[1] ... قام كريماً فانتصر
كهَزَّة العضْب الذكر ... ما مس من شيء هبَرْ
وأنت تقتاف الأثر ... من ذى حُجول وغُرُر
معيـد ورْد وصدَر ... وان علا الأمر اقتدر
فأين أصحاب الغمَرَ ... اذ شربوا كأس المقِر[2]
وقصروا فيمن قصر ... هيهات لا يخفى القمر
أصحرت[3] اذ دبُّوا الخمَرَ ... شكراً وحُرٌ من شكر

(١) اشتد (٢) المر (٣) أصحرت أى برزت الى الصحراء ودبوا الخمر أى مشوا مختفين والخمر ما سترك من شجر أو بناء أو نحوه

فالله يعطيك الشبر (١) وفى أعاديك الظفر
والله من شاء نصر وأنت ان خفنا الحصر (٢)
وهرّ دهر وكشر عن ناجذيه وبسر
أغنيت ما أغنى المطر وفيك أخلاق اليسر
فان أبوا الا العسر أمررت (٣) حبلاً فاستمر
حتى ترى تلك الزمر تهوى لأذقان الثغر (٤)
من جد ألوى (٥) لو نتر اليه طود لانأطر (٦)
صعب اذا لاقى أبر وان هفا القوم وقر
أو رهبوا الأمر جسر ثم تسامى ففغر
عن شقشق ثم هدر ثم تناجى نخطر
بذى سبيب وعذر يمضع أطراف الوبر
هل لك والهل خير فيمن اذا غبت حضر
أو نالك القوم ثأر وان رأى خيراً شكر
أو كان تقصير عذر

وقال يمدح العباس بن الفضل بن الربيع

ساد الملوك ثلاثة ما منهم ان حصّلوا الا أغرّ قريع
ساد الربيع وساد فضل بعده وعلت بعباس الكريم فروع
عباس عباس اذا احتدم الوغى والفضل فضل والربيع ربيع

وقال يمدح الفضل بن الربيع لما قدم بغداد على محمد الأمين بالأموال والقضيب والخاتم حين مات الرشيد ، وقد اشتد فرح الأمين به فقربه وألطفه وقلده الأمور

(١) الخير والقرة (٢) ضيق الصدر (٣) أى أحكمت فتله (٤) جمع ثغرة وهى نقرة النحر (٥) الألوى الشديد الخصومة (٦) اعوج وانثنى

وفوض اليه ما وراء بابه فهو الذى يولي ويعزل ويحل ويعقد عن محمد الأمين

لعمرك ما غاب الأمين محمد ... عن الأمر يعنيه اذا شهد الفضل
ولولا مواريث الخلافة انها ... له دونه ما كان بينهما فضل
لئن كانت الأجساد فيها تباينت ... فقولهما قول وفعلهما فعل
أرى الفضل للدنيا وللدين جامعاً ... كما السهم فيه الريش والفُوق والنَّصل

وقال وأجاد

ياقلب ويحك جِدٌّ منك ذا الكَلَف ... ومن كَلِفت به جافٍ كما تصف
وكان فى الحق أن يهواك مجتهداً ... كذاك خبر منا الغابرَ السلف
قل للمليح أما تروى الحديث بما ... خالفت فيه وقد جاءت به الصحف ؟
ان القلوب لأجناد مجندة ... لله فى الأرض بالأهواء تختلف
فما تعارف منها فهو مؤتلف ... وما تناكر منها فهو مختلف

وقال فى الاعتذار

رسولي قال أوصلت الكتابا ... فما ردوا عليك له جوابا
فقلت أليس قد قرؤا كتابى ... فقال بلى فقلت الآن طابا
فأرجو أن يكون همُ جوابى ... بلا شك اذا عرفوا خطابا
أجيد لك المنى يا قلب كيلا ... تموت على غمًّا واكتئابا

وقال يعتذر الى رحمة بن نجاح حين مرض ولم يعده

انى حُممت ولم أشعر بحمًّا كا ... حتى تحدث عوادى بشكواكا
فقلت ما كانت الحمى لتعهدنى ... من غير ما علة الا لحمَّاكا
وخصلة هي أيضاً يستدل بها ... عافانى الله منها حين عافاكا
أما اذا اتفقت نفسى ونفسك في ... هذا وذاك وفي هذا وفي ذاكا
فكن لنا رحمة نفسى فداك ولا ... تكن خلافاً لما ذو العرش سماكا

فقد علمت يقيناً أو ستعلمه   صنيع حبك في قلبي وذكراكا

وله في عزة النفس

ومستعبد اخوانه بثرائه   لبست له كبراً أبرّ على الكبْرْ
اذا ضمني يوماً وإياه محْفِل   يرى جانبي وَعْراً يزيد على الوعر
أخالفه في شكله وأجره   على المنطق المبرور والنظر الشّزْر
وقد زادني تيهاً على الناس أنني   أراني أغناهم وان كنت ذا فقر
فوالله لا يبدي لساني لَجَاجة   الى أحد حتى أُغَيّب في قبري
فلا يطمعن في ذاك منيَ طامع   ولا صاحب التاج المحجب في القصر
فلو لم أرِثْ فخراً لكانت صيانتي   عن الناس حسبي من سؤالي من الفخر

وله أيضاً في معنى ذلك

لا أعير الناس سمعي   ليعيبوا لي حبيبا
لا ولا أحفظ منهم   لأخلائي العيوبا
فاذا ما كان كون   قمت بالغيب خطيبا
أحفظ الاخوان كيما   يحفظوا مني المغيبا

وقال يعاتب عمرا الوراق

يا من جفاني وملاَّ   نسيت أهلاً وسهلا
ومات مَرْحَبُ لما   رأيت مالي قلاَّ
اني أظنك تحكي   فيما فعلت القرِلَّ (١)
تلقاه في الشر ينأى   وفي الرخا يتدلى

(١) القرلى مولى كان لحمير وكان لا يسمع لأحد شيئاً الا جاء اليه وداخله ولا يتخلف عن طعام لأحد واذا سمع بخصومة لم يقرب ذلك فضرب به المثل حتى قيل لطير من طيور الماء يوفى عليه ، القرلى

وقال يخاطب أبان بن عبد الحميد قبل أن يتهاجيا

أأبان نكّبٌ عن عداوتنا — لك غير قرع صفاتنا لهو
انى يزيدك أن تصيرٌ لي — شغلاً هجاءك انني خلو

وقال يصف نديماً

ومستطيل على الصهباء باكرها — في عصبة باصطباح الراح حُذّاق
حتى حساها فلم يلبث وما لبثت — أن خرّ ميتاً صريعاً ماله واق
فكل كف رآها ظنها قدحاً — وكل شخص رآه ظنه الساقى

لما عمل أبو نواس قصيدته التى أولها « مستعبد اخوانه بثرائه » بلغت الأمين فبعث اليه وعنده سليمان بن أبى جعفر ، فلما دخل عليه افترى عليه وقال يامدعى ولاء حاء وحكم أتدري من توليت ؟ والى من ادعيت ؟ الى ألأم قبيلتين في اليمن علوج باغين ، أنت تكتسب بشعرك أوساخ أيدى الناس اللئام وتقول « ولا صاحب التاج المحجب فى القصر » أما والله ما نلت مني شيئاً بعد ذلك أبداً ، فقال له سليمان بن أبي جعفر إِيْ والله ثم هو مع هذا من كبار الثنوية « وكان يرمى بذلك » ، فقال له الأمين وهل يشهد عليه شاهد بشىء من ذلك ؟ فأتاه سليمان بعدة نفر ، فشهدوا عليه أنه شرب فى يوم مطير ، فوضع قدحه تحت السماء فى المطر ، فوقع فيه المطر ، فقالوا له ما تصنع بذلك ويحك ؟ قال أنتم تزعمون أنه ينزل مع كل قطرة ملَك ، فكم ترانى أشرب الساعة من الملائكة ؟ ثم شرب ما فى القدح ، فغضب الأمين وأمر به الى السجن ، وذلك قول أبي نواس

يارب ان القوم قد ظلمونى — وبلا اقتراف معطّلٍ حبسونى
والى الجحود بما عرفت خلافه — ربى اليك بكذبهم نسبونى
ما كان الا الجرى فى ميدانهم — فى كل خزى والمجانة دينى
لا العذر يقبل لي ويفرق شاهدى — منهم ولا يرضَوْن حلف يميني

ما كان لو يدرون أول مخبأ في دار منقصة ومنزل هون
أما الأمين فلست أرجو دفعه عني فمن لي اليوم بالمأمون ؟

فبلغت أبياته المأمون فقال والله لئن لحقته لأغنينَّه غنى لا يؤمله ، فمات قبل دخول الأمين بغداد

وقال يصف نديماً

وغرير الشباب محتبك الحسـن على جيده مناط التَّميم
قد غذاه النعيم فاحمرت الوجـنة منه على فساد الحلوم
فهو عفّ الجفون فى النظر العمـد حذاراً على فؤاد النديم
يتثنى اذا مشى فهو لدْن فى اعتدال بجودة التقويم
أندبت كفه الزجاجة وهْناً فهي فيها جراح تلك الكلوم
فهو الراحل المطى الينا من أباريق قهوة الخرْطوم
بنت كرْم أباحها كرم الجو هر منه ورقة فى الأديم
تلحق الظبي والظليم من الجر ى وتزرى بكربة المغموم
ونديم فديته من نديم وجهه جالب لكل نعيم
مج في الكأس ريقه وسقاني من شراب معتق مختوم

ومن قوله يعاتب عمرا الوراق

يا واضعاً بيْض القطا تحت الزمامج (١) للفراخ
لو أيقنت ما تحتهـا لم تأْلُ من نقر السِّباخ (٢)
يا غارساً بيمينـه شجر الحفاظ على السباخ
فسـد الخلائق كلهم فانظر لنفسك من تؤاخى

(١) الزمامج جمع زمجى كزمكى أصل ذنب الطائر (٢) هو الصباخ

وقاله أيضاً يعاتبه

يا مادح القوم اللئـا م وطالباً رِفد الشِّحاح
اشغل قريضك بالنسيـب وبالفُكاهة والمزاح
حدثت وجوه ليس تأ لم غير أطراف الرماح
وأكف قوم ليس ينـ ـبط ماءها غير المساحي
ما شئت من مالٍ حِمَى يأوِى الى عرض مُماح

عزم عيسى بن أبي جعفر المنصور على أبي نواس أن يقيم معه بالقُفْص أسبوعاً وحمله وخلع عليه ووصله ، فلما أقاموا الاسبوع وأرادوا الانصراف قال له بحياتى عليك صف مجلسنا هذه الأيام كلها التى أقمناها ، فأنشأ يقول

يا طيبنا بقصور القُفْص مشرقة فيها الدَّساكر والأنهار تطَّرد
لما أخذنا بها الصهباء صافية كأنها النار وسط الكاس تتقد
جاءتك من بيت خمار بطينتها صفراء مثل شعاع الشمس ترتعد
فقام كالغصن قد شدت مناطقه ظبي يكاد من التهييف ينعقد
فاستلها من فم الابريق فانبعثت مثل اللسان جرى واستمسك الجسد
فلم نزل فى صباح السبت نأخذها والليل أجمعه حتى بدا الأحد
ثم ابتدأنا الطِّلا باللهو من أَمَم فى نعمة غاب عنها الضيق والنكد
حتى بدت غرة الاثنين واضحة والسعد معترض والطالع الأسد
وفى الثلاثاء أعملنا المطي بهـا صهباء ما قرَّعتهـا بالمزاج يد
والأربعاء كسرنا حدّ سوْرتها والكأس يضحك في تيجانها الزَّبد
ثم الخميس وصلنـاه بليلته قصفاً وتم لنـا بالجمعة العدد
يا حسننا وبحار القصف تغمرنا فى لجة الليل والأوتار تغترد
في مجلس حوله الأشجار محدقة وفى جوانبه الأنهـار تطرد

لا نستخف بساقينا لغرته ... ولا يرد علينا حكمه أحد
عند الأمير أبي عيسى الذي كملت ... أخلاقه فهي كالأوراق تنتقد

ولما أنشد الأمين قصيدته التي يقول فيها

أيا دارها بالماء حتى تلينها ... فلن تكرم الصهباء حتى تهينها
أغالي بها حتى اذا ما ملكتها ... أهنت لاكرام الخليل مصونها
وصفراء قبل المزج بيضاء بعده ... كأن شعاع الشمس يلقاك دونها
ترى العين تستعفيك من لمعانها ... وتحسر عنها حتى ما تقل جفونها
تروع بنفس المرء عما يسوءه ... ويخذله ألا يزال قرينها
كأن يواقيتاً رواكد حولها ... وزرق سنانير تدير عيونها
وشمطاء حل الدهر منها بنجوة ... دلفت اليها فاستللت جنينها
كأنا حلول بين أكناف روضة ... اذا ما سلبناها مع الليل طينها

قال له ألم أنهك عن شرب الخمر؟ قال بلى والله يا أمير المؤمنين والله ما شربتها مذ نهيتني عنها ومنعتني من شربها وأنا الذى أقول

أيها الرائحان باللوم لوما ... لا أذوق المدام إلا شميما
نالني بالملام فيها امام ... لا أرى لى خلافه مستقيما
فاصرفاها الى سواى فانى ... لست الا على الحديث نديما
كبر حظى منها اذا هى دارت ... أن أراها وأن أشم النسيما
فكأنى وما أزين منها ... قعدى يحسن التحكيما
كل عن حمله السلاح الى الحـرب فأوصى المقيم ألا يقيما

وأنشده يمدحه

ألا يا خير من رأت العيون ... نظيرك لا يحس ولا يكون
وفضلك لا يحد ولا يجارى ... ولا تحوى حيازتها الظنون

فأنت نسيج وحدك لا شبيه نحاشيه عليك ولا خدين
خلقت بلا مشاكلة لشيء فأنت الفوق والثقلان دون
كأن الملك لم يك قبل شيئاً الى أن قام بالملك الامين

ومن قوله يصف حراقة ركبها الأمين وكانت على مثال الأسد

سخر الله للأمين مطايا لم تسخر لصاحب المحراب
فاذا ما ركابه سرن بحراً سار في الماء راكباً ليث غاب
أسداً باسطاً ذراعيه يعدو أهرت الشدق كالح الأنياب
لا يعانيه باللجام ولا السو ط ولا غمز رجله في الركاب
عجب الناس اذ رأوك على صو رة ليث تمر مر السحاب
سبحوا اذ رأوك سرت عليه كيف لو أبصروك فوق العقاب
ذات زور ومنسر وجناحيـ ـن تشق العباب بعد العباب
تسبق الطير في السماء اذا ما اسـ ـتعجلوها بجيئة وذهاب
بارك الله للأمين وأبقا ه وأبقى له رداء الشباب
ملك تقصر المدائح عنه هاشمي موفق للصواب

قال الحسن بن أبي المنذر لما قال أبو نواس

ديار نوار ما ديار نوار كسونك شجواً هن منه عوار

يمدح بها العباس بن عبد الله بن جعفر أنشدت للرشيد الى أن سمع قوله

يقولون في الشيب الوقار لأهله وشيبي بحمد الله غير وقار

فأمر الرشيد باحضاره وقال له ويلك أتخالف الاسلام في شيء من أمرك ؟ قال وماذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يشيب الرجل المؤمن شيبة في الاسلام الا كانت له حجاباً من النار » وتقول أنت كذا وكذا ؟ وما أظنك الا على غير دين الاسلام ، فمن أين زعمت انه غير وقار ؟

فقال يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك انظر الى البيت الذى بعده ، فقال ماهو ؟ قال

اذا كنت لا أنفك عن أرْيَحية الى رَشَاً يسعي بكأس عُقار

انما قلت « وشيبي بحمد الله غير وقار » اذا كنت على هذه الحال وأشباهها لما أجاوز به من تعجيل الذنوب وتأخير التوبة ، قال أنت أعلم بخبث لسانك وسريرتك وقبيح عملك فمن ثم شهدت بما شهدت به على نفسك

دخل أبو نواس بعد ما نسك على قوم من اخوانه عندهم شراب ومغن فعرضوا عليه الجلوس فأبى ، وأخذ الدواة والقرطاس وكتب

اذا لم تنه نفسك عن هواها وتحسن صونها فاليك عني
فاني قد شبعت من المعاصي ومن ادمانها وشبعن مني
ومَنْ أسوا وأقبح من لبيب يري متطرّزاً في مثل سني ؟

ومن شعر أبي نواس

عفَّى المصلَّى وأقوت الكُثُب مني فالمِرْبدان فاللهب
منازل قد عمرتها يفعا حتى بدا في عذارى الشهب
في فتية كالسيوف هزهمُ شَرْخ شباب وزانهم أدب
ثم أراب الزمان فانقسموا أيدى سبَا فى البلاد فانشعبوا
لن يخلف الدهر مثلهم أبداً عليَّ هيهات شأنهم عجب
لما تيقنت أن روحتهم ليس لها ما حييت منقلَب
أبليت صبراً لم يُبْلِه أحد واقتسمتني مآرب شعب
لذاك انى اذا رزئت أخاً فليس بيني و بينه نسب(١)
قُطْرَبُّل مربعى ولي بقرى الكرْ خ مصيف وأمى العنب
ترضعني درها وتلحفنى بظلها والهجير يلتهب

(١) يريد أن مواخاته على المجون فلا يبكي صاحبه

اذا ثنته الغصون جللني فينان (١) مافى أديمه جرب
تبيت فى مأتم حمائمه كما تراءى الفواقد السُّلُبُ
يهب شوقى وشوقهن معا كأنما يستخفنا الطرب
فقمت أحبو الى الرضاع كما تحامل الطفل مسه السغب
حتى تخيرت بنت دسكرة قد عجمتها السنون والحقب
هتكت عنها والليل معتكر مهلهل النسج ماله هُدُب
من نسج خرقاء لاتشد لها أخيةً فى الثرى ولا طُنُبُ
ثم توجأت خصرها بشبا الإشــــفى فجاءت كأنها لهب
فاستوسق الشرب للندام وأجــــراها عليهن اللجين والضرب
أقول لما تحاكيا شبهاً أيهما للتشــابه الذهب
هما سواء وفرق بينهما انهما جامد ومنسكب
ملس وأمثالها محفرة صور فيها القسوس والصلب
يتلون انجيلهم وفوقهم سماء خمر نجومها حبب
كأنهـــا لؤلؤ تبدده أيدى عذارى أفضى بها اللعب

ومن جيد شعره قوله لما منعه الأمين من شرب الخمر وذلك أن المأمون أمر الخطباء بخراسان أن يعيبوا الأمين بشعر أبى نواس ويقولون هو جليسه ونديمه وينشدون على المنابر شعره فمنعه الأمين فقال

غننا بالطلول كيف بلينا واسقنا نعطك الثناء الثمينا
من سُلاف كأنه كل طيب يتمنى مخبر أن يكونا
أكل الدهر ما تجشم منها وتبقى لبابها المكنونا
ثم شجّت فاستضحكت عن لآل لو تجمعن فى يد لاقتنينا

(١) الفينان الظل الكثيف والجرب أى لاخلل فيه

وإذا ما لمستها فهباء … يمنع الكف ما يبيح العيونا
في كؤوس كأنهن نجوم … باديات كأنها أيدينا
طالعات مع السقاة علينا … فاذا ما غربن يغربن فينا
لو ترى الشرب حولها من بعيد … قلت قوم من قرة يصطلونا
وغزال يديرها ببنان … ناعمات يزيدها العسر لينا
ذاك عيش لو دام لي غير أني … عفته مكرهاً وخفت الأمينا
أدر الكاس حان أن يسقينا … وانقر العود انه يلهينا
ودع الذكر للطلول اذا ما … دارت الكأس يسرة ويمينا

ومن قول أبي نواس يمدح العباس بن عبد الله بن جعفر بن أبي جعفر

غرد الديك الصدوح … فاسقني طاب الصبوح
اسقني حتى تراني … حسناً عندي القبيح
قهوة تذكر نوحاً … حين شاد الفلك نوح
نحن نخفيها ويأبى … طيب عرف فيفوح
فكأن القوم نهبى … بينهم مسك ذبيح
أنا في دنيا من العبـ … ـاس أغدو وأروح
هاشمي عبدلي … عنده يغلو المديح
علم الجود كتاب … بين عينيه يلوح
كل جود يا أميري … ما خلا جودك ريح
انما أنت عطايا … أبداً ما تستريح
بح صوت المال مما … منك يشكو ويصيح
ما لهذا أحد فو … ق يديه أو نصيح

جدتَ بالأموال حتى قيل ما هـذا صحيح
فهو بالمـــال جواد وهو بالعِرْض شحيح
صور الجود مثالاً وله العباس روح

قال محمد بن عيينة لقيت أبا نواس بعسكر مُكْرَم فقلت له أحب أن تنشدنى من شعرك شيئاً تَضَنّ به على غيرى فأنشدنى

يكفى الكريمَ من الكلا م لمن يحادثه أقـله
والشىء شىء لم يزل بأدقه يأتى أجـلُّه
ان لم يصبك من الكريـــم الحر وابله فطلُّه
يبدى مكارمه كما يبدى فرِنْد السيف سلُّه
والنـذل يوقع نفسه متعمـداً فيما يُذِله
والحر يكرم نفسـه بالصفح عمن لا يجله

وقال أبو نواس يمدح الأمين

صببت على الأمين ثياب مدحي فـكل الناس حسَّن واستجادا
ولولا فضله ما جاد شـعرى ولا أعطتنيَ الفطن القيادا
وقالوا قد أجدت فقلت انى وجدت القول يمكنني فجادا

ومن خمرياته

ذكر الصَّبوح بسُحْرَة فارتاحا وأمله ديك الصباح صياحا
أوفي على شرف الجدار بسُدْفة غَرِداً يصفق بالجناح جناحا
فأدر صباحك بالصَّبوحَ ولا تكن كمسوِّفين غدَوْا عليك شِحاحا
ان الصبوح جلاء كل مخمر بدرت يداه بكأسه الاصباحا
وخدينِ لذات معلل صاحب تقتات منه فُكاهة ومزاحا
نبهته والليـــل ملتبس به وأزحت عنـه نعاسه فانزاحا

قل ابغني المصباح ، قلت له اتئد حسبي وحسبك ضوؤها مصباحا
فسكبت منها فى الزجاجة شربة كانت له حتى الصباح صباحا
من قهوة جاءتك قبل مزاجها عُطُلاً فألبسها المزاج وشاحا
شك البُزال فؤادها فكأنها أهدت اليك بريحها تفاحا
صفراء تفترس الفِراس فلا ترى منها بهن سوى السُّبات جراحا

ومنها

لا تبك ليلى ولا تطرب الى هند واشرب على الورد من حمراء كالورد
كأساً اذا انحدرت فى حلق شاربها أجْدَته حمرتها في العين والخد
فالخمر ياقوتة والكأس لؤلؤة من كف لؤلؤة ممشوقة القد
تسقيك من طرفها خمراً ومن يدها خمراً فما لك من سكرين من بد
لي نشوتان وللندمان واحدة شيء خصصت به من دونهم وحدى

كان الأصمعى يفضل أبا نواس على شعراء زمانه بهذه القصيدة

أما ترى الشمس حلت الحملا وطاب وقت الزمان واعتدلا
وغنت الطير بعد عجمتها واستوفت الخمر حولها كملا
واكتست الأرض من زخارفها وَشْيَ ثياب تخاله حُللا
فاشرب على جدّة الزمان فقد أصبح وجه الزمان مقتبلا
من قهوة تذهب الهموم فلا أرهب فيها الملام والعذلا
كرْخية تترك الطويل من العيـــش قصيراً وتبسط الأملا
تلمع لمعَ السّراب فى قدح الـــقوم اذا ما حبا بها انفصلا
يقول صرّف اذا مزجت له من لم يكن للكثير محتملا
فسقّ هـــذا بقدر طاقته واحمل على ذا بقدر ما احتملا
عجنا بشيئين من طبائعها حسن وطيب ترى به المثلا

كان أبو نواس لا يستنشد شيئاً من شعره الا أنشد هذه القصيدة

وخَيْمة ناطور (١) برأس مُنيفة ... تهُمّ يدا من رامها بزليل
اذا عارضتها الشمس فاء ظلالها ... وان واجهتها آذنت بدخول
حططنا بها الأثقال فَلّ (٢) هَجيرة ... عبُورِية تذكى بغير فتيل
تأنت (٣) قليلاً ثم فاءت بمَذْقة ... من الظل فى رَثّ الأَباء ضئيل
كأنا لديها بين عطفَى نعامة ... جفا زَوْرها عن مَبْرَك ومقيل
حلبت لأصحابى بها درة الصبا ... بصهباء من ماء الكروم شَمُول
اذا ما أتت دون اللَّهاة من الفتى ... دعا همَّه من صدره برحيل
فلما توفى الشمس جنح من الدجى ... تصابيت واستجملت غير جميل
وعاطيت من أهوى الحديث كما بدا ... وذللت صعباً كان غير ذليل
ففنى وقد وسَّدْت يسرای خده ... ألا ربما طالبت غير مُنِيل
وأنزلت حاجاتى بحَقْوَى مساعد ... وان كان أدنى صاحب وخليل
وأصبحت ألحى السكر والسكر محسن ... ألا رب احسان عليك ثقيل
كفى حزناً أن الجواد مقتَّر ... عليه ولا معروف عند بخيل
سأبغى الغنى إما جليس خليفة ... يقوم سواء أو مخيف سبيل
بكل فتى لا يستطار جنانه ... اذا نوه الزحفان باسم قتيل
لنخمس مال الله من كل فاجر ... أخى بطنة للطيبات أكول
ألم تر أن المال عون على الندى ... وليس جواد مقتر كبخيل

(١) الناطور حافظ النخل والكرم والزرع (٢) أى منهزمى هاجرة وعبورية نسبها الى الشعرى العبور وأيام طلوعها أيام الحر الشديد (٣) يعنى الشمس أى توقفت فى الجو عند زوالها وفاءت بمذقة أى دخلت عليهم من تلك الخيمة الخلقة التى ثبتت على الأباء الضعيف من القصب الرث فلم تقو الشمس عليهم ولم تمنعهم الخيمة بستر قوى فيصير ظلا ولكنه شمس وظل فشبهت بالممذوق من اللبن أى الممزوج

فان استزيد أنشد هذه القصيدة الأخرى

كان الشباب مطية الجهل ومحسن الضحكات والهزل

كان الجمالَ اذا ارتديت به ومشيت أخطِر صيت النعل

كان البليغَ اذا نطقت به وأصاخت الآذان للمملى

كان المشفع فى مآربه عند الفتاة ومدرك التَّبْل

والآمرى حتى اذا عزمت نفسى أعان يدىّ بالفعل

فالآن صرت الى مقاربة وحططت عن ظهر الصبار حلى

والراح أهواها وان رزأت بُلَغَ المعاش وقلت فضلى

صفراء مجّدها مَرازبها جلت عن النظراء والمثل

ذخرت لآدم قبل خلقته فتقدمته بخطوة القبل

فأتاك شيء لا تلامسه الا بحسن غريزة العقل

فترود منها العين فى بشر حُرّ الصفيحة ناصع سهل

فاذا علاها الماء ألبسها حبباً شبيه جلاجل الحِجْل

حتى اذا سكنت جوامحها خطت بمثل أكارع النمل

خطين من شتى ومجتمع غُفْلٍ من الإعجام والشكل

فاعذِرْ أخاك فانه رَجل مَرَنت مسامعه على العذل

ومن طيب شعره والشطر الأول من القصيدة لفظ ابن الدُّمينة

أعاذل ما على وجهى قُتوم ولا عرضى لأول من يسوم

يفضلني على الفتيان أنى أبيت فلا ألام ولا ألوم

أعاذل ان يكن بُرْدَاى رَثّاً فلا يَعْدَمْك بينهما كريم

شُققت من الصبا واشتُقَّ مني كما اشتقت من الكَرَم الكروم

فلست أسوم للذات نفسى ميـاومة كما دفع الغريم

ومتصلٍ بأسباب المعالى ... له في كل مكرُمة قديم
رفعت له النداء بقُمْ نخذها ... وقد أخذت مطالعها النجوم
بتفدية تزال النفس فيها ... وتمتهن الخؤولة والعموم
فقام وقت من أخوين هاجا ... على طرب وليلهما بهيم
أجر الزِّق وهو يجر رجلا ... يجور به النعاس ويستقيم
سل النَّدمان ما أولته منها ... وسلها ما احتوى منها الكريم
كلا الشخصين منتصف ولكن ... قضت وَطَراً وذامها سقيم

وقال

انى صرفت الهوى الى قمر ... لم تبتذله العيون بالنظر
اذا تأملته تعاظمك آلـ ... إقرار انه من البشر

ومن قوله

يا شقيق النفس من حكَم ... نمتَ عن ليلى ولم أنم
فاسقنى البكر التى اختمرت ... بخمار الشيب في الرحم
ثُمت انصات الشباب لها ... بعد ما جازت مدى الهرم
فهي لليوم التى بُزِلت ... وهي ترب الدهر فى القدم
عتُقت حتى لو اتصلت ... بلسان ناطق وفم
لاحتبت فى القوم ماثلة ... ثم قصت قصة الأُمم
فرعتها بالمزاج يد ... خلقت للسيف والقلم
فى ندامَى سادة زهر ... أخذوا اللذات من أمم
فتمشت فى مفاصلهم ... كتمشى البرء في السقم
فعلت في البيت اذ مزجت ... مثل فعل الصبح في الظلم
فاهتدى سارى الظلام بها ... كاهتداء السَّفْر بالعلم

ومن طرديات أبي نواس في صفة الكلب

أنعت كلباً أهلُه من كَدّه ... قد سعدت جدودهم بجده
فكل خير عندهم من عنده ... وكل رفد نالهم من رِفده
يظَلّ مولاه له كعبده ... يبيت أدنى صاحب من مهده
وان عري جلّله ببرده ... ذا غُرة محجلاً برنده
تَلَذّ منه العين حسن قده ... يا حسن شدقيه وطول قده
تلقى الظباء عنتاً من طرده ... يشرب كأساً شدها من شده
يا له من كلب نسيج وحده

أبو نواس وجنان

كانت جنان هذه جارية آل عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي ، وكانت حلوة جميلة المنظر أديبة ، ويقال ان أبا نواس لم يصدق في حب امرأة غيرها ، وقيل له يوماً ان جنان قد عزمت على الحج فكان هذا سبب حجه وقال أما والله لا يفوتني المسير معها والحج عامي هذا ان أقامت على عزيمتها ، وقال وقد حج وعاد

ألم تر أنني أفنيت عمري ... بمطلبها ومطلبها عسير
فلما لم أجد سبباً اليها ... يقربني وأعيتني الامور
حججت وقلت قد حجت جنان ... فيجمعني وإياها المسير

قال من شهده حين حج مع جنان وقد أحرم لما جنه الليل جعل يلبي بشعر ويحدو به ويطرب ، فغنى به كل من سمعه وهو قوله

الهنا ما أعدلك ... مليك كل من ملك
لبيك قد لبيت لك ... لبيك ان الحمد لك
والملك لا شريك لك ... والليل لما أن حلَك

والسابحات في الفلك   على مجارى المنسلك
ما خاب عبد أملك   أنت له حيث سلك
لولاك يارب هلك   كل نبى وملَك
وكل من أهلّ لك   سبح أو لبى فلك
يا مخطئاً ما أغفلك   عجل وبادر أجلك
واختم بخير عملك   لبيك ان الملك لك
والحمد والنعمة لك   والعز لاشريك لك

وفيها يقول

جفن عينى قد كاد يسـ   ـقط من طول ما اختلج
وفؤادي من حرّ حبـ   ـك والهجر قد نَضَج
خبريني فدتك نفـ   ـسى وأهلى متى الفرج
كان ميعادنا خرو   ج زياد فقد خرج
أنت من قتل عائذ   بك في أضيق الحرج

كانت جنان قد شهدت عرساً في جوار أبى نواس ، فانصرفت منه وهو جالس مع أصحابه فرآها فأنشدهم بديهاً قوله

شهدت جلْوَة العروس جنان   فاستمالت بحسنها النظارة
حسبوها العروس حين رأَوْها   مادهانا بها سواكِ عمارة (١)

غضبت جنان من كلام كلمها به أبو نواس ، فأرسل يعتذر اليها ، فقالت للرسول قل له « لابرح الهجران رَبْعك ، ولا بلغت أملك من أحببتك » فرجع اليه الرسول فسأله عن جوابها فلم يخبره ، فقال

فديتك فيم عتْبك من كلام   نطقت به على وجه جميل

---

(١) هى زوج عبد الرحمن الثقفى وهى مولاة جنان

وقولك للرسول عليكَ غيري ... فليس الى التواصل من سبيل
فقد جاء الرسول له انكسار ... وحالٌ ما عليها من قبول
ولو ردت جنان مَرَدَّ خير ... تبين ذاك في وجه الرسول

وكان أبو نواس صادقاً في محبة جنان من بين من كان ينسب به من النساء ويداعبه ، وكان لها محباً ولم تكن تحبه ، فما عاتبها به حتى استمالها بصحة حبه لها فصارت تحبه بعد نُبُوِّها عنه قوله

جِنان ان جُدْتِ يا مناى بما ... آمل لم تقطر السماء دما
وان تَمادَيْ ولا تماديت فى ... منعك أُصبح بقفرة رِمَما
عَلِقت من لو أتى على أنفس الماضين ... والغابرين ما ندما
لو نظرت عينه الى حجر ... وَلَّد فيه فتورها سقَمَا

مرَّت به امرأة ممن يداخل الثقفيين ، فسألها عن جنان وألحف فى المسألة واستقصى ، فأخبرته خبرها وقالت قد سمعتها تقول لصاحبة لها من غير أن تعلم أنى أسمع « ويحك قد آذانى هذا الفتى وأبرمني وأحرج صدري وضيق عليَّ الطرق بحِدّة النظر وتهتكه ، فقد لهِجَ قلبى بذكره والفكر فيه من كثرة فعله لذلك حتى رحمته » ، ثم التفت فأمسكت عن الكلام ، فَسُرَّ أبو نواس بذلك ، فلما قامت المرأة أنشأ يقول

يا ذا الذى عن جنان ظل يخبرنا ... بالله قل وأَعِدْ ياطيب الخبر
قال اشتكتك وقالت ما ابتُليت به ... أراه من حيث ما أقبلت فى أثرى
ويُعمل الطرف نحوي ان مررت به ... حتى ليُخْجِلني من حِدّة النظر
وان وقفت له كيما يكلمني ... فى الموضع الخلو لم ينطق من الحصَر
مازال يفعل بى هذا ويُدْمنه ... حتى لقد صار من همى ومن وطَرى

مرَّ به محمد بن حفص التيمى وقد خلا بامرأة يكلمها وكانت قد جاءته برسالة جنان ، فقال له اتق الله ، قال انها حرمتى ، قال فصنها عن هذا الموضع ، وانصرف عنه ، فكتب اليه أبو نواس

ان التى أبصرتها بُكَرًا أكلمها رسول
أدت إليَّ رسالة كادت لها نفسى تسيل
من ساحر العينين يجـذب خَصْره ردف ثقيل
متقلد قوس الصِّبا يرمى وليس له رسيل
فلوَ آن أذنك بيننا حتى تسمع ما تقول
لرأيت ما استقبحت من أمرى هو الأمر الجميل

ثم وجه بها ، فألقيت فى الرقاع بين يدى القاضى ، فلما رآها ضحك وقال ان كانت رسولاً فلا بأس

كان أبو عثمان أخا أبى أمية مولى جنان ، وكانت له بحَكَمان (١) ضيعة كان ينزلها هو وابن عم له يقال له أبو مية ، فقال أبو نواس فيه قوله

أسأل القادمين من حَكَمان كيف خلفتما أبا عثمان
وأبا ميَّة المهـذب والما جد المرتجَى لريب الزمان
فيقولان لي جنان كما سر ك فى حالها فسل عن جنان
مالهم لا يبارك الله فيهم كيف لم يغْن عندهم كتمانى

قال أبو نواس يذكر مأتماً بالبصرة حضرته جنان

يا منسىَ المأتم أشجانه لمـا أتاهم فى المعزِّينا
سرت قناع الوَشْى عن صورة ألبسها الله التحاسينا

(١) اسم لضياع بالبصرة سميت بالحكم بن أبى العاصى الثقفى وهذا اصطلاح لأهل البصرة اذا سموا ضيعة باسم زادوا عليه ألفاً ونوناً

فاستفتنهنَّ بتمثالها   فهن للتكايف يبكينا
حق لذاك الوجه أن يزدهي   عن حزنه من كان محزونا

أشرف أبو نواس من دار على منزل عبد الوهاب الثقفي ، وقد مات بعض أهله وعندهم مأتم وجنان واقفة مع النساء تلطِم وجهها وفي يدها خضاب ، فقال

يا قمراً أبرزه مأتم   يندُب شجواً بين أتراب
يبكي فيُذْرِي الدم من عينه   ويلطِم الورد بعنّاب
لا تبكِ ميتاً حلَّ في حفرة   وابكِ قتيلاً لك بالباب
أبرزه المأتم لي كارهاً   برَغْم دايات وحجاب
لازال موتاً دأب أحبابه   ولا تزل رؤيته دابي

وجهت جنان الى أبي نواس قد شهرتني فاقطع زيارتك عني أياماً لينقطع بعض القالة ، ففعل وكتب اليها

انا اهتجرنا الى الناس اذ فطنوا   وبيننا حين نلتقي حسن
ندافع الأمر وهو مقتبل   فشب حتى عليه قد مرَنوا
فليس تقذَى عين معاينةَ   له وما إن تمجُّه أذن
ويح ثقيف ماذا يضرهمُ   ان كان لي في ديارهم سكن
يُسَرُّ ما بيننا الحديث فان   زدنا ينمّوا وما لذا ثمن

وكتب اليها من بغداد

كفى حزناً ألاّ أرى وجه حيلة   أزور بها الأحباب في حكمان
وأقسم لولا أن تنال معاشر   جناناً بما لا أشتهي لجنان
لأصبحت منها داني الدار لاصقاً   ولكنَّ ما أخشى فديت عداني
فواحزناً حزناً يؤدِّي الى الرَّدى   فأصبح مأثوراً بكل لسان

أراني انقضت أيامُ وصلي منكمُ   وآذن فيكم بالوداع زماني

بلغ أبا نواس أن امرأة ذكرت لجنان عشقه لها فشتمته جنان وتنقصته وذكرته أقبح الذكر ، فقال

وابأبي من اذا ذكرت له   وطول وجدي به تنقصني

لو سألوه عن وجه حجته   في سبه لي لقال يعشقُني

نعم الى الحشر والتناد نعم   أعشقه أو أُلَفَّ في كفني

أصيح جهراً لا أستسر به   عنفني فيه من يعنفني

يا معشر الناس فاسمعوه وعوا   ان جناناً صديقة الحسن

فبلغها ذلك فهجرته وأطالت هجرته ، فرآها ليلة في منامه وأنها قد صالحته ، فكتب اليها

اذا التقى في النوم طيفانا   عاد لنا الوصل كما كانا

يا قُرَّة العين فما بالُنا   نَشْقَى ويلتذ خيالانا

لوشئتِ اذ أحسنتِ لي في الكرى   أتممت إحسانك يقظانا

يا عاشقين اصطلحا في الكرى   وأصبحا غَضْبَى وغضبانا

كذلك الأحلام غدارة   وربما تصدق أحيانا

رآها يوماً في ديار ثقيف ، فجبهته بما كره ، فغضب وهجرها مدة ، فأرسلت اليه رسولاً تصالحه ، فرده ولم يصالحها ورآها فى النوم تطلب صلحه فقال

دسَّت له طيفها كيما تصالحه   فى النوم حين تأبَّى الصلح يقظانا

فلم يجد عند طيفي طيفها فرجاً   ولا رثى لتشكيه ولا لانا

حسبت أن خيالي لا يكون لما   أكون من أجله غضبان غضبانا

جنان لا تسأليني الصلح سرعة ذا   فلم يكن هيناً منك الذى كانا

ومما قاله فيها

أما يَفْنَى حديثك عن جنان ... ولا تبقى على هذا اللسان
أكل الدهر قلت لها وقالت ... فكم هذا ؟ أما هذا بفان ؟
جعلت الناس كلهمُ سواء ... اذا حدثت عنها في البيان
عدوك كالصديق وذا كهذا ... سواء والأباعد كالأداني
اذا حدثت عن شأن توالت ... عجائبه أتيتهمُ بشان
فلو موهت عنها باسم أخرى ... علمنا اذ كنيت من أنت عان

قدم رجل البصرة فاشترى جنان من مواليها ورحل بها ، فقال أبو نواس

أما الديار فقلما لبثوا بها ... بين استباق العيس والركبان
وضعوا سياط الشوق فى أعناقها ... حتى اطَّلعن بهم على الأوطان

وكتب اليها

أكثري المحو فى كتابك وامحيـ ... ـه اذا محوته باللسان
وامرريه بالمحاء بين ثنايا ... ك العذاب المفلَّجات الحسان
انني كلما مررت بسطر ... فيه محو لطعته بلساني
تلك تقبيلة لكم من بعيد ... أُهديت لي وما برحت مكاني

قال محمد بن ابراهيم بن كثير الصوفي دخلنا على أبى نواس نعوده في علته التي مات فيها ، فقال له على بن صالح الهاشمى يا أبا على أنت فى أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا ، وبينك وبين الله عز وجل هنات فتب الى الله عز وجل ، فبكى ساعة ثم قال ساندونى ساندونى ، ثم قال أأُخوف بالله عز وجل وقد حدثني حماد بن مسلم عن زيد الرقاشى عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل نبى شفاعة وانى اختبأت شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى يوم القيامة ، أفترانى لا أكون منهم ؟

ومن قوله فى مرض موته

دب فيَّ السَّقام علواً وسفلاً وأرانى أموت عضواً فعضوا
ليس تمضى من لحظة بىَ الا نقصتني بمرها فيَّ جزْوا
ذهبت جدتى بحاجة نفسى وطلبت طاعة الله نضوا
لهف نفسي على ليال وأيا م تجاوزتهن لعباً ولهوا
قد أسأنا كل الإساءة فاللـ ـهم صفحا عنا وغفرا وعفوا

ثم قال

شعر حي أتاك من لفظ ميت صار بين الحياة والموت وقفا
قد برت جسمه الحوادث حتى كاد عن عين الخلائق يخفى
لو تأملتني لتبصر وجهي لم تبن من كتاب وجهي حرفا
ولكررت طرف عينيك فيمن قد براه السقم حتى تعفى

وكان عمر أبى نواس تسعاً وخمسين سنة وكانت وفاته قبل دخول المأمون مدينة السلام بست سنين (سنة ١٩٨)

شعراء الأزد

أبو الشيص

هو محمد بن رزين بن سليمان الخزاعى الأزدى القحطانى وكنيته أبو جعفر وهو عم دعبل بن على بن رزين لحّا

شاعر من شعراء عصره متوسط المحل فيهم غير نبيه الذكر لوقوعه بين مسلم ابن الوليد وأشجع وأبى نواس فخمَل وانقطع الى عقبة بن جعفر بن الأشعث الخزاعى وكان أميراً على الرَّقَّة فمدحه بأكثر شعره فقلما يروى له فى غيره وكان عقبة جواداً فأغناه عن غيره ، ولأبى الشيص ابن يقال له عبد الله شاعر أيضاً صالح الشعر وكان منقطعاً الى محمد بن طالب فأخذ منه جامع شعر أبيه ومن جهته خرج الى الناس

قال أبو خالد العامرى لابن المعتز من أخبرك أنه كان فى الدنيا أشعر من أبى الشيص فكذبه، والله لكان الشعر عليه أهون من شرب الماء على العطشان، وكان من أوصف الناس للشراب وأمدحهم للملوك ، وليس توجد هذه الصفات كما ذكر فى ديوان شعره ولا هو بساقط ولكن هذا سرف شديد

وعمى أبو الشيص فى آخر عمره وله مراث فى عينيه قبل ذهابهما وبعده ، ومن قوله في ذلك

يا نفس بكّي بأدمع هتُنُ ... ووا كف كالجُمان فى سنن
على دليلى وقائدى ويدى ... ونور وجهى وسائس البدن
أبكى عليها بها مخافة أن ... يقرننى والظلام فى قرن

اجتمع مسلم بن الوليد وأبو نواس وأبو الشيص ودعبل فى مجلس فقالوا اينشد كل واحد منكم أجود ماقاله من الشعر ، فاندفع رجل كان معهم فقال اسمعوا منى

أخبركم بما ينشد كل واحد منكم قبل أن ينشد ، قالوا هات ، فقال لمسلم أما أنت يا أبا الوليد فكأني بك قد أنشدت

اذا ما علت منا ذؤابة واحد   وان كان ذا حلم دعته الى الجهل
هل العيش الا أن تروح مع الصبا   وتغدو صريع الكأس والأعين النجل

فقال له مسلم صدقت ، ثم أقبل على أبي نواس فقال له كأني بك يا أبا على قد أنشدت

لا تبك ليلى ولا تطرب الى هند   واشرب على الورد من حمراء كالورد
تسقيك من عينها خمراً ومن يدها   خمراً فما لك من سكرين من بُد

فقال له صدقت ، ثم أقبل على دعبل فقال يا أبا على فكأني بك تنشد قولك

اين الشباب وأية سلكا   لا أين يطلب ضل بل هلكا
لا تعجبي يا سلم من رجل   ضحك المشيب برأسه فبكى

قال صدقت ، ثم أقبل على أبي الشيص فقال له وأنت يا أبا جعفر كأني بك تنشد

لا تنكرى صدى ولا اعراضى   ليس المقل عن الزمان براض

فقال لا ما هذا أردت ولا هذا بأجود شيء قلته ، قالوا فأنشدنا ما بدا لك ، فأنشدهم قوله

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي   متأخر عنه ولا متقدّم
أجد الملامة فى هواك لذيذة   حباً لذكرك فليلمني اللوم
أشبهتِ أعدائى فصرت أحبهم   اذ كان حظى منك حظى منهم
وأهنتِني فأهنت نفسى صاغراً   ما من يهون عليك ممن يكرم

وله وهو مما غنى فيه

بالله قـل يا طلَل   أهلك ماذا فعلوا
فان قلبي حـذر   من أن يبينوا وَجِل

وله في جارية سوداء

لم تنصفي يا سمية الذهب ... تتلف نفسي وأنت في لعب
يا ابنة عم المسك الذكي ومن ... لولاك لم يتخذ ولم يطب
ناسبك المسك في السواد وفي الريـــح فأكرم بذاك من نسب

ومن مدائحه في عقبة قصيدته التي أولها

لا تنكرى صدى ولا اعراضى ... ليس المقل عن الزمان براض

ومنها

أكل الوجيف لحومها ولحومهم ... فأتوك أنقاضاً على أنقاض

قيل لأبي نواس من أشعر طبقات المحدثين ؟ قال الذي يقول

يطوف علينا بها أحور ... يداه من الكأس مخضوبتان

والشعر لأبي الشيص

ومن قوله

وشادن كالبدر يجلو الدجى ... في الفرق منه المسك مذرور
يحاذر العين على صدره ... فالجيب منه الدهرَ مزرور

كان أبو الشيص صديقاً لمحمد بن سليمان بن اسحق الهاشمي وهما حينئذ مملقان فنال محمد بن اسحق مرتبة عند سلطانه واستغنى فجفا أبا الشيص وتغير له فكتب اليه

الحمد لله رب العالمين على ... قربي وبعدك مني يا ابن اسحق
ياليت شعري متى تُجدى عليّ وقد ... أصبحت رب دنانير وأوراق
تجدى عليّ اذا ما قيل مَنْ راق ... والتفت الساق عند الموت بالساق
يوم لعمرى تهم الناسَ أنفسُهم ... وليس ينفع فيه رقية الراق

دعبل

هو دِعْبِل بن على بن رزين الخُزاعى الأزدى يكنى أبا على

شاعر متقدم مطبوع هجاء خبيث اللسان لم يسلم عليه أحد من الخلفاء ولا من وزرائهم ولا أولادهم ولا ذو نباهه أحسن اليه أم لم يحسن ولا أفلت منه كبير أحد ، وكان شديد التعصب على النِّزارية للقحطانية وقال قصيدة يرد فيها على الكميت بن زيد ويناقضه فى قصيدته المذهبة التى هجا بها قبائل اليمن - ألا حييت عنا يامدينا - وكان دعبل من الشيعة المشهورين بالميل الى على صلوات الله عليه وقصيدته « مدارس آيات خلت من تلاوة » من أحسن الشعر وفاخر المدائح المقولة فى أهل البيت عليهم السلام وقصد بها أبا على بن موسى الرضا بخراسان فأعطاه عشرة آلاف درهم من الدراهم المضروبة باسمه وخلع عليه خلعة من ثيابه فأعطاه بها أهل قُمّ ثلاثين الف درهم فلم يبعها فقطعوا عليه الطريق فأخذوها ، فقال لهم انها انما تراد لله عز وجل وهى محرمة عليكم ، فدفعوا اليه ثلاثين الف درهم فحلف ألا يبيعها أو يعطوه بعضها ليكون فى كفنه ، فأعطوه فرد كمّ فكان من أكفانه

قال ابراهيم بن المهدى للمأمون قولا فى دعبل يحرضه عليه فضحك المأمون وقال انما تحرضنى عليه لقوله فيك

يا معشر الأجناد لا تقنَطوا وارضَوْا بما كان ولا تسخطوا
فسوف تُعطَوْن حُنَيْنِيّة[1] يلتذها الأمرد والأشمط
والمَعْبَدِيّات[2] لقوادكم لا تدخل الكيس ولا تربط
وهكذا يرزق قواده خليفة مصحفه البَرْبَط
قد ختم الصك بأرزاقكم وصحح العزم فلا تسخطوا

---

(١) يريد أصواتاً منسوبة الى حنين الحيرى المغنى (٢) يريد أصواتاً منسوبة الى معبد المغنى

بَيْعة ابراهيم مشؤومة   يقتل فيها الخلق أو يقحطوا

فقال له ابراهيم فقد والله هجاك أنت يا أمير المؤمنين ، فقال دع هذا عنك فقد عفوت عنه فى هجائه إياى لقوله هذا ، وضحك ، ثم دخل أبو عباد فلما رآه المأمون من بعد قال لابراهيم دعبل يجسر على أبي عباد في الهجاء ويحجم عن أحد فقال له وكأن أبا عباد أبسط يداً منك يا أمير المؤمنين قال لا ولكنه حديد جاهل لا يؤمن وأنا أحلم وأصفح والله ما رأيت أبا عباد مقبلا الا أضحكني قول دعبل فيه

أولى الأمور بضيعة وفساد   أمر يدبره أبو عباد

خَرِق على جلسائه فكأنهم   حضروا لملحمة ويوم جِلاد

يسطو على كتابه بدواته   فمضمَّخ بدم ونضح مداد

وكأنه من دير هرقل مفْلِت   حَرِد يجر سلاسل الأقياد

فاشدد أمير المؤمنين وثاقه   فأصحُّ منه بقيةُ الحداد

وكان بقية هذا مجنوناً فى المارستان

قال مهرويه لم يزل دعبل عند الناس جليل القدر حتى رد على الكُميت بن زيد فكان ذلك مما وضعه

قال أبو خالد الخزاعى لدعبل ويحك قد هجوت الخلفاء والوزراء والقواد ووترت الناس جميعاً فأنت دهرك كله شريد طريد هارب خائف فلو كففت عن هذا وصرفت هذا الشر عن نفسك ، فقال ويحك انى تأملت ما تقول فوجدت أكثر الناس لا ينتفع بهم الا على الرهبة ولا يبالي بالشاعر وان كان مجيداً اذا لم يُخَف شره ولَمَنْ يتقيك على عرضه أكثر ممن يرغب اليك فى تشريفه ، وعيوب الناس أكثر من محاسنهم وليس كل من شرفته شرف ولا كل من وصفته بالجود والمجد والشجاعة ولم يكن ذلك فيه انتفع بقولك ، فاذا رآك أوجعت عرض غيره وفضحته اتقاك وخف من مثل ما جرى على الآخر ، ويحك يا أبا خالد ان الهجاء

المقْذِع آخذ بضَبُع الشاعر من المديح المضْرِع ، فضحك أبو خالد وقال هذا والله مقال من لا يموت حتْفَ أنفه

قال دعبل قال لي أبي رزين ما قلت من الشعر قط الا هذين البيتين

خليلي ماذا أرتجى من غد امرىء طوى الكَشْح عني اليوم وهو مَكين
وان امرأً قد ضَنَّ منه بمنطق يسد به فقر امرىء لضنين

وبيتين آخرين وهما

أقول لما رأيت الموت يطلبني يا ليتني درهم فى كيس مياح
فياله درهماً طالت صيانته لا هالك ضيعة يوماً ولا ضاح

كان سبب خروج دعبل من الكوفة أنه كان يتشطر ويصحب الشطار فخرج هو ورجل من أشجع فيما بين العشاء والعَتَمة فجلسا على طريق رجل من الصيارفة ، وكان يروح كل ليلة بكسبه الى منزله ، فلما طلع مقبلاً اليهما وثبا اليه فجرحاه وأخذا ما في كمه فاذا هى ثلاث رمانات فى خرقة ، ولم يكن كيسه ليلتئذ معه ، ومات الرجل مكانه ، واستتر دعبل وصاحبه وجد أولياء الرجل في طلبهما وجد السلطان فى ذلك ، فطال على دعبل الاستتار فاضطر الى أن هرب من الكوفة فما دخلها حتى لم يبق من أولياء الرجل أحد

قال أحمد بن خالد كنا يوماً بدار صالح بن على من عبد القيس ببغداد ومعنا جماعة من أصحابنا فسقط على سطح البيت ديك طار من دار دعبل ، فلما رأيناه قلنا هذا صيدنا ، فأخذناه ، فقال صالح ما نصنع به ؟ قلنا نذبحه ، فذبحناه وشويناه ، وخرج دعبل فسأل عن الديك فعرف أنه سقط فى دار صالح ، فطلبه منا فجحدناه وشربنا يومنا ، فلما كان من الغد خرج دعبل فصلى الغداة ثم جلس على المسجد ، وكان ذلك المسجد مجمع الناس يجتمع فيه جماعة من العلماء وينتابهم الناس ، فجلس دعبل على باب المسجد وقال

أمر المؤذن صالح وضيوفه ... أمر الكمي هفا خلال المآقط
بعثوا عليه بنيهم وبناتهم ... من بين ناتفة وآخر سامط
يتنازعون كأنهم قد أوثقوا ... خاقان أو هزموا قبائل ناعط (١)
نهشوه فانتزعت له أسنانهم ... وتهشمت أقفاؤهم بالحائط

فكتبها الناس عنه ومضوا ، فقال لي أبي وقد رجع الى البيت ويحكم ضاقت عليكم المآكل فلم تجدوا شيئاً تأكلونه سوى ديك دعبل ، ثم أنشدت الشعر وقال لا تدع ديكاً ولا دجاجة تقدر عليه الا اشتريته وبعثت به الى دعبل والا وقعنا فى لسانه ، ففعلت ذلك

قال أحمد بن أبى كامل كان دعبل ينشدنى كثيراً هجاء له فأقول له فيمن هذا ؟ فيقول ما استحقه أحد بعينه بعد وليس له صاحب فاذا وَجدَ على رجل جعل ذلك الشعر فيه وذكر اسمه فى الشعر

بلغ اسمعيل بن جعفر بن سليمان أن دعبلاً هجاه ، فتوعده بالمكروه وشتمه ، وكان اسمعيل على الأهواز فهرب من زيد بن موسي بن جعفر بن محمد لما ظهر وبيض فى أيام أبى السَّرايا ، فقال دعبل يعير اسمعيل بذلك

لقد خلَّف الأهواز من خلف ظهره ... يريد وراء الزَّاب من أرض كسكر
يهوِّل اسمعيلُ بالبيض والقنـا ... وقد فرَّ من زيد بن موسى بن جعفر
وعاينته فى يوم خلَّى حريمـه ... فيا قبحها منه ويا حسن منظر

كان دعبل يختلف الى الفضل بن العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث وهو خرَّجه وفهَّمه وأدَّبه ، فظهر له منه جفاء وبلغه أنه يعيبه ويذكره وينال منه ، فقال يهجوه

يا بؤس للفضل لو لم يأت ما عابه ... يستفرغ السم من صماء قرضابه

(١) قبيلة من همدان وأصله جبل نزلوا به فنسبوا اليه

ما إن يزال وفيه العيب يجمعه جهلاً لأعراض أهل المجد عيابه
ان عابني لم يعب الا مؤدبه ونفسه عاب لما عاب أدّابه
فكان كالكلب ضرّاه مكلّبه لغيره فعدا فاصطاد كلاّبه

وقال يهجو جعفر بن محمد

ما جعفر بن محمد بن الأشعث عندي بخير أبوة من عثعث
عبثاً رأيتك بي تمارس حية سوارة ان هجتها لم تلبث
لو يعلم المغرور ماقد حاز من خزى لوالده اذاً لم يعبث

فلقيه عثعث ، فقال له عليك لعنة الله أى شيء كان بيني وبينك حتى ضربت بي المثل في خسة الآباء ؟ فضحك وقال لا شيء والله الا اتفاق اسمك واسم ابن الأشعث في القافية أوَ لا ترضى أن أجعل أبك وهو أسود خيراً من أباء الأشعث بن قيس

كان دعبل يقول ما كانت لأحد قط عندي منة الا تمنيت موته

دخل دعبل الرّيّ فى أيام الربيع ، فجاءهم ثلج لم يرَوْا مثله فى الشتاء ، فجاء شاعر من شعرائهم فقال شعراً وكتبه فى رقعة وهو

جاءنا دعبل بثلج من الشعـ ـر فجادت سماؤنا بالثلوج
نزل الرّيّ بعد ما سكن البر د وقد أينعت رياض المروج
فكسانا ببرده لا كساه الّلـ ـه ثوباً من كرْسف[1] محلوج

فألقى الرقعة فى دهليز دعبل ، فلما قرأها ارتحل عن الرى

فخرَ قوم من خزاعة على دعبل يقال لهم بنو مكلم الذئب وكان جدهم جاء الي النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه أن الذئب أخذ من غنمه شاة فتبعه ، فلما غشيه بالسيف قال مالي ولك تمنعني رزق الله ؟ قال فقلت ياعجباً لذئب يتكلم ، فقال أعجب منه أن محمداً نبي قد بعث بين أظهركم وأنتم لا تتبعونه ، فبنوه يفخرون بتكليم الذئب جدهم ، فقال دعبل يهجوهم

(١) الكرسف القطن

يَهِشُم علينا بأن الذئب كلمكم فقد لعمري أبوكم كلم الذيبا
فكيف لو كلم الليث المَصور إذاً أفنيتم الناس مأكولاً ومشروبا
هذا السنيدي لا أصل ولا طرف يكلم الفيل تصعيداً وتصويبا

قال دعبل فى الفضل بن مَرْوان

نصحت فأخلصت النصيحة للفضل وقلت فسيرت المقالة فى الفضل
ألا ان فى الفضل بن سهل لعبرةً ان اعتبر الفضل بن مروان بالفضل
وللفضل فى الفضل بن يحيي مواعظ اذا فكر الفضل بن مروان فى الفضل
فأبق جميلاً من حديث تفز به ولا تدع الاحسان والأخذ بالفضل
فانك قد أصبحت الملك قيِّماً وصرت مكان الفضل والفضل والفضل
ولم أرَ أبياتاً من الشعر قبلها جميع قوافيها على الفضل والفضل
وليس لها عيب اذا هى أنشدت سوى أن نصحى الفضل كان من الفضل

فبعث اليه الفضل بن مروان بدنانير وقال له قد قبلت نصحك فاكفنى خيرك وشرك

كان دعبل جالساً بالبصرة وعلى رأسه غلامه نفنف فمر به اعرابي يرفل فى ثياب خز ، فقال لغلامه ادع لي هذا الأعرابى ، فأومأ اليه الغلام فجاءه ، فقال له دعبل من الرجل ؟ قال من بنى كلاب ، قال من أى ولد كلاب أنت ؟ قال من ولد أبى بكر ، فقال أتعرف القائل

ونبئت كلباً من كلاب يسبني ومحض كلاب يقطع الصلوات
فان أنا لم أعلم كلاباً بأنها كلاب وانى باسل النقمات
فكان اذاً من قيس عيْلان والدي وكانت أمى اذاً من الحبَطات

وهذا الشعر لدعبل يقوله فى عمرو بن عاصم الكلابى ، فقال له الأعرابى من أنت ؟ فكره أن يقول له من خزاعة فيهجوهم ، فقال أنا أنتمي الى القوم الذين يقول فيهم الشاعر

أناس عليّ الخير منهم وجعفر　　وحمزة والسجاد ذو الثفنات
اذا فخروا يوماً أتوا بمحمد　　وجبريل والفرقان والسورات

فوثب الأعرابي وهو يقول مالي الى محمد وجبريل والفرقان والسورات مُرْتقى

سأل دعبل نصر بن منصور بن بسام حاجة فلم يقضها لشغل عرض له دونها، فقال يهجو بني بسام

حواجب كالجبال سود　　الى عثانين كالمخالي
وأوجه جَهْمة غلاظ　　عُطْل من الحسن والجمال

كتب دعبل الى أبي نَهْشَل بن حُميد الطوسي قوله

انما العيش في منادمة الاخوا　　ن لا في الجلوس عند الكعاب
وبصِرْف كأنها ألسن البر　　ق اذا استعرضت رقيق السحاب
أن تكونوا تركتم لذة العيـ　　ـش حذار العقاب يوم العقاب
فدعوني وما ألذّ وأهوى　　وادفعوا بي في صدر يوم الحساب

دخل دعبل على علي بن موسى الرضا فقال له أنشدني شيئاً مما أحدثت فأنشده

مدارس آيات خلت من تلاوة　　ومنزل وحي مقفر العرَصات

حتى انتهى الى قوله

اذا وُتروا مدوا الى واتريهمُ　　أكُفّاً عن الأوتار منقبضات

فبكى حتى أغمي عليه وأومأ اليه خادم كان على رأسه أن اسكت، فسكت ساعة، ثم قال له أعد، فأعاد حتى انتهى الى هذا البيت أيضاً فأصابه مثل الذي أصابه في المرة الاولى وأومأ الخادم اليه أن اسكت، فسكت، فمكث ساعة أخرى ثم قال له أعد، فأعاد حتى انتهى الى آخرها فقال له أحسنت ثلاث مرات، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم مما ضرب باسمه ولم تكن وقعت الى أحد بعد، وأمر له من في منزله بحلي كثير أخرجه اليه الخادم، فقدم العراق فباع كل درهم منها

بعشرة دراهم اشتراها منه الشيعة فحصل له مائة الف درهم فكان أول مال اعتقده

قال دعبل كان لي صديق متخلف يقول شعراً فاسداً مرذولاً وأنا أنهاه عنه اذا أنشدني ، فأنشدني يوماً

ان ذا الحب شديد ليس ينجيه الفرار
ونجا من كان لا يعشـــق من ذل المخازي

فقلت له هـذا لا يجوز ، البيت الأول على الراء والثاني على الزاى ، فقال لا تنقطه ، فقلت له فالأول مرفوع والثاني مخفوض ، فقال أنا أقول له لا تنقطه وهو يشكله

قال محمـد بن زكريا الفرْغاني سمعت دعبلا يقول فى كلام جرى « لَيْسك » فأنكرته عليه فقال دخل زيد الخيـل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يازيد ما وصف لي رجل الا رأيته دون وصفه لَيْسك ، يريد غيرك

قال على بن عبد الله بن سعد قال لي دعبل وقد أنشدته قصيدة بكر بن خارجة فى عيسى بن البراء النصرانى الحربى

زُنّاره فى خصره معقود كأنه من كبدى مقدود

فقال والله ما أعلمنى حسدت أحداً على شعر كما حسدت بكراً على قوله « كأنه من كبدى مقدود »

قال دعبل مكثت نحو ستين سنة ليس من يوم ذرّ شارقه الا وأنا أقول فيه شعراً

قال عمرو بن مسعدة حضرت أبادلف عند المأمون وقد قال له المأمون أي شيء تَرْوى لأخي خُزاعة ياقاسم ؟ فقال وأى أخى خزاعة يا أمير المؤمنين ؟ قال ومن تعرف فيهم شاعراً ؟ فقال أما من أنفسهم فأبو الشيص ودعبل وابن أبي الشيص وداود بن أبي رزين ، وأما من مواليهم فطاهر وابنه عبد الله ، فقال ومن عسى من

هؤلاء أن يسأل عن شعره سوى دعبل ؟ هات أى شىء عندك فيه ، فقال وأي شىء أقول فى رجل لم يسلم عليه أهل بيته حتى هجاهم فقرن احسانهم بالاساءة وبذلهم بالمنع وجودهم بالبخل حتى جعل كل حسنة منهم بازاء سيئة ، قال حين يقول ماذا ؟ قال حين يقول فى المطلب بن عبد الله بن مالك وهو أصدق الناس له وأقربهم منه وقد وفد اليه الى مصر فأعطاه الجزيل وولاه ولم يمنعه ذلك أن قال فيه

اضرب ندى طلحة الطلَحات متئداً   بلؤم مطلب فينا وكن حكما
تخرج خزاعة من لؤم ومن كرم   فلا تحس لها لؤماً ولا كرما

فقال المأمون قاتله الله ما أغوصه وألطفه وأدهاه وجعل يضحك ، ثم دخل عبد الله بن طاهر فقال أى شىء تحفظ ياعبد الله لدعبل ؟ فقال أحفظ أبياتاً له في أهل بيت أمير المؤمنين قال هاتها ويحك فأنشده

سقيا ورعيا لأيام الصبابات   أيام أرفُلُ فى أثواب لذاتى
أيام غصنى رطيب من ليانته   أصبو الى غير جارات وكِنَّات
دع عنك ذكر زمان فات مطلبه   واقذف برجلك عن متن الجهالات
واقصد بكل مديح أنت قائله   نحو الهداة بنى بيت الكرامات

فقال المأمون انه قد وجد والله مقالاً فقال ونال ببعيد ذكرهم ما لا يناله فى وصف غيرهم

قال أبو شراعة قصدت الحسن بن رجاء بالأهواز فصادفت ببابه دعبل بن على وجماعة من الشعراء وقد اعتل عليهم بدين لزمه ومصادرة فكتب اليه

المال والعقل شىء يستعان به   على المقام بأبواب السلاطين
وأنت تعلم انى منهما عطل   اذا تأملتنى يا ابن الدَّهاقين
هل تعلم اليوم بالأهواز من رجل   سواك يصلح للدنيا وللدين

فوعدنا وعداً قربه ثم تدافع فكتب اليه

آذنت جبتي بأمر قبيح　　من فراق للطيلسان القبيح
فكأني بمن يزيد على الجبـــة في ظل دار سهل بن نوح
أنت روح الأهواز يا ابن رجاء　　أي شيء يعيش الا بروح

فأذن له وللجماعة وقضى حوائجنا

كان دعبل قد مدح دينار بن عبد الله وأخاه يحيى فلم يرض ما فعلاه به ، فقال يهجوهما

ما زال عصياننا لله يرذلنا　　حتى دُفعنا الى يحيى ودينار
وَغدين علجين لم تقطع ثمارهما　　قد طال ما سجدا للشمس والنار

وكان منحرفاً عن آل طاهر مع ميلهم اليه وأياديهم عنده فقال فيهم

وأبقى طاهر فينا ثلاثاً　　عجائب تُستخف لها الحلوم
ثلاثة أعبد لأب وأم　　تميز عن ثلاثتهم أروم
فبعض في قريش منتماه　　ولا غيرَ ومجهول كريم
وبعضهم يُهش لآل كسرى　　ويزعم انه علج لئيم
فقد كسرت مناسبهم علينا　　وكلهمُ على حال زنيم

قال دعبل حججت أنا وأخي رزين وأخذنا كتباً الى المطلب بن عبد الله بن مالك وهو بمصر يتولاها فصرنا من مكة الى مصر فصحبنا رجل يعرف بأحمد بن فلان السراج ، فما زال يحدثنا ويؤنسنا طول طريقنا ويتولى خدمتنا كما يتولاها الرفقاء والأتباع ، ورأيناه حسن الأدب ، وكان شاعراً ولم نعلم وكتمنا نفسه وقد علم ما قصدنا له فعرضنا عليه أن نقول في المطلب قصيدة ننحله اياها ، فقال ان شئتم وأرانا بذلك سروراً وتقبلا له ، فعملنا قصيدة وقلنا له تنشدها المطلب وانك تنتفع بها ، فقال نعم ووردنا مصر به فدخلنا الى المطلب وأوصلنا اليه كتباً كانت معنا وأنشدناه ، فسر بموضعنا ووصفنا له أحمد السراج هذا وذكرنا له أمره فأذن له

فدخل عليه ونحن نظن انه سينشد القصيدة التى نحلناه إياها ، فلما مثل بين يديه عدل عنه وأنشده

لم آت مطلباً الا بمطلب   وهمة بلغت بى غاية الرتب
أفردته برجاء أن تشاركه   فيَّ الوسائل أوألقاه فى الكتب

وأشار الى كتبي التى أوصلتها اليه وهى بين يديه فكان ذلك أشد من كل شيء مرَّ بى منه عليَّ ، ثم أنشد

رحلت عيسي الي البيت الحرام على   ما كان من وَصَب فيها ومن نَصَب
ألقى بها وبوجهى كل هاجرة   تكاد تقدح بين الجلد والعصَب
حتى اذا ماقضت نُسكي ثنيت لها   عطف الزمام فأمّت سيد العرب
فأممتك وقد ذابت مفاصلها   من طول ماتعب لاقت ومن نصب
انى استجرت باستارين[1] مستلماً   ركنين مطلباً والبيتَ ذا الحجب
فذاك للآجل المأمول ألمسه   وأنت للعاجل المرجو والطلب
هذا ثنائى وهذى مصر سانحة   وأنت أنت وقدناديت من كثب

فصاح مطلب لبيك لبيك ، ثم قام فأخذ بيده وأجلسه معه وقال يا غلمان البِدَر ، فأحضرت ، ثم قال الخلع ، فنشرت ، ثم قال الدواب ، فقيدت ، فأمر له من ذلك بما ملأ عينه وأعيننا وصدورنا وحسدناه عليه وكان حسدنا له بما اتفق له من القبول وجودة الشعر ، وغيظنا بكتمه ايانا نفسه واحتياله علينا أكثر وأعظم ، نخرج بما أمر له به وخرجنا صِفراً ، وكانت التى مدح بها دعبل المطلب قصيدته التى يقول فيها

أبعد مصر وبعد مطلب   ترجو الغنى ان ذا من العجب
ان كاثرونا جئنا بأسرته   أو واحدونا جئنا بمطلب

(١) هذا على معنى استار كذا واستار كذا

ثم ولي دعبل بن علي بعد ذلك على أسوان ، وكان دعبل قد هجا المطلب غيظاً منه فقال

أمطلب أنت مستعذِب ... حُمَيَّا الأفاعى ومستقتل
فان أشْفِ منك تكن سُبَّةً ... وان أعفُ عنك فما تفعل
ستأتيك إمّا وردت العراق ... صحائف يأثرها دعبل
منمقة بين أثنائها ... مَخازٍ تُحَطّ فلا ترحل
وضعت رجالاً فما ضرهم ... وشرفت قوماً فلم ينبُلوا
فأيّهم الزين وسط الملا ... عطية أم صالح الأحول
أم الباذجانى أم عامر ... أمين الحمام التى ترجل
تنوّط مصر بك المخزيات ... وتبصق في وجهك الموصل
ويوم الشُّراة تحسَّيتها ... يطيب لدى مثلها الحنظل
توليت ركضاً وفتياننا ... صدور القنا فيهمُ تَعْمل
اذا الحرب كنت أميراً لها ... فحظهمُ منك أن يقتلوا
فمنك الرءوس غداة اللقاء ... وممن يحاربك الأنصل
شعارك فى الحرب يوم الوغى ... اذا انهزموا ، عجلوا عجلوا
هزائمك الغُرّ مشهورة ... يقرطس(١) فيهن من ينْضل
فأنت لأولهم آخر ... وأنت لآخرهم أول

وبلغ المطلب هجاؤه اياه بعد أن ولاه فعزله عن أسوان فأنفذ اليه كتاب العزل مع مولى له وقال انتظره حتى يصعد المنبر يوم الجمعة فاذا علاه فأوصل الكتاب اليه وامنعه من الخطبة وأنزله عن المنبر واصعد مكانه ، فلما أن علا المنبر وتنحنح ليخطب ناوله الكتاب ، فقال له دعبل دعنى أخطب فاذا نزلت قرأتم ، قال لا

(١) قرطس أصاب القرطاس أى الغرض

قد أمرني أن أمنعك الخطبة حتى تقرأه ، فقرأه وأنزله عن المنبر معزولاً

ومن قول دِعْبل وفيه غناء

أين الشباب وأيّةً سلكا ... لا أين يطلب ضل بل هلكا
لا تعجبي يا سلم من رجل ... ضحك المشيب برأسه فبكى
ياليت شعري كيف يومكما ... يا صاحبيَّ اذا دمى سفكا
لا تأخذوا بظُلامتي أحداً ... قلبي وطرفي فى دمى اشتركا

أخذ البيت الثانى من قول مسلم بن الوليد

مستعبر يبكي على دمنة ... ورأسه يضحك فيه المشيب

فجاء به أجود من قول مسلم ، فصار أحق به منه ، وقال الأصمعى سرقه من قول الحسين بن مُطَير الأسدي

أين أهل القِباب بالدَّهناء ... أين جيراننا على الأحْساء
فارقونا والأرض مُلْبَسة نَوْ ... ر الأقاحى تُجادُ بالأنْواء
كل يوم بأقحوان جديد ... تضحك الأرض من بكاء السماء

قال ابراهيم بن المدبر لقيت دعبل بن على فقلت له انت أجسر الناس عندى وأقدمهم حيث تقول

انى من القوم الذين سيوفهم ... قتلت أخاك وشرفتك بمَقْعَد
رفعوا محلك بعد طول خموله ... واستنقذوك من الحَضِيض الأوْهد

وأولها

أخذ المشيب من الشباب الأغيد ... والنائبات من الأنام بمرصد

فقال يا أبا اسحق أنا أحمل خشبتي منذ أربعين سنة فلا أجد من يصلبني عليها

وقال دعبل بن على يرثى ابن عم له من خزاعة نعى اليه ، قال محمد بن يزيد ولقد أحسن فيها ما شاء

كانت خُزاعة ملء الأرض فانسمت ... فقصَّ مرّ الليالي من حواشيها
هذا أبو القاسم الثاوى ببلقعة ... تَسفى الرياح عليه من سوافيها
هبت وقد علمت ألاّ هبوب به ... وقد تكون حسيراً اذ يُباريها
أضحى قِرًى للمنايا اذ نزلن به ... وكان فى سالف الأيام يقريها

مدح عبد الرحمن بن خاقان وطلب منه بِرْذَوْناً فحمله اليه غامراً ، فكتب اليه

حملتَ على قارح غامر ... فلا للركوب ولا للثمن
حملتَ على زَمِنٍ ظالع ... فسوف تكافا بشكر زَمِن

فبعث اليه ببرذون غيره فاره بسرجه ولجامه وألفى درهم

كان دعبل يخرج فيغيب سنين يدور الدنيا كلها ويرجع وقد أفاد وأثرى ، وكانت الشُراة والصعاليك يلقونه فلا يؤذونه ويوا كلونه ويشاربونه ويبرّونه ، وكان اذا لقيهم وضع طعامه وشرابه ودعاهم اليه ودعا بغلاميه نفنف وشعف وكانا مغنيين فأقعدهما يغنيان وسقاهم وشرب معهم وأنشدهم فكانوا قد عرفوه وألفوه لكثرة أسفاره وكانوا يواصلونه ويصلونه ، وأنشد دعبل لنفسه فى بعد اسفاره

حللت محلا يقصر البرق دونه ... ويعجز عنه الطيف أن يتجشما

قال البحترى دعبل بن على أشعر عندى من مسلم بن الوليد لأن كلام دعبل أدخل فى كلام العرب من كلام مسلم ومذهبه أشبه بمذاهبهم وكان يتعصب له

كان المعتصم يُبغض دعبلاً لطول لسانه وبلغ دعبلاً أنه يريد اغتياله وقتله ، فهرب الى الجبل وقال يهجوه

بكى لشَتات الدين مكتئب صَبّ ... وفاض بفرط الدمع من عينه غَرْب
وقام إمام لم يكن ذا هداية ... فليس له دين وليس له لُبّ
وما كانت الأنباء تأتى بمثله ... يُملَّك يوماً أو تدين له العُرْب
ولكن كما قال الذين تتابعوا ... من السلف الماضين اذ عظم الخَطْب

ملوك بني العباس فى الكتب سبعة ... ولم تأتنا عن ثامن لهم كتب
كذلك أهل الكهف فى الكهف سبعة ... خيار اذا عدوا وثامنهم كلب
وانى لأُعلي كلبهم عنك رفعة ... لأنك ذو ذنب وليس له ذنب
لقد ضاع ملك الناس اذ ساس ملكهم ... وصيف وأشْناس وقد عظم الكرب
وفضل بن مروان يثلم ثلمة ... يَظَلُّ لها الإسلام ليس له شعب

لما مات المعتصم قال محمد بن عبد الملك الزيات يرثيه

قد قلت اذ غيبوه وانصرفوا ... في خير قبر لخير مدفون
لن يجبر الله أمة فقدت ... مثلك الا بمثل هارون

فقال دعبل يعارضه

قد قلت اذ غيبوه وانصرفوا ... فى شر قبر لشر مدفون
اذهب الى النار والعذاب فما ... خلتك الا من الشياطين
مازلت حتى عقدت بيعة من ... أضر بالمسلمين والدين

وقال في ذلك وفى قيام الواثق

الحمد لله لا صبر ولا جلد ... ولا عزاء اذا أهل البلا رقدوا
خليفة مات لم يحزن له أحد ... وآخر قام لم يفرح به أحد

ولقد أحسن فى وصف سفر سافره فطال ذلك السفر عليه فقال فيه

ألم يأن للسَّفْر الذين تحملوا ... الى وطن قبل الممات رجوع
فقلت ولم أملك سوابق عبْرة ... نطقن بما ضُمَّت عليه ضلوع
تَبَيَّن فكم دار تفرق شملها ... وشمل شتيت عاد وهو جميع
كذاك الليالي صرفهن كما ترى ... لكل أناس جدبة وربيع

ثم قال ما سافرت قط إلا كانت هذه الأبيات نصب عيني في سفري وهِجِّيراى ومَسَلِّيتي حتى أعود

ومن قول دعبل وفيه غناء

سرى طيف ليلى حين آن هُبُوب ... وقضيت شوقاً حين كاد يذوب
فلم أر مطروقاً يحـــل برحلة ... ولا طارقاً يقري المنى ويثيب

ومن قوله

لقد عجبت سلمى وذاك عجيب ... رأت بى شيباً عجلته خطوب
وما شيبتى كبرة غـير اننى ... بدهر به رأس الفطيم يشيب

وقال فى صالح بن عطية الأضجم وكان من أقبح الناس وجهاً وخاطب فيها المعتصم

قل للامام امام آل محمـــــد ... قول امريء حَدِب عليك محام
أنـكرت أن تفتر عنك صنيعة ... فى صالح ابن عطية الحجام
ليس الصنائع عنده بصنائع ... لـكنهن طوائل الاســـلام
اضرب به جيش العـــدو فانه ... جيش من الطاعون والبرسام

قال أبو تمام ما زال دعبل مائلاً الى مسلم بن الوليد مقراً بأستاذيته حتى ورد عليه بجُرْجان ، فجفاه مسلم وكان فيه بخل ، فهجره دعبل وكتب اليه

أبا مَخْلَد كنا عقيـدَيْ مودة ... هوانا وقلبانا جميعاً معاً معا
أحوطك بالغيب الذى أنت حائطى ... وأجزع اشفاقاً من آن تتوجعا
فصيرتني بعد انتكاثك متْهماً ... لنفسى عليها أرهب الخلق أجمعا
غشَشْتَ الهوى حتى تداعت أصوله ... بنا وابتذلت الوصل حتى تقطعا
وأنزلت من بين الجوانح والحشَى ... ذخيرة وُدّ طالما قد تمنعا
فلا تَلْحِيَنِّى ليس لي فيك مطمع ... تخرقت حتى لم أجد لك مَرْقعا
فهبْك يميني استأكلت فقطعتها ... وجشَّمت قلبى صبره فتشجعا

ثم تهاجرا فما التقيا بعد ذلك

ومن مديحه المطلب

زمني بمطلب سقيت زمانا　　ما كنت إلا روضة وجنانا
كل الندى الا نداك تكلف　　لم أرض بعدك كائناً من كانا
أصلحتني بالبر بل أفسدتني　　فتركتني أتسخط الاحسانا

أجرى الرشيد على دعبل رزقاً سنياً فكان أول من حرضه على قول الشعر فوالله ما بلغه أن الرشيد مات حتى كافأه على فعله من العطاء السني والغنى بعد الفقر والرفعة بعد الخمول بأقبح مكافأة وقال فيه من قصيدة مدح بها أهل البيت عليهم السلام وهجا الرشيد

وليس حي من الأحياء نعلمه　　من ذي يمانٍ ومن بكر ومن مُضَر
ألا وهم شركاء في دمائهـــم　　كما تشارك أيسار على جُزُر
قتل وأسر وتحريق ومَنْهَبة　　فعل الغُزاة بأرض الروم والخَزَر
أرى أُمية معذورين ان قتلوا　　ولا أرى لبني العباس من عذر
اربَعْ بطوسَ على القبر الزكي اذا　　ما كنت تربع من دين على وطر
قبران في طوس خير الناس كلهم　　وقبر شرهمُ هـذا من العبر
ما ينفع الرجسَ من قرب الزكي ولا　　على الزكي بقرب الرجس من ضرر
هيهات كل امرىء رهن بما كسبت　　له يداه فخذ ما شئت أو فذر

استدعى بعض بني هاشم دعبلا وهو يتولى للمعتصم ناحية من نواحي الشام فقصده اليها فلم يقع منه بحسن ظن وجفاه فكتب اليه دعبل

دَاليتني بغرور وعدك في　　متلاطم من حومة الغرق
حتى اذا شمت العدو وقد　　شهر انتقاصك شهرة البلق
أنشأت تحلف أن ودك لي　　صاف وحبلك غير منحذق
وحسبتني فَقْعاً بقرقرة　　فوطئتني وطأ على حنق

ونصبتني علماً على غرض ترميني الأعداء بالحدق
وظننت أرض الله ضيقة عني وأرض الله لم تضق
من غير ما جرم سوى ثقة مني بوعدك حين قلت ثق
ومودة تحنو عليك بها نفسي بلا منّ ولا ملق
فمتى سألتك حاجة أبداً فاشدد بها قفلاً على غلق
وقف الاخاء على شفا جرف هارٍ فبعه بيعة الخلق
وأعدّ لي قفلاً وجامعة فاشدد يدي بها الى عنقي
أُعفيك مما لا تحب بها واسدد عليّ مذاهب الأفق
ما أطول الدنيا وأعرضها وأدلّني بمسالك الطرق

دخل دعبل على عبد الله بن طاهر فأنشده وهو ببغداد

جئت بلا حرمة ولا سبب اليك إلا بحرمة الأدب
فاقض ذمامي فانني رجل غير ملحٍّ عليك فى الطلب

فانتقل عبد الله ودخل الحرم ووجه بصرة فيها ألف درهم وكتب اليه

أعجلتنا فأتاك عاجل برنا ولو انتظرت كثيره لم يقلل
فخذ القليل وكن كأنك لم تقل ونكون نحن كأننا لم نفعل

مات دعبل بقرية من قرى السوس بعث اليه مالك بن طوق من ضرب ظهره بعكاز لها زج مسموم فمات من غد

عبد الله بن طاهر

كان بمحل من علو المنزلة وعظم القدر ولطف مكان من الخلفاء يستغني به عن التقريظ له والدلالة عليه وأمره فى ذلك مشهور عند الخاصة والعامة وله فى الأدب مع ذلك المحل الذى لا يدفع وفى السماحة والشجاعة مالا يقاربه فيه أحد

أعطاه المأمون مال مصر لسنة خراجها وضياعها فوهبه كله وفرقه فى الناس ورجع صفراً من ذلك فغاظ المأمون فعله فدخل اليه يوم مقدمه فأنشده أبياتاً قالها فى هذا المعنى وهى

نفسى فداؤك والأعناق خاضعة ... للنائبات أبيًا غير مهتضم
اليك أقبلت من أرض أقمت بها ... حولين بعدك فى شوق وفي ألم
أقفو مساعيك اللاتى خصصت بها ... حذو الشراك على مثل من الأدم
فكان فضلى فيها انني تبع ... لما سننت من الانعام والنعم
ولو وكلت الى نفسى غنيت بها ... لكن بدأت أفلم أعجز ولم ألم

فضحك المأمون وقال والله مانفست عليك مكرمة نلتها ولا أحدوثة حسن عندك ذكرها ولكن هذا شيء اذا عودته نفسك افتقرت ولم تقدر على لم شعثك واصلاح حالك ، وزال ما كان فى نفسه

لما فتح عبد الله مصر سوغه المأمون خراجها فصعد المنبر فلم يزل حتى أجاز بها كلها ثلاثة آلاف الف دينار أو نحوها فأتاه معلى الطائى وقد أعلموه ماصنع بالناس في الجوائز وكان عليه واجداً فوقف بين يديه تحت المنبر فقال أصلح الله الأمير أنا معلى الطائى وقد بلغ مني ما كان منك من جفاء وغلظ فلا يغلظن على قلبك ولا يستخفنك الذى بلغك أنا الذى أقول

يا أعظم الناس عفواً عند مقدرة ... وأظلم الناس عند الجود للمال
لو أصبح النيل يجرى ماؤه ذهباً ... لما أشرت الى خزن بمثقال
تغلى بما فيه رق الحمد تملكه ... وليس شيء أعاض الحمد بالغالي
تفك باليسر كف العسر من زمن ... اذا استطال على قوم باقلال
لم تخل كفك من جود لمختبط ... ومرهف قاتل فى رأس قتال
وما بثثت رعيل الخيل فى بلد ... الا عصفن بأرزاق وآجال

ان كنت منك على بال مننت به ‏ ‏ فان شكرك من قلبي على بال
ما زال مقتضباً لولا مجاهرة ‏ ‏ من ألسن خُضْن فى صدرى بأقوال

فضحك عبد الله وسر بما كان منه وقال يا أبا السمراء أقرضني عشرة آلاف دينار فما أمسيت أملكها فأقرضه فدفعها اليه

كان موسى بن خاقان مع عبد الله بن طاهر بمصر وكان نديمه وجليسه وكان له مؤثراً مقدماً فأصاب منه معروفاً كثيراً وأجازه بجوائز سنية هناك وقبل ذلك ، ثم انه وجد عليه فى بعض الأمر فجفاه وظهر له منه بعض مالم يحبه فرجع حينئذ الى بغداد وقال

ان كان عبد الله خلانا ‏ ‏ لا مبدئاً عرفاً واحسانا
فحسبنا الله رضينا به ‏ ‏ ثم بعبد الله مولانا

يعني به المأمون ، وغنت فيه جاريته وسمعه المأمون فاستحسنه ووصله وإياها فبلغ ذلك عبد الله بن طاهر فغاظه ذلك وقال أجل صنعنا المعروف الى غير أهله فضاع

ولعبد الله ألحان صاغها فمنها ومن مختارها وصدورها ومقدمها لحنه فى شعر أخت عاصية فانه صوت نادر جيد صحيح العمل مزدوج النغم بين لين وشدة على رسم الحذاق من القدماء وهو

هلا سقيتم بني سهم أسيركمُ ‏ ‏ نفسى فداؤك من ذى غلة صادى
الطاعن الطعنة النجلاء يتبعها ‏ ‏ مُضَرَّجٌ بعد ما جادت بازباد

ومن غنائه أيضاً

راح صحبي وعاود القلب داء ‏ ‏ من حبيب طلابه لي عناء
حسن الرأى والمواعيد لا يُو ‏ ‏ في لشيء مما يقول وفاء
من تعزى عمن يحب فاني ‏ ‏ ليس لى ماحييت عنه عزاء

ابن أبي عيينة

هو أبو عيينة بن محمد بن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدى شاعر مطبوع ظريف غزل هجاء وأنفذ أكثر شعره فى هجاء ابن عمه خالد وكان من شعراء الدولة العباسيه من ساكني البصرة

وقال محمد بن يزيد كان أبو عيينة من أطبع الناس وأقربهم مأخذاً من غير أدب موصوف ولارواية كثيرة وكان يقرب البعيد ويحذف الفضول ويقل التكلف وكان يتعشق فاطمة بنت عمر ويُسر عشقها ويلقبها دنيا كتماناً لأمرها وكانت امرأة جليلة سرية من النساء وكان أبوها من أشد الفرسان وشجعانهم ، ومن قوله فى فاطمة هذه

تجني علينا آل مكتومة الذنبا ... وكانوا لنا سلماً فأضحَوْا لنا حربا
يقولون عز القلب بعد ذهابه ... فقلت ألا طوبي لو أن لي قلبا
وقالوا تجنبنا فقلت أبعد ما ... غلبتم على قلبي بسلطانكم غصبا
غضاب وقد ملوا وقوفي ببابهم ... ولكن دنيا لا ملولا ولا غضبي
وقد أرسلت فى السر أني برية ... ولم تر لي فيما ترى منهمُ ذنبا
وقالت لك العُتْبَى وعندى لك الرضا ... وما ان لهم عندي رضاء ولا عُتْبَى
ونيتها تلهو اذا اشتد شوقها ... بشعرى كما تلهو المغنية الشَّرْبَى
فأحببتها حباً يقرّ بعينها ... وحبي اذا أحببت لايشبه الحبا
فيا حسرتا نغصت قرب ديارها ... فلا زُلفة منها أُرجّي ولا قربا
لقد شمت الأعداء أن حيل بينها ... وبيني ألا للشامتين بنا العُتْبَى

ومما قاله فيها وغنى فيه

ضيعت عهد فتى لعهدك حافظ ... فى حفظه عجب وفى تضييعك

ونأيت عنه فما له من حيلة ... الا الوقوف الى أوان رجوعك
متخشعاً يُذرى عليك دموعه ... أسفاً و يعجب من جمود دموعك
ان تقتليه وتذهبى بفؤاده ... فبحسن وجهك لا بحسن صنيعك

ومن قوله فيها

دعوتك بالقرابة والجوار ... دعاء مصرح بادى السرار
لأنى عنك مشغول بنفسى ... ومحترق عليك بغير نار
وأنت توقَّرين وليس عندى ... على نار الصبابة من وقار
فأنت لأن مابك دون مابى ... تدارين العدو ولا أدارى
ولو والله تشتاقين شوقى ... جمحتِ الى مخالعة العذار
ألا ياوهب فيم فضحت دنيا ... وبحت بسرها بين الجواري
أما والراقصاتِ بكل واد ... غوادٍ نحو مكة أو سوارِ
لقد فضلت دنيا فى فؤادى ... كفضل يدى اليمين على اليسار
فقولي ما بدا لك أن تقولي ... فانى لا ألومك أن تغارى

وقال فيها وهو من ظريف أشعاره

رق قلبي لك يا نور عيني ... وأبى قلبك لى أن يرِق
فأراك الله موتى فانى ... لست أرضى أن تموتى وأبقى
أنا من وجدى بدنياى منها ... ومن العذل فيها مُلقًى
زعموا انى صديق لدنيا ... ليت ذا الباطل صار حقا

وقال فيها أيضاً

عيشها حلو وعيشك مر ... ليس مسرور كمن لا يسر
كمديم الحب تسخن فيه ... عينه أكثر مما تقرّ
قلت للائم فيها الهُ عنها ... لا يقع بيني وبينك أمر

أتراني مقصراً عن هواها كل مملوك اذاً لي حر

ومنه

جئت قالت دنيا علام نهاراً زرت ؟ هلا انتظرت المساء
كنت ذا معجباً برأيك لانفـــرق فاستحي يا قليل الحياء
ذاك اذ روحها وروحي مزاجا ن كأصفى خمر بأعذب ماء

ومنه

جعلت حبك من قلبي بمنزلة هي المصافاة بين الماء والراح
تهتز مثل اهتزاز الغصن حركه مرورغيث من الوسمي سحاح

ومن قوله فيها

ألم تنهَ قلبك أن يعشـقا ومالك والعشقَ لولا الشقا
أمن بعد شربك كأس النُهَى وشمك ريحان أهل التقى
عشقت فأصبحت في العالمــين أشهرَ من فرس أبلقا
أدنياي من غمر بحر الهوى خذي بيدي قبل أن أغرقا
أنا لكِ عبد فكوني كمن اذا سره عبـــده أعتقا
ألم أخدعِ الناس عن وصلها وقد يخدع العاقل الأحمقا
بلى فســـبقتهم انني أحب الى الخير أن أسبقا
ويوم الجنازة اذ أرسـلت على رقعة أن جزُ الخندقا
وعُجْ فانظر لنا مجلساً برفق وإياك أن تخرقا
فجئنا كغصنين من بانة قرينين خدْنين قد أورقا
فقالت لأخت لها استنشديـــه من شعره المحكم المنتقى
فقلت أمرت بكتمانه وحذرت ان شاع أن يسرقا
فقالت بعيشك قولي له تمنع لعلك أن تنفقا

ومما قاله فيها

ألا في سبيل الله ما حل بي منك ... وصبرُكَ عني حين لاصبر لي عنك
وتركُكِ جسمي بعد أخذكِ مهجتي ... ضَئيلاً فهلاّ كان من قبل ذا تركي
فهل حاكم في الحب يحكم بيننا ... فيأخذ لي حقي ويُنْصفني منك
لقد كنت يوم القصر مما ظننتِ بي ... بريئاً كما أني بريء من الشرك
يذكرني الفردوس طوراً فأرعوى ... وطوراً يواتيني الى القَصْف والفتك
بغرْس كأبكار الجوارى وتربة ... كأن ثراها ماء ورد على مسك
وسرْب من الغزلان يرتَعْنَ حوله ... كما استَلَّ منظوم من الدر من سلك
وورقاء تحكي الموصلى اذا غدت ... بتغريدها أحْببْ بها وبمن تحكى
فياطيب ذاك القصر قصراً ومنزلا ... بأفْيَح سهل غير وَعْر ولا ضَنْك
كأن قصور القوم ينظرن حوله ... الى ملك مُوفٍ على منبر الملك
يُدل عليها مستطلا بظلها ... فيضحك منها وهى مطرقة تبكى

وقال لما بلغه أنها زوجت وكان اسحق الموصلى يستحسن هذا الشعر ويستجيده

أرى عهدها كالورد ليس بدائم ... ولا خير فيمن لا يدوم له عهد
وعهدي لها كالآس حسناً وبهجة ... له نَضْرَة تبقى اذا ما انقضى الورد
فما وجد العُذْرِيّ اذ طال وجده ... بعفْرَاء حتى سَلَّ مهجتَه الوجد
كوجدى غداة البين عند التفاتها ... وقد شَفَّ عنها دون أترابها البُرْد
فقلت لأصحابي هى الشمس ضوؤها ... قريب ولكن فى تناولها بعد
وانى لمن تهدى اليه لحاسد ... جرى طائرى نحسا وطائره سعد

ومن قوله فيها

ما لدنيا تجفوك والذنب منها ... ان هذا منها لخِبٌّ ومكر

عرفت ذنبها إليَّ فقالت ابدُروا القوم بالصياح يفِروا
قد أمرت الفؤاد بالصبر عنها غير أن ليس لي مع الحب أمر
وكتمت اسمها حذاراً من النا س ومن شرهم وفى الناس شر
ويقولون بح لنا باسم دنيا واسم دنيا سر على الناس ذخر

ومن قوله لرجل من جيرانه كان يستثقله ، فسأله حاجة فقضاها ثم سأله أخرى فوعده بها ، ثم سأله ثالثة

خفف على اخوانك المؤنا ان شئت أن تبقى لهم سكنا
لا تُلحِفَنَّ اذا سألت فنى الـ إلحاف اجحاف بهم وعنا

فقام الرجل وانصرف

وفد الى طاهر بن الحسين يسأله أن يعزل أمير البصرة وكان من قبله ، فعزله وأجزل صلته ، فقال

ياذا اليمينين قد أوقرتني مننا تترى هى الغاية القصوى من المنن
ولست أسطيع من شكر أجىء به الا استطاعة ذى روح وذى بدن
لو كنت أعرف فوق الشكر منزلة أوفى من الشكر عند الله فى الثمن
أخلصتها لك من قلبي مهذبة حذواً على مثل ما أوليت من منن

وكان أمير البصرة اسمعيل بن سليمان قد أساء مجاورة ابن أبي عيينة حتى تباعد ما بينهما وقبح وأظهر اسمعيل تنقصه وعيبه ، فخرج يشكوه الى طاهر ، فلما دخل عليه سأله عن حوائجه وأدناه وأمره برفعها ، فأنشده

من أوحشته البلاد لم يقم فيها ومن آنسته لم يرم
ومن يبت والهموم قادحة فى صدره بازناد لم ينم
ومن يرى النقص من مواطنه يزل عن النقص موطىء القدم
والقرب ممن نأى بجانبه صدع على الشعب غير ملتئم

ورب أمر يَعْيا اللبيب به يَظَلّ منه في حيرة الظلم
صبر عليه كظم على مَضَض وتركه من مواقع الندم
ياذا اليمينين لم أزرك ولم آتِك من خلة ومن عدم
اني من الله في مُراح غنى ومنتدى واسع وفي نعم
زارتك بي همــة منازعة الى العلا من كرائم الهمم
وانني للجميل محتمـــل في القدر من منصبي ومن شيمي
وقد تعلقت منك بالذمم الــكبرى التي لا تخيب في الذمم
فان أنلْ بغيتي فأنت لها في الحق حق الرجاء والرَّحِم
وان يَعُق عائق فلست على جميل رأى عندى بمتهم
في قدَر الله ما أحمّــله تعويق أمرى في اللوح والقلم
لم يضق الصبر والفجاج على حر كريم بالصبر معتصم
ماض كحد السنان في طرف الــعامل أوحد مُصْلَت خذم
اذا ابتلاه الزمان كشّفه عن ثوب حرية وعن كرم
ما ساء ظني الا بواحدة في الصدر محصورة عن الكلم
ابِهْنِ قوماً جزْتُ المدى بهمُ ولم تقصر فيهمُ ولم تلِم
وليس كل الدِّلاء راجعة بالنصف من ملئها الى الوَذَم
ترجع بالحمأة القليلة أحــياناً وَرنق الصُّبابة الأمم
ما تنبت الأرض كل زهرتها ولا تعم السماء بالديم
ما فيَّ نقص عن كل منزلة شريفة والأمور بالقسم

فأجابه طاهر

من تستضفه الهموم لم ينم الا كنوم المريض ذى السقم
ولا يزال قلبه يكابد ما تولد فيه الهموم من ألم

وقد سمعت الذى هتفت به ... وما بأذنى عنك من صمم
وقد علمنا أن ليس تصحبنا ... لفاقة فيك لا ولا عـــدم
الا لحق وحرمة وعلى ... مثلك رعى الحقوق والحرم
أنت امرؤ لا تزول عن كرم ... الا الى مثله من الكرم
وأنت امرؤ من أسرة جحاجحة ... فازوا بحسن الفعال والشيم
فما ترم من جسيم منزلة ... فالحكم فيه اليك فاحتكم
ان كنت مستسقياً سماحتنا ... منا تجدك اليدان بالديم
أو ترم فى بحرنا بدلوك لا ... نعدمك ملأً لها الى الوذم
انا أناس لنـــا صنائعنا ... فى العرب معروفة وفى العجم
مغتنمو كسب كل محمدة ... والكسب للحمد غير مغتنم

فاحتكم عليه عزل اسمعيل بن جعفر عن البصرة فعزله عنها وأمر له بمائة الف درهم فقال أبو عيينة فى عزله

لا تعدم العزل يا أبا الحسن ... ولا هزالاً فى دولة السمن
ولا انتقالاً من دار عافية ... الى ديار البلاء والمحن
أنا الذى ان كفرت نعمته ... أزال مافى جنبيك من سكن

وقال يرثى أخاه داود

أنائحة الحمام قفى فنوحى ... على داود رهناً فى ضريح
لدى الأحباب من همذان راحت ... به الأيام للموت المريح
ولم تشهد جنازته البواكى ... فتبكيـــه بمنهل سفوح
وكونى مثله اذ كان حياً ... جواداً بالغبوق وبالصبوح
أنائحة الحمـــام فلا تشحى ... عليه فليس بالرجل الشحيح
ولا بمثمر مالاً لدنيـــا ... ولا فيهـــا بمغيار طموح

يبيع كثير ما فيها بباق   ثمين من عواقبه ربيح

ومن آل المهلب فى لُباب   لُباب الخالص المحض الصريح

همُ أبناء آخرة ودنيا   وأهداف المراثى والمديح

كان لابن أبى عيينة بستان وضَيْعة فى بعض قطائع المهلب بالبصرة فأوطنها وصيرها منزله وأقام بها وفيها يقول

ياجنة فاقت الجنان فما   تبلغها قيمة ولا ثمن

ألفتها فاتخذتها وطناً   ان فؤادى لأهلها وطن

زُوّج حيتانُها الضِّباب بها   فهذه كَنَّةٌ وذا خَتَن

فانظر وفكر فيما نطقت به   ان الأريب المفكر الفطن

من سُفن كالنعام مقبلة   ومن نعام كأنها سفن

ومما أنشده لنفسه وفيه غناء

لا يكن منكِ ما بدالي بعينيـ   ـك من اللحظ حيلة واختداعا

ان يكن فى الفؤاد شىء وإلا   فدعيني لاتقتليني ضَياعا

فلعلى اذا قرُبت تباعد   ت وأظهرت جفوة وامتناعا

حين نفسى لا تستطيع لما قد   وقعت فيه من هواها ارتجاعا

كان ابن أبى عيينة قد قصد قَبيصة بن رَوْح بن حاتم المهلبى واستماحه فلم يجد عنده ما قدره فيه فانصرف مغاضباً ، فوجه اليه داود بن مِزْيَد بن حاتم فترضاه وبلغ ما أحبه ورضيه من بره ومعونته فقال يمدحه ويهجو قبيصة

أقَبيص لست وان جهدت بمدرك   سعى ابن عمك ذى العلا داود

شتان بينك ياقبيصَ وبينه   ان المذمم ليس كالمحمود

اختار داود بناء محامد   واخترت أكل شبارق[1] وثريد

(١) الشبارق ما اقتطع من اللحم صغيراً وطبخ

قد كان مجد أبيك لو أحييته ... رَوْح أبي خلف كمجد يزيد
لكن جرى داود جري مبرز ... نحوى المدى وجريت جرى بليد
داود محمود وأنت مذمم ... عجباً لذاك وأنتما من عود
ولرب عود قد يشق لمسجد ... نصفاً وسائره لحُشّ يهود
فالحش أنت له وذاك لمسجد ... كم بين موضع مَسْلَح وسجود
هذا جزاؤك يا قبيص لأنه ... جادت يداه وأنت قُفْل حديد

ولى خالد بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلَّب جُرْجان فسأل أبا عيينة أن يصحبه ويخرج معه ووعده الاحسان والولاية وأوسع له المواعيد ، وكان أبو عيينة جندياً فجرد اسمه فى جريدته وأخرج رزقه معه ، فلما حصل بجرجان أعطاه رزقه لشهر واحد واقتصر على ذلك وتشاغل عنه وجفاه ، فبلغه أنه قد هجاه وطعن عليه وبسط لسانه فيه وذكره بكل قبيح عند أهله ووجوه رعيته ، فلم يقدر على معاقبته لموضع أبيه وسنه ومحله فى أهله ، فدعا به وقال انه قد بلغني انك تريد أن تهرُب فاما ان أقمت لى كفيلاً برزقك أورددته ، فأتاه بكفيل ، فأعنته ولم يقبله ولم يزل يردده حتى ضجِر فجاءه بما قبض من الرزق فأخذه ولَجَّ أبو عيينة فى هجائه وأكثر فيه حتى فضحه فقال فيه

دنيا دعوتك مسرعاً فأجيبى ... وبما اصطفيتك فى الهوى فأثيبى
دومى أدُمْ لك بالصفاء على النوى ... انى بعهدك واثق فثقى بى
ومن الدليل على اشتياقى عَبرتى ... ومَشيبُ رأسى قبل حين مشيب
أبكي اليك اذا الحمامة طرَّبت ... ياحسن ذاك اليَّ من تطريب
تبكى على فنَن الغصون حزينة ... حزن الحبيبة من فراق حبيب
وأنا الغريب فلا ألام على البكا ... ان البكا حسن بكل غريب
أفلا ينادى للقتول برحلة ... تَشفى جوًى من أنفس وقلوب

مالى اصطفيت على التعسف خالداً — والله ما أنا بعدها بأريب
تبًّا لصحبة خالد من صحبة — ولخالد بن يزيد من مصحوب
يا خالد بن قبيصة هيجت بى — حرباً فدونك فاصطبر لحروبى
لما رأيت ضمير غشك قد بدا — وأبيت غير تجهم وقطوب
وعرفت منك خلائقاً جربتها — ظهرت فضائحها على التجريب
خليت عنك مفارقاً لك عن قلًى — ووهبت للشيطان منك نصيبى
فلئن نظرت الى الرُّصافة مرة — نظراً يفرج كربة المكروب
لأمزقنك قائماً أو قاعداً — ولأروين عليك كل عجيب
ولتأتين أباك فيك قصائد — حبرتها بتشكر مقلوب
ولينشدنّ بها الامام قصيدة — ولتُشتمنّ وأنت غير مهيب
ولأوذينك مثل ما آذيتنى — ولأشلينّ على نعاجك ذيبى

لقى دعبل أبا عيينة فقال له أنشدنى قولك فى ابن عمك ، فأنشده

يا حفص عاط أخاك عاطه — كأساً تُهيّج من نشاطه
صرفاً يعود لوقعها — كالظبى أُطلق من رباطه
صباً طوت عنه الهمو — م نعيمة بعد انبساطه
فبكى وحق له البكا — لشقائه بعد اغتباطه
جزع المذمم خالد — لما وقعت على قماطه
فانظر الى نزواته — من منطق والى اختلاطه
دعني وايا خالد — فلأقطعن عرا نياطه
انى وجدت كلامه — فيه مشابهُ من ضُراطه
رجل يُعد لك الوعيد — اذا وطئت على بساطه
واذا انتظرت غداءه — نخف البوادر من سياطه

يا خال صُدَّ المجد عنـــك فلن تجوز على صراطه
وعَرِيتَ من حلل الندى عُرْيَ اليتيم ومن رباطه
فاذا تطاولت الرؤ س فغط رأسك ثم طاطه

فقال له دعبل أغرقت والله فى النزع وأسرفت وهتكت ابن عمك وقتلته وغَضَضْتَ منه ، وانما استنشدتك وأنا أظن انك قلت كما يقول الناس قولاً متوسطاً ولو علمت أنك بلغت به هـذا كله لما استنشدتك وجعل يعيد « فغط رأسك ثم طاطه » ويقول قتله والله

ومن مشهور قوله فيه

ألا خبروا ان كان عندكم خبَرْ أنَقْفُلُ أم نَثْوِى على الهم والضجر
نفى النومَ عن عيني تعرض رحلة بها الهم واستولى بها بعده السهر
فان أشْكُ من ليلى بجُرْجان طوله لقد كنت أشكو فيه بالبصرة القصر
فيا حبـذا بطن الحزير وظهره ويا حسن واديه اذا ماؤه زخر
ويا حبـــذا نهر الأُبُلَّة منظراً اذا مد فى إبّانه النهر أو جزَر
وفتيان صدق همهم طلب العلا وسيماهمُ التحجيل فى المجد والغُرَر
لعمرى لقد فارقتهم غير طائع ولا طيب نفساً بذاك ولا مقر
وقائلة ماذا نأَـــى بك عنهمُ فقلت لها لا علم لي فسلي القدر
فيا سفراً أودى بلهوي ولذتى ونغصني عيشي عَدِمتك من سفر
دعونى وابا خالد بعد ساعة سيحمله شعري على الأبلق الأغر
كأنى بصـدق القول لما لقيته وأعلمته بما فيه ألقمته الحجر
دنىء به عن كل خير بلادة لكل قبيح عن ذراعيه قد حسَر
له منظرٌ يُعمي العيونَ سماجة وان يُختبر يوماً فيا سوء مختبر
أبوك لنا غيث يعاش بوَبْله وأنت جراد ليس يُبقي ولا يذر

له أثر في المكرمات يسرنا وأنت تعفّي دائماً ذلك الأثر
لقد قنعت قحطان خزياً بخالد فهل لك فيه يُخْزِك الله يا مُضَر

ومن جيد قوله أيضاً يهجوه

على إخوتي مني السلامُ تحية تحيـــة مُثْنٍ بالأخوة حامد
وقل لهمُ بعد التحية أنتمُ بنفسي ومالي من طريف وتالد
وعز عليهم أن أقيم ببلدة أخا سقَم فيها قليل العوائد
لئن ساءهم ما كان من فعل خالد لقد سرهم ما قد فعلت بخالد
وقد علموا أن ليس مني بمُفْلِت ولا يومه المسكين مني بواحد
أخالد لا زالت من الله لعنة عليك وان كنت ابن عمي وقائدي
أخالد كانت صحبتيك ضلالةً عصيت بها ربي وخالفت والدي
وأرسل يبغي الصلح لما تكنفت عوارضَ جنبيه سياطُ القصائد
فأرسلت بعد الشر اني مسالم الى غير ما لا تشتهي غير عائد

وكان عبد الله بن محمد بن أبي عيينة أخو أبي عيينة شاعراً وهو القائل يعاتب محمد بن يحيى بن خالد البرمكي بأبيات رائية أولها

اسلم وان كان فيك عني قبض لكفيك وازورار
تلحظني عابساً قطوباً كأنما بي اليك ثار
لو كان أمراً عتبت فيه يجوز لي منه اعتـــذار
أو كنتُ سآلة حريصاً لحان مني لك الفِرار
أو كنت نذْلاً عديم عقل لا منصب لي ولا نِجار
أو لم أكن حاملاً بنفسي ما تحمل الأنفس الكبار
وأنني من خيار قومي وكل أهلي فتى خيـــار
عذرت أن نالني جفاء منك وأن نالني ضرار

لكن ذنبي اليك أني   قحْطان لي الجد لا نِزار
عليك مني السلام هذا   أوان ينأى بي المزار
ما كنت الا كلحم ميت   دعا الى أكله اضطرار
راحت على الناس لابن يحيى   محمد ديمة غزار
ولم يكن ما قد نلت منه   بقدر ما ينجلي الغبار
قد أصبح الناس في زمان   أعلى من السفْلة الشرار
يستأخر السابق الذكي فيه   ويستقدم الحمار
وليس للمرء ما تمنى   يوماً وما ان له اختيار
ما قدر الله فهو آت   وفي مقاديره الخيار

كان ابن أبي عيينة يشبب بوهبة جارية القروي ثم عدل عن التشبيب بها الى دنيا وذكرها جميعاً في شعره فقال

أرسلت وهبة لما رأتني   بعد سقم من هواها مفيقا
أتغيرت ؟ كأن لم تكن لي   قبل أن تعرف دنيا صديقا
قد لعمري كان ذاك ولكن   قطعت دنيا عليك الطريقا

لما ولي عمر بن حفص البصرة قال ابن أبي عيينة في ذلك وفي دنيا يكني بها عن فاطمة

هنيئاً لدنيا هنيئاً لها   قدوم أبيها على البصرة
على أنها أظهرت نخوة   وقالت لي الملك والقدرة
فيانور عيني كذا عاجلاً   عليَّ تطاولت بالإمرة

وفيها يقول

يا حسنها يوم قالت لي مودعة   لا تنس ماقلت ، من فيها الى أذني
كأنني لم أصل دنيا علانية   ولم أزر أهل دنيا زورة الختن

جسمي معي غير أن الروح عندكمُ ··· فالروح فى وطن والجسم فى وطن
فليعجب الناس منى أن لي جسداً ··· لا روح فيه ولا روح بلا بدن

قدم الكوفة فى بعض حوائجه ، فعاشره جماعة من وجوه أهلها وأقام بها مدة وألف فيها قينة كان يعاشرها وأحبها حباً شديداً ، فقال فيها

لعمرى لقد أعطيت بالكوفة المنى ··· وفوق المنى بالغانيات النواعم
ونادمت أخت الشمس حسناً فوافقت ··· هواى ومثلى مثلها فلينادم
وأنشدتها شعرى بدنيا فعربدت ··· وقالت ملول عهده غير دائم
فقلت لها يا ظبية الكوفة اغفرى ··· لقد تبت مما قلت توبة نادم
فقالت قد استوجبت منا عقوبة ··· ولكن سنرعى فيك رَوْح بن حاتم

كان لأبى حذيفة مولى جعفر بن سليمان جارية مغنية يقال لها بستانُ ، فبلغه أن أبا عيينة ذكر لبعض اخوانه محبة لها ولاستماع غنائها ، فدعاه وسأله أن يطرح الحشمة بينه وبينه ، فأجابه الى ذلك وقال لما سكر وانصرف من عنده فى ذلك

ألم تَرَنى على كسلى وفَتْرِى ··· أجبت أبا حذيفة اذ دعانى
وكنت اذا دعيت الى سماع ··· أجبت ولم يكن منى توان
كأنا من بشاشتنا ظَلِلْنا ··· بيوم ليس من هذا الزمان

أعرس داود بن محمد بن عيينة أخو أبى عيينة بالبصرة وأخوه غائب يومئذ مع ابن عمه خالد بجرجان ، فكتب داود الى أخيه يخبره بسلامته وسلامة أهل بيته ويخبره نقله أهله اليه ، فقال أبو عيينة فى ذلك

ألا ما لعينك معتلة ··· وما لدموعك منهلَّة
وكيف بجرجان صبر امرىء ··· وحيد بها غير ذى خلة
وأطول بليلك أطول به ··· اذا عسكر القوم بالأثلة
وراعك من خيله حائر ··· من القوم ليست له قبلة

يسوقك نحوهم مكرها ... وداود بالمصر فى غفلة
عروس ينعم من تحته ... بسرير ومن فوقه كِلَّة
وما مدنف بين عواده ... ينادى وفى سمعه ثقلة
بأوجع منى اذا قيل لي ... تأهب الى الرَّى بالرحلة
ومالي وللرَّيّ لولا الشقا ... ء ان كنت عنها لفى عزلة
أكلَّف أجبالها شاتياً ... على فرس أو على بغلة
وأهون من ذاك لو سهلوه ... ركوب القراقير في دِجلة
تروح الينا بها طربة ... رواح الندامى الى دلة
أخالد خذ من يدي لطمة ... تغيظ ومن قدمى رَكْلَة
جمعت خصال الردى جملة ... وبعت خصال الندى جملة
فما لك فى الخير من خلة ... وكم لك فى الشر من خلة
ولما تناضلَ أهل العلى ... نُضلت فأذعنت للنضلة
فما لك فى المجد ياخالد ... مفرطة لا ولا خصلة
وأسرعت في هدم ماقد بنى ... أبوك وأشياخه قبله
وكانت من النبع عيدانهم ... نُضاراً وعودك من أثلة
فيا عجباً نَبْعة أنبتت ... خلافاً وريحانة بقلة
ثيابك للعيد مطوية ... وعرضك للشتم والبِذْلة
أجعت بنيك وأعريتهم ... ولم تأت فى ذاك من قلة
اذا ما دعينا لقبض العطاء ... وهيأت كيسك للغلة
وجلة تمر تغادى بها ... فتأتى على آخر الجلة
وتُقصى بنيك وهم بالعرا ... ء نُزْلهمُ الملح والملة
ولو كان خبز وتمر لديك ... لما طمعوا منك فى فضلة

وتصبح تقلس عن تخمة		كأن جشاءك عن فجلة
اذا الحى راعهم رائع		فأرهب من غادة طفلة
وليث يصول على قرنه		اذا ما دعيت الي أكلة
فلله درك عند الخوا		ن من فارس صادق الحملة
وان جاءك الناس فى حاجة		تفكرت يومين في العلة
وتلقاهم أبداً كالحاً		كأن قد عضضت على بصلة
فهذا نصيبى من خالد		لكم هنة بتة بتلة
وانى لصحبته مبغض		ولا خير في صحبة السفلة

ومن مختار ما قاله فيه

قل لدنيا بالله لا تقطعينا		واذ كرينا فى بعض ما تذكرينا
لا تخونى بالغيب عهد صديق		لم تخافيه ساعة أن يخونا
واذ كري عيشنا واذ نفض الريـ		ـح علينا الخيريّ والياسمينا
حفظ الله اخوتى حيث كانوا		من بلاد سارين أم مُدْلجينا
فتية نازحون عن كل عيب		وهمُ فى المكارم الأولونا
وهمُ الأكثرون يعلم ذاك النـ		ـاس والأطيبون للأطيبينا
أزعجتني الأقدار عنهم وقد كنـ		ـت بقربى منهم شحيحاً ضنينا
وتبدلت خالداً لعنة اللـ		ـه عليه ولعنة اللاعنينا
رجل يقهر اليتيم ولا يؤ		تى زكاة وينهر المسكينا
ويصون الثياب والعرض بالٍ		ويرائى ويمنع الماعونا
نزع الله منه صالح ما أعـ		ـطاه آمين عاجلاً آمينا
فلعمرُ المبادرين الى مكـ		ـة وفداً غادين أو رائحينا
ان أضياف خالد وبنيه		ليجوعون فوق ما يشبعونا

وتراهم من غير نسك يصومو ن ومن غير علة يحتمونا
يا بنى خالد دعوه وفِرّوا كم على الجوع ويحكم تصبرونا

قال الرشيد للفضل بن الربيع من أهجى المحدثين عندك يافضل فى عصرنا هذا؟ قال الذى يقول فى ابن عمه

لو كما ينقص يزدا د اذاً نال السماء
خالد لولا أبوه كان والكلب سواء
أنا ما عشت عليه أسوأ الناس ثناء
ان من كان مسيئاً لحقيق أن يساء

فقال الرشيد هذا ابن أبي عيينة ولعمرى لقد صدقت

كان لأبى عيينة صديقان من جند خالد من أهل البصرة أحدهما مهلبي والآخر مولي للأزد وكلهم شاعر ظريف فكانوا يمدحون السَّراة من أهل جُرجان فيصيبون منهم ما يقوتهم ، وولى موسى الهادى الخلافة فكتب ابن أبي عيينة الى من كان فى خدمة الخلفاء من أهله بهذه القصيدة

كيف صبرى ومنزلي جرجان والعراق البلاد والأوطان
نحن فيها ثلاثة حلفاء وندامَى على الهوى اخوان
نتساقى الهوى ونطرب للذكـ ـر كما تُطْرِبُ النَّشاوَى القِيان
واذا ما بكى الحمام بكينا لبكاه كأننا صبيان
يا زمانى الماضى ببغداد عُذْلى طالما قد سررتنى يا زمان
يا زمانى المسىء أحسن فقِدْماً كان عندى من فعلك الاحسان
ما يريد العذال مني أما يُتْـ ـرَكُ أيضاً بغمه الانسان
ويقولون املك هواك واقصر قلت مالي على الهوى سلطان
أيها الكاتم الحديث وقد طا ل به الأمر وانتهى الكتمان

قد لعمري عرّضت حيناً فبين ... ليس بعد التعريض الا البيان
واتخذ خالداً عدواً مبيناً ... ماتمادى الانسان والشيطان
والهُ عنه فما يضرك منه ... عض كاب ليست له أسنان
ولعمري لولا أبوه لنالتـــه بسوء مني يد ولسان
قل لفتياننا المقيمين بالبا ... ب ثقوا بالنجاح يا فتيان
لاتخافوا الزمان قد قام موسى ... فلكُمْ من رَدَى الزمان أمان
أوَ لم تأته الخلافة طوعاً ... طاعة ليس بعدها عصيان
فهي منقادة لموسى وفيها ... عن سواه تقاعس وحِران
قل لموسى يامالك الملك طوعاً ... بقياد وفى يديك العِنان
أنت بحر لنا ورأيك فينا ... خير رأى رأى لنا سلطان
فاكفنا خالداً فقد سامنا الخسـ ... ـف رماه لحتفه الرحمن
كم الى كم يُغْضَى على الذل منه ... والى كم يكون ذاك الهوان

فلما قرأ هـذه القصيدة موسى الهادى أمر له بصلة وأعطاه ما فات من رزقه وأقفله من جيش خالد اليه

يزيد المهلبي

كان أخص الناس بالمنتصر ، وكان يجالسه قبل مجالسته المتوكل فدخل المتوكل يوماً على المنتصر على غفلة فسمع كلامه فاستحسنه ، فأخذه اليه فجعله فى جلسائه ، وكان المنتصر يريد منه أن يلازمه كما كان فلم يقدر على ذلك لملازمته أباه ، فعتب عليه لتأخره عنه على ثقة بمودة وأنس به ، فلما أفضت اليه الخلافة استأذن عليه ، فحجبه وأمر بأن يعتقل فى الدار فحبس أكثر يومه ، ثم أذن له فدخل وسلم وقبل الأرض بين يديه ثم قبل يده فأمره بالجلوس ثم استأذنه فى الانشاد فأذن ، فأنشده

ألا يا قوم قد برح الخفاء ... وبان الصبر منى والعزاء
تعجب صاحبي لضياع مثلى ... وليس لداء محروم دواء
جفانى سيد قد كان براً ... ولم أذنب فما هذا الجفاء
حللت بداره وعلمت أنى ... بدار لا يخيب بها الرجاء
فلما شاب رأسى فى ذراه ... حجبت بعقب مابعد الرخاء
فان تنأى ستورَ الاذن عنا ... فما نأت المحبة والثناء
وان يك كادنى ظلماً عدو ... فعند البحث ينكشف الغطاء
ألم تر ان بالآفاق منا ... جماجم حشو أقبرها الوفاء
وقد وصف الزمانَ لنا زياد ... وقال مقالة فيها شفاء
ألا يا رب مغموم سيحظى ... بدولتنا ومسرور يساء
أمنتصر الخلائف جدت فينا ... كما جادت على الأرض السماء
وسعت الناس عدلاً فاستقاموا ... بأحكام عليهن الضياء
وليس يفوتنا ما عشت خير ... كفانا أن يطول لك البقاء

تم الجزء السابع

ويليه الجزء الثامن وأوله

مسلم بن الوليد

فهرس الكتاب

تابع الفهرست